تاريخ

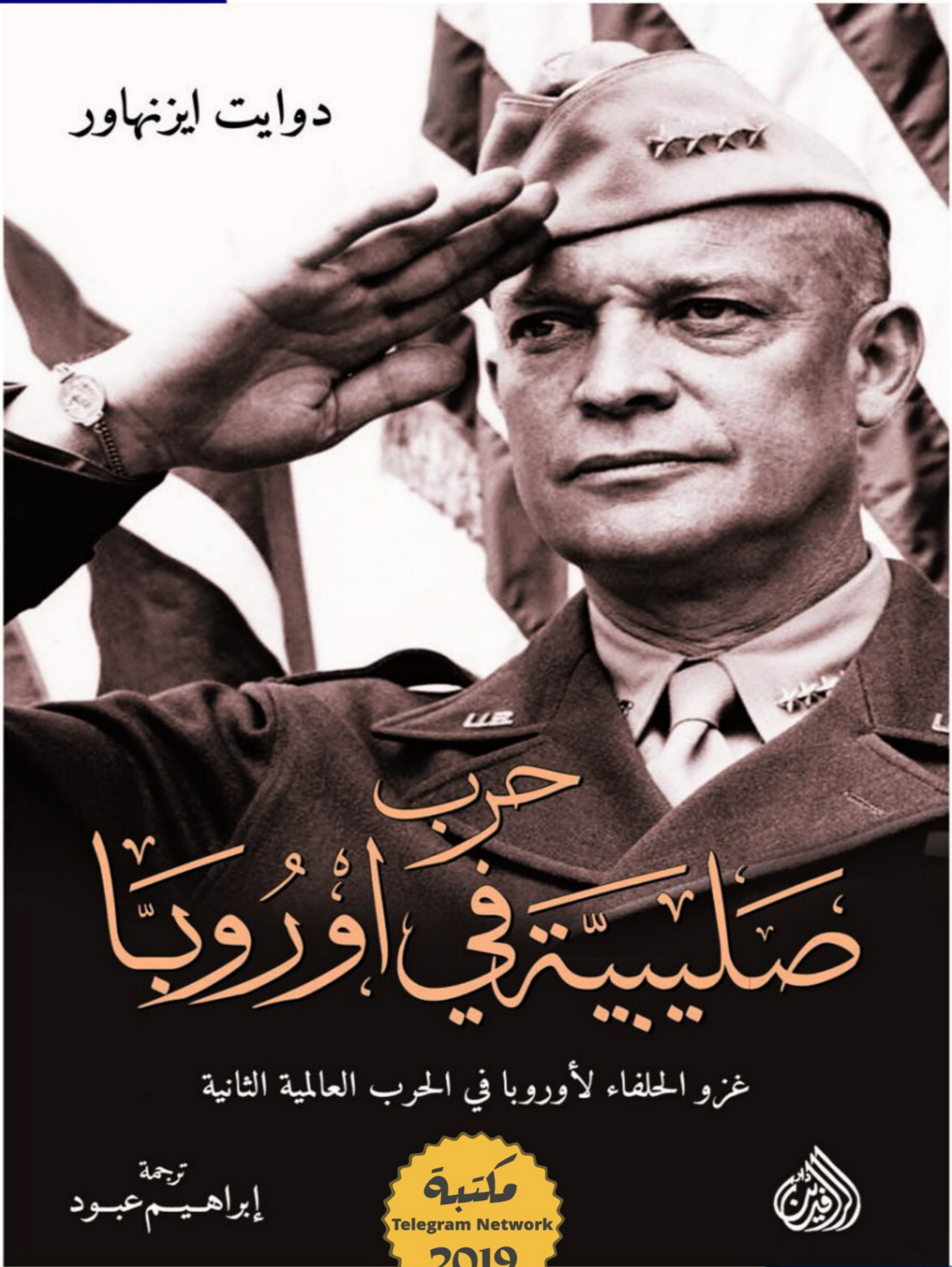

دوايت ايزنهاور

حرب صليبية في أوروبا

غزو الحلفاء لأوروبا في الحرب العالمية الثانية

ترجمة
إبراهيم عبود

مكتبة
Telegram Network
2019

مكتبة

Telegram Network

«المكتبة النصية»

قام بتحويل كتاب:

(حرب صليبية في أوروبا)

لـ «دوايت أيزنهاور»

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

من مصر:

ماجدة علي علي

قناة التليجرام

حرب صليبية في أوروبا
غزو الحلفاء لأوروبا في الحرب العالمية الثانية

دوايت أيزنهاور

ترجمة:

إبراهيم عبود

حرب صليبية في أوروبا

غزو الحلفاء لأوروبا في الحرب العالمية الثانية

Crusade in Europe

دوايت أيزنهاور

ترجمة: إبراهيم عبود

الطبعة الأولى:

أبريل/ نيسان، 2019 (1000 نسخة)

بيروت/ لبنان

ISBN: 978 - 9922 - 607 - 90 - 0

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

الفَصلُ الأول

تمهيد

في اليوم السابع من شهر أيار 1945، حضر اللواء يودل ممثل القيادة الألمانية إلى مركز قيادة الحلفاء في مدينة ريمز، ووقع وثيقة استسلام ألمانيا. وبذلك انتهى النزاع الذي ساد أوروبا منذ اليوم الأول من شهر أيلول 1939. ولكن بين تاريخي إعلان الحرب وانتهائها، قتلت عدة ملايين، وتشوه عدد أكبر من الأوروبيين، بينما عانت أكثر البلاد الأوروبية من الاحتلال الألماني ما لا يطاق من العسف والإرهاق وسياسة الإفقار والإذلال وكم الأفواه ونحر الحريات. أما ألمانيا نفسها التي حالفها النصر في بادئ الأمر حتى ساد الاعتقاد بأنها لا تغلب، فقد أخذ الدمار يجد سبيله إليها كلما امتد الزمن، حتى غدت أراضيها هدفًا لغارات الحلفاء المتعاظمة وساحات معارك تحرق رجالها وتدمر مدنها في زحف مطبق عليها من الشرق ومن الغرب كفكي كماشة هائلة.

في هذا الصراع، أنهكت بريطانيا نفسها، وضحت باقتصادها لكي تتمكن من مواصلة الحرب؛ فعبّأت الرجال والنساء والأولاد، ومن لم ينخرط في الجندية عمل في صناعة الحرب. وفي روسيا لم يبق دولاب صناعة يدور في جميع الأراضي الواقعة غربي نهر الفولغا.

وأمريكا نفسها، البعيدة عن جبهات القتال، لم تنج من ضريبة الدم. فقبل أن تستسلم اليابان، فقدت 322.188 قتيلًا من شبانها في المعارك، بالإضافة إلى 700.000 جريح. كما قدمت الأمة الأمريكية فيضًا لا يحصيه عدّ من مواردها، ليس لتمون جيوشها فحسب، بل ولتدعم تموين وتجهيز جيوش حلفائها ليتمكنوا من القيام بقسطهم في العراك المرير ضد العدو المشترك. وإنْ تكن كل أمة من الحلفاء قامت بأقصى إمكانياتها، فإن من المسلم به أن الجميع كانوا ينظرون إلى الولايات المتحدة كترسانتهم وبيت تموينهم، لأن بلادنا بدأت تتحول تدريجيًا من الإنتاج السلمي إلى الإنتاج الحربي؛ فعبّأت الرجال والمعدات حتى أصبحت قواتها فعالة ثقيلة الوطأة على العدو، وبركة للصديق.

كان قد مضى على أوروبا سنة كاملة قبل أن تفطن أمريكا إلى حالتها وما هي عليه من عدم الاستعداد وضعف في وسائل الدفاع ومواجهة الملمات. ولما فكرت باتخاذ خطوات نحو تقوية جهازها العسكري، كان عليها أن تبدأ من شبه لا شيء؛ لأنها لم يكن عندها شيء مما يجب أن يكون عند أمة عظيمة.

ففي صيف سنة 1939 تمكنت ألمانيا من تعبئة قوة مؤلفة من ستين فرقة مشاة وأربع عشرة فرقة آلية وثلاث فرق جبلية وما ينوف عن الأربعة آلاف طائرة مدمرة وقاذفة وألوف الدبابات والمصفحات، دفعت بها نحو بولندا التي عبأت قوة لا تقل عن ثلث قوة الألمان، فتوغلت جحافل هتلر في الأراضي البولندية تمطرها نارًا وفناءً. وسرعان ما أبيدت قوات بولندا وشلت حركتها تحت الضربات الصاعقة الرهيبة.

يوم كان لألمانيا مثل تلك القوى، لم يكن لدى الولايات المتحدة ما يستحق أن يقارن بقوات دولة صغيرة كبولندا. لم يكن عندنا في تموز سنة 1939 إلا 130.000 مجند في قوى البر والجو. بل بالفعل لم يكن عندنا إلا ثلاث فرق بمعداتها الكاملة، أما الست الباقية فكانت ناقصة السلاح تفتقر للتدريب. هذا بالإضافة إلى فرقتين من سلاح الفرسان، ولم يكن عندنا فرقة واحدة مصفحة! بل لم يزد رجال الدبابات عندنا عن ألف وخمسمئة رجل. وبلغت قوة سلاح الجو عندنا 1175 طائرة يعمل فيها 17.000 رجل. وأضافت الحكومة إلى هذا العدد في صيف وخريف تلك السنة مجموعتين من الرجال مما جعل جيشنا يبلغ 227.000 مسلحًا.

وقد تجمد هذا العدد خلال كامل مدة الأشهر الثمانية التي انتصرت ألمانيا فيها بقسوة على بولندا وجعلت تستعد لاكتساح أوروبا. تقاعسنا عن الاستعداد لأن الشعب الأمريكي ظن أنه لن يناله أحد بسوء وهو قابع وراء المحيطات.

من المؤسف أنه لم يدرك أهمية العلاقة بين ازدهار أمريكا ورفاهيتها وبين وجود عالم حر في القارات الأخرى إلا عدد قليل من الأمريكيين. لم يدرك الخطر المحدق بأمريكا من فرط إهمالها إلا بعض العسكريين المحترفين وبعض الساسة بعيدو النظر ممن أدركوا أن حياد أمريكا في أي نزاع عالمي قد أصبح مستحيلًا في منتصف القرن العشرين.

في ربيع سنة 1940، وبعد أن اجتاحت جيوش هتلر بلاد الدنمرك والنروج واحتلتهما ومن ثم دكت تحصينات فرنسا

وتدفقت تغزو أراضيها بسرعة البرق حتى وقفت على شواطئ المحيط الأطلسي، بدأ الأميركيون يشعرون بالقلق وحراجة الموقف، فزادوا الجيش العامل حتى بلغ 370.0000 مقاتل. هذا بينما خول مجلس الكونغرس الحكومة في شهر آب من تلك السنة أن تجند حرسًا وطنيًا. وبعد ذلك بستة أسابيع، بدأ تجنيد الشباب في جميع الولايات حتى بلغ مجموع جيشها من العدد مليونًا ونصف عام 1941. ولم يكن ذلك العدد إلا حلًا وسطًا بين القائلين بسياسة الحياد والقائلين بالتسلح.

وبينما كانت جيوش ألمانيا تطوي السهول الروسية، واليابان تستعد على قدم وساق لمهاجمتنا، لم تستطع الحكومة استصدار أمر بإرسال قسم من قواتنا المعسكرة في البلاد لدعم معسكراتنا فيما وراء المحيطات، ولكن قبل أن تقوم اليابان بهجومها المفاجئ على بيرل هاربر بأربعة أشهر، انتزعت الحكومة من المجلس قرارًا بأكثرية صوت واحد يخولها الحق في إرسال قواتها إلى ما وراء البحار، وبتمديد مدة الخدمة العسكرية أكثر من سنة، إذ لولا قوة شخصية الجنرال جورج مارشال واتساع نفوذه في البلاد، لما استطاعت الحكومة انتزاع ذلك القرار، وذلك لعدم اقتناع المسؤولين بوجود خطر داهم. وعليه، بينما كانت رحى الحرب تحيط بالكرة الأرضية من جميع أجزائها خارج العالم الجديد، وبينما كانت قوات المحور تنتقل من نصر إلى نصر في سبيل السيادة على المعمورة، كان كل طلب من قبل الحكومة الأمريكية لزيادة قوتها وتراكم معداتها يصطدم باللامبالاة والتراخي من قبل الشعب، فبقي أمر الاستعداد للطوارئ عندنا يتراوح بين مد

وجزر، حتى فاجأتنا ضربة بيرل هاربر، فانفك السحر وتعطلت الطلاسم، فهب الأمريكيون يدافعون عن بقائهم.

من بعد غدر اليابان الأول، ولمدة ثلاث سنوات ونصف، استطاعت الولايات المتحدة أن تنشئ وتنمي آلة حربها العظيمة التي لعبت دورًا مهمًا في إجبار ألمانيا أن تركع على ركبتيها بينما كانت تقوم بالوقت نفسه في خوض حرب حاسمة ضد اليابان وحيدة.

لم يحدث ذلك التغير العظيم في أمريكا في مدة وجيزة، وبالفعل لولا وجود حلفاء لنا شجعان، ولولا بعد الشقة بيننا وبين قوى العدو الضاربة، لما تمكّنا من القيام بما قمنا به. وغني عن البيان أنه لم يوجد بيننا من يستطيع أن يتبصر طريقه ويدرك آخر المعركة. وقليل منا من أدرك ما يتطلب الواجب أن نقوم به كأفراد وكأمة، ولكن مع الأيام تعلم كل منا أن يقوم بالقسط المتوجب عليه.

كنت يوم أعلنت الحرب سنة 1939 في جزر الفلبين، وعلى وشك أن أنهي خدمة أربع سنوات كمساعد لقيادة الجنرال دوغلس ماك آرثر، الذي أسندت إليه مهمة تدريب وإنشاء جيش فلبيني مستقل. فوصلتنا أخبار غزو بولندا، وسمعنا أن رئيس وزراء بريطانيا سيلقي بيانًا. ولما أصغينا إليه في الوقت المعين، أدركنا أن الإمبراطورية البريطانية التحمت مع آلة الحرب الألمانية للمرة الثانية في النصف الأول من القرن العشرين. فصعب علي الأمر لأني أدركت أن الولايات المتحدة لن تتمكن من الوقوف على

الحياد طويلًا.

تحققت أن بلادنا ستشترك في المعمعان، ولكني لم أتبين كيف سيكون اشتراكها. ولذلك ظننت أن اليابان ستقف على الحياد على الأقل إلى أن ننشغل عنها في أوروبا.

بدأ بعض كبار ضباطنا يحدثوني عن تخوفهم من وقوع حرب كونية ثانية منذ سنة 1931، ولم يطل بي الأمر حتى جاريتهم في اعتقادهم هذا، لأني رأيت أن القوى الدكتاتورية في كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان تزداد مطامعها يومًا بعد يوم. ولا بد لتلك المطامع من أن تدفع ذويها للقيام بهجوم على أملاك إنكلترا وفرنسا، ولا بد لهذه إذا استفزت من القيام للدفاع عن حياضها فتقع عندئذ الواقعة. ولما وقع ما ترقبناه خلنا أن هتلر قد أخطأ التقدير بإثارته لقوتي فرنسا وإنكلترا، وظننا أن جيش فرنسا وبحرية بريطانيا سيتمكنان من دحره وإخضاعه، وذلك لما كان ما يزال عالقًا في أذهاننا عن أسطورة قوة الجيش الفرنسي. هذا ما خلناه، رغم ما سمعنا من آراء مؤداها أن القيادة الألمانية عجمت عودها وعود أخصامها، وخرجت بنتيجة أن في مقدورها تحطيم قوى الحلفاء بهجوم صاعق لا مجال فيه لاستعداد وترقب.

وأنا شخصيًا شعرت منذ أن سمعت أن الحرب قد أعلنت، بأن الواجب يدعوني للرجوع إلى أرض الوطن، وعليه ذهبت توًا لزيارة رئيس جمهورية الفاسدين، وأخبرته عن عزمي الذهاب إلى أمريكا لأتمكن من القيام بقسطي في الاستعدادات الحية التي لا بد للولايات المتحدة من القيام بها لمواجهة الأحداث، ولكن

الرئيس كيزون ألح علي بأن أبقى، فرفضت ورجوته أن يسمح بذهابي قبل نهاية السنة، ففعل.

لما غادرنا مانيلا عاصمة الفلبين، أنا وامرأتي وابني جون، رافقنا الجنرال ماك آرثر إلى ظهر السفينة لوداعنا، فقضيت اللحظات الأخيرة برفقته في التحدث عن المآسي التي تنتظر العالم عامة والأوربيين خاصة. ثم ودعناه وسرنا، ولم تقع عيني عليه بعد ذلك إلا بعد أن انتهت الحرب وأصبحت رئيسا لأركان حرب الجيش الأمريكي، فزرته في مركز قيادته في طوكيو.

عرّجت في طريقي على بلاد اليابان، ثم وصلت أميركا في أوائل كانون الثاني سنة 1940. وفي الحال جرى تعييني في منصب تدريبي في الفرقة الخامسة عشرة المعسكرة في قلعة لويس في واشنطن بعد أن مضت عليّ ثماني سنوات في المكتب بين المقاعد والإضبارات. وبحكم منصبي الجديد تمكنت من الاختلاط بالجنود والضباط مباشرة، كما ازددت خبرة بالأسلحة وأنواعها.

لا مراء في أن الجندي المحترف لا يطمع في مركز أفضل من المركز الذي عينت فيه في زمن انتشرت فيه ألوية الحرب في كل قطر حتى أخذت تقترب من الديار الأمريكية. وكانت فرقتي مؤلفة على الأكثر من فئتين: الأولى فئة الجنود القدامى الذين خدموا في الصين قبل سنة 1938، والثانية فئة المجندين الجدد الذين يفتقرون إلى التدريب والترويض، وكانت الغاية من دمج القدامى بالجدد اكتساب هؤلاء روح الجندية الحقة حتى إذا أتقنوها بفنونها وحركاتها فُصلوا ليصبحوا بدورهم معلمين ومدربين لمجندين

جدد، وهكذا دواليك يندمج القديم بالجديد ليجعل منه جنديًا بالفعل حتى تتمكن الحكومة من تجنيد عشرات ومئات الألوف بل الملايين الذين قد تحتاج إليهم إذا ما هاجمها العدو واضطرت لأن تدافع عن نفسها. وبالفعل، فقد أصبح الجنود القدامى نواة مهمة لقوة هائلة أخذت تتكاثف وتتكاثر بسرعة، ولقد تسنى في زحمة هذا التجنيد والتدريب للمحترفين أن يظهروا مواهبهم ويقدموا خدماتهم على أكمل وجه.

لا بد لي أن أذكر بكل أسف، أنه في أوائل سنة 1940 كانت نفسية الجيش الأميركي تعكس نفسية الشعب، كما هي الحالة دائمًا في الماضي والحاضر، وهي نفسية اللامبالاة والتراخي كأن ما يحدث في العالم لا يعنيهم، وكان الضباط يفضلون التريّض وسائر أنواع اللهو على التدريب والترويض، واستسلم أكثرهم إلى نوع من نمط الحياة الهادئة حتى باتوا لا يشعرون بأي جديد ويستخفون بكل رأي لا يجاري هواهم، ولما كانت الترقية بحسب الأقدمية، لا بموجب النشاط والإبداع، راح الكل لا يبالي بأي تدريب أو إبداء أي جهد. والذي هو أسوأ من ذلك أن الكثيرين منهم اعتقدوا أن أيام جنود المشاة قد ولت لغير رجعة، فما لهم إذًا وللتدريب وكثرة التعب! والذي زاد في يقينهم ذلك أنهم رأوا القيادة العليا تأمر بتخفيض المشاة الذين كان عددهم 56.000 سنة 1939 إلى 49.000 سنة 1940.

وإذا التفتنا إلى حالة الأسلحة لرأينا أنها أكثر بلبلة من حالة الجنود، إذ أن البندقية التي استعملها جيشنا في السابق أصبحت قديمة لا تؤدي الغرض في معركة جديدة، وليس في الوجود شيء

أفضل منها، كما وأن معامل الأسلحة لم تصنع شيئًا مما يساعد على صد أية دبابة وتهديد أية طائرة، وعوضا عن أن يتسلم الجنود أسلحة فعلية تسلموا نماذج من خشب تمثل المدافع الرشاشة والمورتر.

وأسوأ من كل ذلك، الطريقة في التمرين؛ لأنها اقتصرت على مسح السلاح فقط وكيفية الطعن بالحربة واستعراض السرايا والفصائل، أما التدريب على فن الهجوم والدفاع والاختباء للعدو، أو المفاجآت وما إليه من الحركات العسكرية، فكانت مهملة. فنتج عن ذلك أن لا الجنود ولا الضباط كانت لهم أية فكرة عن معركة حقيقية.

كانت المشكلة الكبرى لدى وزارتنا الحربية، نفسية. وهي التراخي وعدم الاهتمام، حتى إنه بعد أن سقطت فرنسا في شهر أيار سنة 1940 لم نستطع أن نقدر خطورة الحالة، وإليك مثلًا على ذلك:

في اليوم نفسه الذي وقّعت فيه فرنسا وثيقة استسلامها، وقف أحد قادة فرقنا وجندي قديم يراهن على أن بريطانيا لن تستطيع الصمود أكثر من ستة أسابيع، وكأنه يراهن على ما إذا كانت ستمطر في الغد أم لا. ولم يخطر على باله أن الأمر يعنيه لأن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تقف بيننا وبين خطر داهم. لم يكن موقف أكثرية الشعب الأميركي وضباطه وجنوده يختلف عن موقف ذلك القائد. ولولا وجود نفر قليل في بعض دوائرنا ممن وعي خطورة الموقف لفاجأتنا الأحداث بما لا نشتهي.

وإليك مثلًا آخر عن عقلية الأمريكيين يومذاك: أصدرت القيادة

العامة أوامرها بوجوب تدريب الجيش على ما يشبه معركة حقيقية مع ما يخالطها من ملابسات ومشتقات. تخوّف الضباط من أن يؤدي ذلك إلى انفجار في الصفوف، حتى تحاشوا تعريض جنودهم لحر الشمس أو الزمهرير. فالجندي الذي لا يستطيع تحمل الحرارة والبرد كيف ينتظر منه أن يتحمل نيران المعارك؟!

ومع ذلك، فإن القيادة لم تيأس، بل تقدمت وئيدًا وبخطوات ثابتة تعالج الوضع مستمدة الهمة والإقدام من ذلك الجندي الكبير: الجنرال مارشال؛ فاتخذت عدة وسائل لتلافي ما أصبنا به من استسلام وطمأنينة، وتوسلت بدعايات صحفية وصور وخطب تهدف جميعها إلى الحذر والتأهب للوقوف في وجه الملمات على قدم الاستعداد مهما كانت المشقات والتضحيات.

وبعد أن وافق المجلس على المزيد من المصروفات، أصبحت ترى في ربيع سنة 1941 كل معسكر في حركة دائبة من أجل بناء جيش الولايات المتحدة، فاندمجت قوى الحرس الوطني والمتطوعين والجيش النظامي في جبهة واحدة، وأخذت تنمو وتتعاظم بسرعة بما أضيف إليها من مئات ألوف المجندين الجدد، فقامت مدن من الخيم والمعسكرات بما يلزمها من متطلبات الحياة العصرية، كالمستشفيات والكهرباء وأجهزة الماء وآلات النقل وغيرها وغيرها الكثير.

كان هدفنا الأول الحصول على رجال أقوياء الأبدان أصحاء متعلمين عسكريًا وفنيًا مطيعين للأوامر، متعاونين في السرايا والفصائل والفرق والجيوش، معتزين برسالة الجندية وما تحتله

من إباء وشرف. أما مسألة إخراج جنود متمرسين بالقتال، متخشنين في المعارك، مستعدين أن يخوضوا دربًا فعلية، فتلك أمنية لم نطمع بنيلها؛ لأن الرأي العام لم يكن قد استعد لقبول تطبيق مثل هذه الخشونة على أولادهم.

وعلى كل، فإن ذلك الهدف المحدود قد استغرق معظم وقتنا، واستنفد مجهودنا بما أجراه الضباط وموظفو القيادات من دورات تفتيشية وتخطيطات وإصدار أوامر وتوجيهات، وبما قاموا به من نشاط للتوفيق بين ما تلقوه من أوامر وتعليمات وما أمكن من تطبيقات، وما توجب من توزيع الرجال والعربات والمؤن والمعدات وإلى ما هنالك مما تقتضيه عملية تضخيم الجيش بطريقة سريعة أملتها علينا الحوادث. وأكثر ما آلمنا في زحمة ذلك النشاط هو نقص الوارد إلينا من معدات وتجهيزات.

وفي شهر حزيران من سنة 1941 صدرت إلي الأوامر بالانتقال إلى معسكر الجيش الثالث بقيادة الجنرال ولتر كروجر، حيث عينت مساعدًا لأركان حربه، فتسنى لي الاطلاع هنالك على ما يعانيه الجيش الأمريكي عامة من مشكلات تتمركز جميعها حول نقص المدربين والمعدات. ولكني عرفت أيضا أن التقدم يسير حثيثا في الجيوش الأربعة التي اقتضى التكتيك العسكري تقسيم قوانا بموجبها.

فإذا قورنت الحالة في صيف سنة 1941 بما سبقها بسنة، لوجد أن التحسن كان ظاهرًا واضحًا؛ إذ بلغ عديد جيشنا ما يقارب المليون ونصف ضابط وجندي، لكنه يعاني نقصًا بيّنًا في العربات

والدبابات الحديثة والمدافع المضادة للطائرات. وطائرات المساندة كانت لا تزال شبه معدومة. وقد اتضح لي أكثر من ذلك أن هنالك حالة غريبة، وهي وجود جيش أغرار كبير العدد يدربه ضباط تطرق إليهم العجز، وحدّت السنون من نشاطهم، لهم عقلياتهم الخاصة التي حالت دون إقامة أي تفاهم بينهم وبين جنودهم.

وإذا أخذنا الجنرال كروجر كمثل، لرأينا بأنه ضابط مسن ترقي من جندي إلى عريف فنائب فضابط، ولرأينا أنه كان جنديًا مشهودًا له سنة 1890 فماذا ينتظر منه في سنة 1941؟ على أن الجنرال كروجر ذو عقلية متطورة استطاع أن يطور أساليبه مع الزمن ويحتفظ بنشاطه، وقلّما وجد عندنا من يباريه في إدراك ما تتطلبه حرب حديثة من الجيش؛ فأنا ليس لي مأخذ أو انتقاد عليه، بل إني معجب به كل الإعجاب، لكني أوردت ذكره لأعطي القارئ صورة عما كانت عليه الحالة عندنا عن عدم وجود ضباط متوسطي الأعمار يقيمون جسرًا من التفاهم بين أبناء العشرين وأبناء الستين والسبعين. وذلك لأن التفكير السلمي طغى على البلاد بعد الحرب الأولى حتى لم يقبل على الجندية إلا عدد ضئيلٌ جدًا بينما كانت الدول الأوروبية واليابان تدعو شبانها للتدريب سنويًا.

بعد أن استقريت في مركزي الجديد، صدرت الأوامر إلى الجيش الثالث أن يقوم بتحركات عسكرية (مناورة) على مدى واسع في ولاية لويزيانا، حيث عليه أن يقوم بمعركة شبه حقيقية ضد الجيش الثاني لإجراء اختبار فعلي بين الجيوش في حرب حديثة، على أمل أن تكشف التجربة أوجه النجاح وأوجه النقص،

ولتصفية ذي الأهلية من العاجز. فاستطعنا أن نجني من تلك المناورة دروسًا وعبرًا كثيرة لأنه لم يكن بين قادتنا من تمرن في قيادة أكثر من فرقة أو فوج، أما القيام بعملية حربية بين جيشين يبلغ مجموع عددهما نصف مليون جندي فكان شيئًا غريبا عنا، وعليه فإن تلك العملية علمتنا كيف يجب أن يكون التعاون بين الوحدات المختلفة وكيف يجب أن توزع المؤن والذخائر، كما أنها أتاحت للبعض أن يظهروا مواهبهم ويتحملوا المسؤوليات الجسام حتى تجري ترقيتهم ويحري تعيينهم في المناصب التي تليق بهم.

بعد أن تمت المناورة ورجعت إلى مقر عملي وبدأت أستسلم إلى الراحة، أصدرت أوامري عشية السابع من شهر كانون الأول بألّا يوقظني أحد بعد أن آوي إلى فراشي مهما كانت الظروف. ثم استلقيت على سريري وجعلت أفكر كيف سأقضي عطلة الأسبوعين التي حصلت عليها بين امرأتي وإخوتي وأولادي. ولم أكد أستسلم إلى سنة النوم حتى أيقظني قرع شديد على الباب وما فتحته إلا وأخبرني مساعدي أننا أصبحنا في حالة حرب! فشعرت بحرج الحالة وانزعجت لفشل الحلم الذي ساورني بقضاء أسبوعين بين أفراد عائلتي.

وبعد ساعة من الهجوم على بيرل هاربر، بدأت الأوامر تنهال على قيادة الجيش الثالث من الوزارة، بعضها يوعز بنقل مدفعية مضادة للطائرات إلى الشواطئ الغربية حيث صورت موجة الذعر هنالك للسكان بأن الطائرات اليابانية تحلق في سمائهم، وبعضها يقضي بأخذ إجراءات ضد عمليات التخريب، ولحراسة بيوت الصناعة ومرافئ الخليج المكسيكي، ولإرسال دوريات

للقبض على الجواسيس الذين قد يتسربون من حدود المكسيك. كما أنه صدرت أوامر بنقل بعض الوحدات العسكرية إلى الشواطئ الغربية خوفًا من وقوع أي هجوم ياباني. فجعلنا نحن بدورنا نصدر الأوامر إلى الوحدات ونراقب سيرها.

فقد فرضت علينا المفاجأة أن نخرج على المألوف في تنفيذ الأوامر؛ فجعلت الوحدات تتحرك بأمر تلفوني لا خطي. ونقلت المدافع أحيانًا بسيارات الإسعاف، ونقل الجنود في سيارات معطلة أو في المواعين النهرية.

بعد مضي خمسة أيام على هذه الحالة المضنية، رن جرس الهاتف الذي يصلنا بوزارة الحربية في صباح الثاني عشر من كانون الأول، وما كدت أضع السماعة على أذني حتى سألني أحدهم «أهذا أنت يا إيك؟» قلت «نعم».

«إن الرئيس يأمرك بأن تركب طائرة وتأتي إلى هنا في الحال. أخبر رئيسك أن الأوامر الرسمية في ذلك ستصل في حينه».

كان المتكلم هو الزعيم ولتر بدل سمث، الذي قدر له أن يصبح فيما بعد من أعز أصحابي ورئيس أركان حربي أثناء العمليات الحربية في أوروبا. والقارئ يدرك أن الرئيس هو الجنرال مارشال.

كانت الصدمة شديدة الوطأة علي، وذلك لأني في الحرب الأولى رغبت أن أشترك في العمليات الحربية وأنا في الميدان، ولكن القيادة عينتني في مركز إداري. واليوم بعد أن تعودت على الحياة في المعسكرات واختلطت بالضباط والجنود، جزعت من أن

تأمرني الوزارة بالبقاء فيها لاستشارتي في واشنطن عن الفلبين وأخذ رأيي في أحوالها وعن أفضل الطرق للدفاع عنها. إن نفسي تعاف مثل هذه المهنة، وأفضّل الاشتراك بالعمليات العسكرية، وبقلب حزين اتصلت هاتفيًا بامرأتي وأخبرتها أن تعد ثيابي لأني بعد ساعة سأنتقل إلى واشنطن.

خلت في البدء أن الجنرال مارشال مهتم بأمر الدفاع عن الفلبين، وهو يريد أن يبقيني إلى جانبه في الوزارة، وجزعت كما سلف لي القول، لكني لم أكن أعرف ما تخبئه الأقدار لي من مسؤوليات وراء هذه السفرة، كما سيطلع القارئ فيما يلي من صفحات.

الفَصلُ الثّاني
حرب كونية

أعلنت عن وصولي إلى مقر الجنرال مارشال في صباح الأحد الواقع في 14 كانون الأول سنة 1941، ولأول مرة في حياتي تكلمت معه أكثر من دقيقتين كاملتين.

وأطلعني مباشرة ودون مقدمات على مجاري الأمور في المحيط الهادئ في البحر والبر.

أما بحرًا، فالأسطول لن يتمكن من القيام بعمليات كبرى قبل مضي بضعة أشهر، وأنّ أيًا من حاملات طائراتنا في بيرل هاربر لم تصب بأي أذى؛ لأنها كانت بعيدة عن مركز الهجوم الياباني. لكن السفن المساعدة للحاملات، أصبحت قليلة العدد حتى أمرَتْ ألا تفرط بذاتها وتدخل أي معركة. وزيادة على ذلك، لم يكن هنالك أي تأكيد بأن اليابانيين لا يستغلون ضعفنا ويقومون بهجوم برمائي سريع على جزيرة هواي، أو على بلادنا نفسها. ولذلك فإن البحرية تشعر بأنها يجب أن تحتفظ بالحاملات لتراقب تحركات العدو إلى أن تتغير الأحوال ونتمكن من استعمالها لغاية أخرى. وقد أطلعت وزارة البحرية الجنرال مارشال أن ليس لديها أي تقدير للوقت الذي يلزم لإصلاح الأسطول ودعمه حتى يصبح قادرًا على أن يقوم بعمل هجومي في المحيط الهادي.

كان معسكرنا ضعيفًا في هاواي لدرجة جعلت البحرية والحربية

تتفقان على إرسال المدد إليه على وجه السرعة، ومده بالطائرات، وذلك قبل إرسال المعونة إلى أي مكان آخر في الباسفيكي.

البوارج الحربية الأمريكية تحرس قافلة متجهة إلى إحدى الجبهات الحليفة

عندما قامت اليابان بهجومها، كانت القوات الأمريكية في جزر الفلبين قد بلغت ثلاثين ألف مقاتل تدعمها ثلاث وحدات من مدفعية الميدان ووحدة من المدفعية المضادة للطائرات، وفصيلتان من الدبابات. وكان لنا هنالك خمس وثلاثون قاذفة قنابل من الطراز الحديث (B - 17) ومئتان وعشرون مقاتلة بعضها لا يصلح للعمليات. وقد عرف الجنرال مارشال أن تلك القوي قد أصيبت بخسائر منذ أول هجوم ياباني عليها، لكنه لم يتبين مدى تلك الخسائر. وعرف أن قواتنا هنالك ينقصها بعض المعدات الضرورية. ولكن هذا النقص لم يتناول الغذاء والذخائر، لأن الكمية الموجودة منهما تكفي زمنا إذا تمكن المعسكر أن يبعدها عن خطر العدو.

أما قواتنا البحرية في تلك النواحي فلم تكن كافية لصد أي عدوان... ولذلك تمكن اليابانيون من تعطيل أرصفة الأسطول في مرفأ مانيلا بقاذفاتهم في العاشر من كانون الأول، فاضطرت غواصاتنا أن تتوارى عن الأنظار، وما تبقى من سفن أن تنسحب، لأن جميع الدلائل كانت تشير إلى أن اليابانيين قد صمموا أن يجتاحوا جزر الفلبين بأسرع ما يمكن. والمشكل كان كيف يجب

أن نتدبر أمرنا تجاه ذلك الخطر.

أخبرني الجنرال مارشال كل ذلك في ظرف عشرين دقيقة، وفجأة ألقى علي هذا السؤال: «ماذا يجب أن تكون خطتنا في العمل». وفي لحظة أجبته: «أمهلني بضع ساعات لأفكر» فختم بقوله: «ليكن ذلك» ثم ودعته وانصرفت.

لم يلمح الجنرال مارشال في حديثه معي من قريب أو بعيد عن أهم عنصر في المشكلة وهو التأثيرات النفسية التي نتجت عن معركة الفلبين، وذلك لأنه لا شك شعر أني إذا كنت أجهل هذه الناحية ولا أقدرها كأمريكي فلا أستحق أن أضع على كتفي شارة لواء.

انصرفت بعد ذلك إلى مكتبي في غرفة في دائرة التخطيطات الحربية وجعلت أفكر في مخطط واضح صريح يجعلني خليقًا بأن أساعد الرئيس في مهمته، ويساعدني على كسب ثقته. ومما فهمته منه أن وضعنا في المحيط الهادئ كان حرجًا، ولا يستطيع أسطولنا هنالك أن يقوم بأية محاولة هجومية بعيدة عن قاعدة أمينة، ولا يجرؤ أن يجازف بإرسال سفن عائمة إلى المياه الفلبينية.

وزيادة على ذلك كانت أمامنا مطالب عديدة ومتنوعة صادرة من أمكنة مختلفة بعضها جاء من الشواطئ الغربية وبعضها جاء من جزر هاواي وأخرى من رؤساء بلديات ومن أعضاء الكونغرس؛ طلبات لو حاولنا تلبيتها جميعها لاستنفدنا محمول جميع السفن التي في حوزتنا.

ومن الجلي أن إرسال المدد إلى الفلبين كاد أن يكون مستحيلًا في مثل تلك الظروف. فرأيت أنه إنْ كان لا بد من مساعدة جيشنا في جزر الفلبين ليطيل أمد مقاومته، فيجب أن نستعيض عن السفن العائمة بالغواصات، وببعض الطائرات بعيدة المدى. ورأيت أننا نستطيع أن ننشئ لنا قاعدة أمينة وقريبة من الفلبين في شرقي أستراليا. ولكن لكي نتخذ من أستراليا قاعدة يتحتم علينا أن نؤمن خط مواصلاتنا إليها. ومن أجل ذلك يجب أن نحتفظ بقواعدنا في هاواي وجزر فيجي ونيوزيلنده وكليدونيا الجديدة، كما يجب أن نؤمن الدفاع عن أستراليا نفسها. وتراءى لي أن من الممكن الاحتفاظ بممتلكات هولندة في جزر الهند الشرقية التي تحسب من أغنى بقاع العالم في مواردها، ومنع اليابان من غزوها والاستفادة من نفطها تراءى لي أنه إذا تمكنا من ذلك فستضطرها حاجتها إلى النفط أن تتوقف عن مواصلة هجماتها... فنستطيع عندئذ أن نؤمن قواعد لطائراتنا المقاتلة لأنها ضرورية جدًا في عملياتنا الدفاعية.

وباختصار، رأيت وأنا مختلٍ في مكتبي، أنه مهما كانت المصاعب والمخاطر، لا يليق بأمة عظيمة كالولايات المتحدة، مهما كانت عليه من ضعف الاستعداد، أن تدير ظهرها لشعب الفلبين وللجيش والسكان الأمريكيين المقيمين هناك، ولذلك يتحتم علينا أن نرسل كل ما هو ضروري، إما بواسطة الطائرات أو بواسطة الغواصات، حتى نمكن جنودنا من الصمود ما أمكن. وإذا ما وقعت الكارثة، فيعزينا أنا قمنا بما نستطيع ولا لوم على من بذل جهده ولو فشل. ورأيت أنه يجب الاحتفاظ بخطوط مواصلاتنا

مع أستراليا ونيوزيلنده وجزر الفيجي وهاواي.

لما وصلت إلى تلك النتيجة، استأذنت بالدخول على الرئيس، وقلت «أيها القائد إننا لا نستطيع أن نرسل المدد الكافي إلى جزر الفلبين إلا بعد زمن طويل قد يكون أطول مما يستطيع جيشنا أن يصمد هناك. ولكن الواجب يحتم علينا أن نمده الآن بما نستطيع. وإن شعوب الصين والفلبين وجزر الهند الشرقية تنظر إلى ما نفعل. وقد يجدون لنا عذرًا إذا حاولنا وأخفقنا. ولكنهم لن يعذرونا إذا ترددنا وتقاعسنا. ولا شك أن احتفاظنا بثقة وصداقة هذه الشعوب مهم لنا. وعليه، يجب أن نتخذ أستراليا قاعدة لنا كما يجب أن نبدأ في الحال بإعدادها وتأمين مواصلاتها. يجب ألّا نتردد أبدًا، بل نسير قدمًا ونضحي ما أمكن بالمال والمعدات من أجل هذه الغاية».

لم يجب الجنرال مارشال على قولي بأكثر من قوله: «إني أتفق معك في الرأي»، ودلتني لهجته على أنه هو نفسه كان قد توصل إلى النتيجة ذاتها، ولم يستشرني إلا ليتحقق من صحتها. ثم أضاف «ابذل جهدك في سبيل إنقاذهم»، فاكتفيت بذلك وخرجت لأواصل عملي. وكان شريكي في مهمتي هذه المرة اللواء برب هون سمرفيلد، رئيس دائرة التموين الحربية. وكنت أجتمع معه كل يوم مهما كانت الظروف، لنجد حلولًا للمشكلات التي انتصبت لتتحدانا. وقد أبدى الجنرال مارشال من جهته كل اهتمام بما نفعل. وكثيرًا ما كان يقترح علينا اتخاذ بعض الإجراءات التي كانت تنير السبل أمامنا. وعلى الأخص ما كان منها يتناول الناحية المعنوية، فقد نوه بمكافأة كل وحدة من الوحدات العسكرية العاملة

في الفلبين. وأصدر أمرًا بترقية الجنرال ماك آرثر إلى أعلى الرتب العسكرية المعروفة في الولايات المتحدة. كما منحه أعلى الأوسمة. ولا أستطيع إلا أن أنوه بما جاد علينا به من عطف واهتمام.

وفي 22 كانون الأول، لما وصلت قافلة بنسكولا إلى مرفأ بريزبين، باشرنا بإنشاء قاعدتنا في أستراليا. ولم يكن وصول تلك القافلة إلا مصادفة؛ وذلك لأنه يوم شن اليابانيون هجومهم على بيرل هاربر، كانت بعض من سفننا تحمل الجنود والطائرات والمعدات في طريقها إلى جزر الفلبين، فأمرتها قيادة البحرية إما أن تعود إلى الولايات المتحدة أو تلتجئ إلى مرفأ هاواي، خوفًا من أن تقع في حبال اليابانيين. فأما السفن التي كانت قريبةً من الولايات المتحدة فقد رجعت إلى مرافئها، وأما السفن الخمس البعيدة فأمرت بأن تتجه إلى أستراليا حيث أنزلت خمسة آلاف جندي وكمية لا بأس بها من الأسلحة والمعدات. وهكذا تكونت نواة القوة الهائلة التي أنشئت في أستراليا ومكنت ماك آرثر من أن يقوم فيما بعد بعملياته الهجومية على اليابان ومن أن يقوم بتحرير جزر الفلبين.

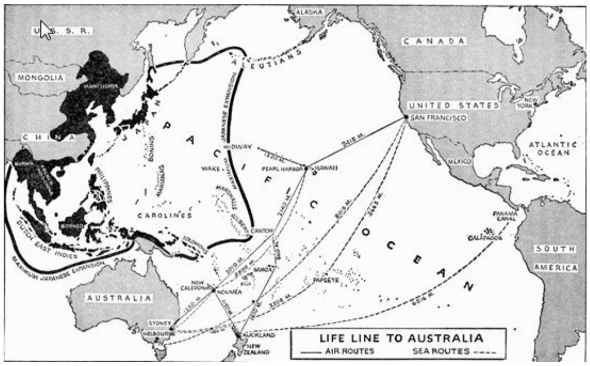

طريق التموين إلى أستراليا

طرق جوية..... طرق بحرية

ومنذ ذلك اليوم واصلنا إرسال المدد إلى قاعدتنا في أستراليا وغيرها من الجزر التي اتخذناها كرؤوس جسور لعملياتنا، حتى أصبحت قوتنا العسكرية في 21 شباط من سنة (؟؟؟) مكونة من (245.000) مقاتلًا معظمهم كان في المحيط الهادي. هذا بالإضافة إلى نحو من ثلاثين ألف مقاتل في ألاسكا وجزر ألوشيان. وبلغ عديد جيشنا في البحر الكاريبي ثمانين ألفًا. ولم تزد قواتنا على المسرح الأوروبي عن أربعة آلاف ضابط وجندي حتى ذلك التاريخ، ولكن كان لنا في الطريق فرقتان تتجهان إلى هناك، كما أنشأنا قوة في جزيرة آيسلنده تتألف من ستة عشر ألفًا. ومع أنه في ذلك الزمن لم تكن قواتنا قد اشتركت في الحرب إلا في جزر الفلبين، كان على القيادة أن تشمل باهتمامها كل بقعة من اليابسة والبحار في كل أنحاء المعمورة، ففي ألاسكا مثلاَ، كانت جبهتنا مفتوحة لأي هجوم يقوم به العدو طمعا في اتخاذ قاعدة جوية وبرية له هناك، وكان يلزمنا أن نحتفظ بشواطئ البرازيل لكي نتمكن من اصطياد الغواصات التي قد تهدد خطوط

مواصلاتنا. بالإضافة إلى ذلك فإن تلك النواحي كانت ضرورية لنا في مواصلاتنا الجوية عبر المحيط الأطلسي، لأنه بعد أن استطاع الألمان سد منافذ البحر المتوسط، أصبحت أقصر طريق لنا إلى الشرق الأوسط هي أواسط إفريقيا. وبذلك كان لا بد لنا من إقامة مطارات في تلك القارة الحارة.

وكانت روسيا يومئذ حليفة لنا، وكان علينا أن نتخذ أفضل الوسائل لإيصال مساعداتنا لها حتى تستطيع الصمود أمام العدو المشترك. ومن الأمكنة الضرورية لنا كان الشرق العربي بما يحتوي من موارد النفط الغنية، وكان إبقاؤه خارج نفوذ المحور ضروريًا لغايتين: الأولى الوصول منه إلى روسيا عن طريق إيران، والثانية الثروة البترولية الحيوية للحلفاء جميعا. زد على ذلك ما توجب علينا من تحصين لعشرات الجزر في المحيط الهادي. كما وأننا لم نستطع أن نهمل بورما التي تشكل الممر الوحيد لإرسال المعدات إلى حلفائنا في الصين.

تحتم على وزارة الدفاع أن تجد مخططًا للعمليات العسكرية ضد ألمانيا واليابان، لأن هذين العدوين كانا بعيدي الشقة عن بعضهما، وكل منهما يتسلط على إمبراطورية واسعة غزيرة الموارد، وافرة الرجال، معززة القوى، وكان علينا أن نستعد لغزوهما وسحقهما.

زارنا في واشنطن في أواخر كانون الأول سنة 1941 المستر تشرشل ترافقه هيئة أركان حربه المؤلفة من الأميرال السير ددلي باوند ممثلًا بحريا والجنرال السير آلن بروك عن الجيش، والمارشال السير تشارلز بورتل رئيس القوى الجوية. وقد جرى

اتصال هيئتي أركان الحرب الأمريكية والإنكليزية في جناح دائرة التخطيط الحربي التي يرأسها الجنرال جيرو.

وكان الغرض من المؤتمر الوصول إلى غايتين رئيستين: الأولى اتصال القيادة الإنكليزية بالقيادة الأمريكية لكي تستطيع الاثنتان أن تقوما بجهد موحد في الحرب، ولتنسيق ذلك تقرر أن يلتحق أحد أركان القادة الإنكليز بالقيادة الأمريكية، وأن يلتحق أحد أركان القيادة الأمريكية بمركز القيادة الإنكليزية. وقد شغل الجنرال دل مركز ارتباط الإنكليز بالأميركيين في واشنطن بنجاح إلى أن توفي سنة 1944. والثانية تثبيت ما سبق أن تقرر وهو تعيين الجبهة التي يجب أن تعطى الأفضلية في تجميع القوى لضرب العدو.

فاستقر الرأي على أن نهاجم عدونا في أوروبا ونسحق الهتلرية فيها. ولا شك في أنه بحثت عدة مواضيع أخرى لم أستطع الإحاطة بها ونشاطي لا يتعدى هامش المؤتمر.

وإذا حاولنا أن نبسط الأسباب التي جعلت المؤتمرين يقرروا مهاجمة ألمانيا أولًا، نرى أنها هي العدو الوحيد الذي تستطيع قوى الحلفاء الثلاث بريطانيا وروسيا وأمريكا أن تهاجمه دفعة واحدة. فطبيعة الحرب جعلت كلًا من روسيا وإنكلترا تركزان جهودهما ضد ألمانيا. ولم يبق مجال للاختيار إلا أمام أمريكا التي رأت من الحكمة مجاراة حليفتيها لأنها إذا ما ركزت جهودها ضد اليابان فقط ستتمكن ألمانيا منهما وتسحقهما، فتضطر الولايات المتحدة عندئذ، بعد انتصارها على اليابان، أن تواجه ألمانيا

وحيدة. ولم يكن يومئذ من يستطيع أن يتنبأ بالزمن الذي تستطيع أن تصمد فيه روسيا تحت مطرقة الجيش الألماني الرهيب. ففضلت الولايات المتحدة أن تركز قوتها في أوروبا.

الفَصلُ الثالِثُ

تبديل في القيادة ووزارة الحربية

في أوائل كانون الثاني من سنة 1942 أعلن رئيس أركان الجيش عن عزمه إجراء تعديل في وزارة الحربية ووسائل الدفاع حتى تصبح أكثر فعالية وأقدر على مواجهة الأحوال. وسبق أن رأى أن القوانين المعمول بها في الوزارة زمن السلم لا يمكن أن تتحمل زحمة الحوادث في عراك مستمر ولذلك عين الزعيم وليم هريسن ليبحث عن مواطن الضعف فيها ووسائل معالجتها. فقام الزعيم بالمهمة على خير وجه، لكن العلاج تأخر إلى ما بعد هجوم اليابان الغادر. فوضع أمر التعديل والتنظيم بين يدي الجنرال جوزيف مكنارني؛ وهو قائد ذو عقل حصيف وعزم لا يفل، ويتحلى بجميع المواهب التي تؤهله لأن يقضي على الفساد ويزيل العراقيل ويستأصل كل ما من شأنه أن يؤخر النشاط.

وارتأى الرئيس في الوقت نفسه تعيين لجنة تتناول مهمتها جمع المعلومات الحربية واكتشاف النقط الاستراتيجي، وإطلاعه عليها، وأناط بها أيضًا تلقي الأوامر منه مباشرة وإيصالها لمن يعنيهم الأمر، ولما ألفت اللجنة أطلق عليها اسم فرقة العمليات الحربية التابعة لهيئة أركان الحرب العامة. وفي التاسع من شهر آذار رقيت إلى رتبة جنرال وأسندت إلي رئاسة الدائرة الحديثة. وجدت أن الأعمال أخذت تتراكم علي في منصبي الجديد، حتى إنه لم يتح لي الوقت فرصة لشكر الجنرال مارشال الذي رقاني إلى أعلى

رتبة يصل إليها قائد أميركي محترف في زمن السلم.

لم يكن في البدء لدى وزارة الحربية دائرة استخبارات يركن إليها، وذلك لأنه من طبع الأميركي في زمن السلم أن يحتقر كل ما له علاقة بالتجسس والجواسيس.

هذا من جهة، ومن الجهة الثانية لم تعتنِ القيادة العامة قبل الحرب بجمع المعلومات عما يجري خارج بلادها، ولم ترصد شيئًا في ميزانية الدولة للتجسس، فنتج عن ذلك نقص فاضح في معلوماتنا عن قوات أعدائنا. ومن يجهل الكثير عن عدوه لا يستطيع أن يتخذ خطوات فعالة في سبيل القضاء عليه.

جرت العادة أن تعين الحكومة ملحقين عسكريين في سفاراتها لدى الدول الأجنبية حسب العرف والعادة عند سائر الدول. لكننا لم نرصد نفقات لملحقينا كما يفعل الغير، فكان يشغل المركز من مكّنته ماليته أن يقوم بالمهمة، لا من يتحلى بالصفات التي تؤهله لأن يتسقط الأخبار ويجمع المعلومات ويمحصها ويميز بين غثها وسمينها. ولما بدأنا نطلب معلوماتهم رأيناها مبهمة مشوشة تضر أكثر مما تنفع. ولما تحرينا الحقائق وجدنا ما يطالنا أكثر مما يطالهم لأننا لم نضع تلك الدائرة على أسس صحيحة من البدء، وذلك بانتقاء شبان ذوي عقول ثاقبة ومقدرة على تسقط المعلومات من مصادرها نعدهم إعدادًا فنيًا وعلميًا وننمي فيهم ملكات الدقة في الملاحظة وكسب ثقة الغير والتعرف على الناس وانتزاع المعلومات منهم دون أن يستفزوا فيهم عوامل الشك والحذر. وأعظم من ذلك أننا لم نضع بين أيديهم المال الذي كثيرًا ما فتح

الأبواب الموصدة وأباح ما تكنه الصدور وتنطوي عليه الخفايا.

وعندما بدا لنا ذلك النقص في دائرة استخباراتنا التي لم تقدر نفسها حق قدرها ولم تدرك أهمية ذاتها في الحروب ولم تعلم من أين تبدأ وكيف توجه رجالها ليتسللوا إلى صفوف العدو ويطّلعوا على ما يملك من قوى وما يخفي من نوايا وما يضع من خطط، جعلنا نخبط خبط عشواء علنا نقع على بصيص ينير طريقنا.

لنميز أين يقف عدونا منا ومن حلفائنا. فرحنا نسأل كل عائد من الديار الأوروبية عما يعلم عن الحالة فيها. وإليك مثلًا عما جري معنا:

عرفنا في أحد الأيام أن الزعيم جون راتي الذي كان ملحقنا العسكري في رومانيا في أول الحرب، قد عاد إلى أمريكا، وكان ضابطًا نشيطًا. وعندما انحازت رومانيا إلى صف المحور سنة 1940 اعتقلته مدة ثم أرسلته من أحد المرافئ المحايدة إلى بلاده، فأرسلنا في طلبه ليدلي بمعلوماته. وبدا أنه مقتنع بأن ألمانيا لمّا تستعمل كل طاقتها بعد، وأن لديها قوات عسكرية هائلة تستطيع أن تسحق كلا من بريطانيا وروسيا قبل أن تتمكن أمريكا من التدخل، وقال إن لدى ألمانيا أربعين ألف طائرة قاذفة ومقاتلة في الاحتياط، وإن ملاحيها مستعدون لأن يدخلوا المعركة في أية لحظة، وذهب إلى أن ألمانيا قد أعدتهم لغزو بريطانيا، وأضاف أنه ما يزال لدى ألمانيا عدد لا يستهان به من فرق الاحتياط مهيأة للقيام بهجوم ناجح على الجزر البريطانية.

طبعًا لم نستطع أخذ معلومات الزعيم راتي بعين الاعتبار، ولا

سيَّما أن الهجوم الألماني قد صد على أبواب موسكو، فلو كان صحيحًا أن لدى ألمانيا مثل تلك القوة فلماذا لم تستعملها في معركة دائرة يتوقف الكثير على مصيرها. أمن المعقول أن تفضل دولة محاربة أن تتأخر وتتراجع عن تدمير واحتلال هدف عظيم الأهمية كموسكو لكي توفر الاحتياطي لمعركة لا تزال في أحشاء المستقبل؟ ثم إذا كانت أخباره صحيحة عن قوات هتلر الاحتياطية، فأية عملية برمائية تقوم بمحاولتها أمريكا ستبوء بالفشل المرير.

على أن المعلومات التي أطلعنا عليها بعد الحرب أظهرت أن ما قاله الزعيم راتي يستند إلى شيء من الصحة، لأن هتلر ظن أنه يستطيع احتلال روسيا بستين فرقة وما تبقى عنده من احتياطي كان مزمعًا أن يقذف به لاحتلال الشرق الأوسط. وبدا أن القيادة الألمانية كانت مطمئنة إلى أن في مقدورها أن تلعب أي دور ترومه وتقوم بأية مهمة.

لم يكن بيننا من يضع أصابعه على النقص في دائرة التجسس عندنا كالجنرال مارشال، ولكي يتلافاه قام في الخامس من شهر أيار سنة 1942 بتعيين الجنرال جورج سترنيج رئيسًا لها، وهو ضابط خبير حاد الذكاء، متوقد النشاط حازم، وأمر بوضع مبالغ من المال طائلة بين يديه، ولكن أي مبلغ من المال وأي جهد طارئ لا يستطيع أن يؤمن قواعد مضمونة للتجسس ورقباء مستوفي الشروط لتسقط أخبار صحيحة تعطي نتائج سريعة. ولكن مع الزمن استطاع سترنيج أن يبني منظمة واسعة النشاط كبيرة الفعالية. ولا بد من التنويه بأن ما قدمته لنا بريطانيا من معلومات

اطلعت عليها بوسائلها الخاصة عاد علينا بالنفع العميم.

كان ينهال في أثناء الأربع والعشرين ساعة من كل يوم الكثير من التقارير والطلبيات والمعلومات على فرقة العمليات، من كل قارة وجزيرة في المحيط الهادي، ومن بقاع لا تزال في أيدي حلفائنا، وكان بعض هذه الرسائل يعطي معلومات وبعضها يبغي مؤنًا ومعدات وبعضها يطلب معلومات وتوجيهات، كما كان في بعضها كل ما هو سخيف وفي البعض الآخر كل ما هو مهم وفي البعض ما هو مسر وفي الآخر ما هو محزن ومكدر، ولكن كلها تذكر أن الولايات المتحدة تخوض حربًا عالمية يتوقف على نتيجتها مستقبل العالم، وأنها في بعض النواحي لا تزال تنشئ قواعد وفي بعض الجبهات تقاوم من أجل اكتساب الوقت، وهي على كل حال لا تزال في دور الاستعداد لتقوم بهجوم معاكس في أربعة أقطار الأرض. وفي السابع من شهر نيسان وردنا خبر مشؤوم عن قرب سقوط آخر معقل لنا في باتان من جزر الفلبين.

وأول رسالة وصلت من هناك تشير إلى أن الغذاء أصبح في حالة يرثي لها. لم يكن في استطاعتنا أن نجيب على رسائل كهذه بما تحويه من عوامل الغم والكدر إلا بالوعد بأنا سنبذل ما فوق جهدنا في سبيل تحسين الأوضاع عندهم. ولكن في هذه المرة ذكرنا أنه إذا استطاعت باتان الصمود فإن بعض المدد واصل إليها، وأبرقنا بهذا الخصوص إلى القائد يونثان وينريت بأن إحدى الغواصات في طريقها إليهم وأنها ستصل في بضعة أيام وعلى ظهرها بعض المؤن، وطلبنا أن يوافينا بأخبار وصولها، وأن يذكر لنا ما يستجدّ معه وما هو مزمع أن يفعل. وأبرقنا أيضًا إلى الجنرال ماك آرثر

طالبين إليه أن يخبرنا عن الخطط التي أعدها لمداومته إيصال المؤن إلى مانيلا، وعن موعد الوصول من أستراليا لأنه سبق واتخذ مركز قيادته في سدني، كما أبرقنا إلى الجنرال جوزيف ستلول في بورما أن يحاول إرسال بعض الأطعمة جوًا مما عنده من مؤن إلى باتان.

في اليوم التالي وصلنا تقرير من الجنرال وينريت بأن اليابانيين قاموا بهجوم ثقيل على جبهة باتان وبأنهم يتقدمون في وسط مراكز دفاعنا، وأضاف أنهم قصفوا المستشفى للمرة الثانية، مع أنهم قدموا اعتذارًا عن قصفهم إياه في المرة الأولى.

أبرقنا أيضا إلى قواعدنا في أستراليا وفي غيرها من جزر المحيط الهادي مبدين رأينا عن كيفية إنشاء أجهزة الدفاع هناك. وأصدرنا أوامرنا إلى آيسلندا بأن يتسلم القائد بونستيل زمام القيادة هناك حالما يصل ثلثا القوات المزمع أن تعسكر في الجزيرة. وأرسلنا برقية تهنئة إلى الجنرال ونريت باسم الرئيس روزفلت لصمود قواته في وجه الهجوم الياباني العنيف. ثم وجهنا سؤالًا إلى الجنرال ماك آرثر عما إذا أدخل أحدًا من الضباط الهولنديين في هيئة قيادته.

كنا إذا جلسنا لندرس الرسائل التي تصلنا والمعدات أو التعليمات التي سنرسلها نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نعقد مؤتمرات تتمثل فيها قوات الجيش المختلفة، وأحيانًا بعض موظفي الدولة ومدراء الصناعة طمعا في الاستنارة في المواضيع المختلفة التي كان علينا أن نأخذ فيها قرارًا حازمًا. واعتدنا أن نعقد المؤتمرات في

مكتبي، ولكيلا يسقط أحد المواضيع من الدرس التجأنا إلى جهاز ذاتي يبرز المواضيع كل في دوره وبفضل هذا الجهاز لم نستطع تجنب السهو عن درس أي موضوع فحسب، بل لم نسه عن إرسال تعليمات أو أوامر لمن يعنيهم الأمر.

وفي السابع من شهر نيسان، عقد رؤساء الدوائر مؤتمرًا كان علي أن أحضره عن فرقة العمليات الحربية، فتناول المؤتمرون مواضيع معينة من قبل؛ كإرسال طائرات إلى جزر الهند الشرقية الهولندية ونوايا الألمان المبهمة لدينا عن غزوهم لسورية والعراق وتركيا، وهكذا وجدنا أنفسنا مخيرين كنا أو مسيرين، مرتبطين مباشرة أو غير مباشرة بكل بقعة من بقاع العالم، وأصبحت أسماء كثيرة كنا لا نراها إلا حين ندرس الخارطة من قبل، موضع درسنا واهتمامنا.

في شهر شباط سنة 1942 وجدنا أنفسنا مهتمين، ووجهًا لوجه، بناحية جديدة لم تخطر على بالنا من قبل، وهي إنتاج طائرات لإنزال الجنود. ولا يستعمل هذا النوع من الطائرات إلا في حالات الهجوم، ومن المحال أن تخطر على بالنا ونحن في حالة الدفاع والانكماش، ومع أن إنتاج مثل هذه الطائرات كان من اختصاص البحرية، فقد أعلمتنا بأنها لا تستطيع أن تجهزنا بالملاحين لها، فتصدى الجنرال سمرفيل في الحال للمتكلم باسم البحرية قائلًا إنه هو نفسه سيتعهد القيام بالمهمة، وكعادته قام بها بكل نجاح... وبعد مضي عدة أشهر على الحادثة، لما حاول أن ينقل المؤسسة إلى البحرية، اعترضنا على ذلك لأن من لا يستطيع أن يعد الملاحين لا يستحق أن يأخذ منه المدربين.

ما كان أعظم الفرق لو كانت سياستنا موحدة يديرها رأس واحد في ذلك الزمن؛ لو كان لنا ذلك لوفرنا على أنفسنا أوقات ثمينة وكثيرًا من الجهد، لأننا لما بدأنا نعقد مؤتمرات ونقوم بالزيارات لنعقد اتفاقياتنا المختصة بإنتاج طائرات الإنزال، كنا نصطدم بالدوائر الحربية الأخرى التي عقدت اتفاقياتها لإنتاج ما تصبو إليه.

فاحترنا بأمرنا، كيف السبيل إلى إنتاج هذه الطائرات دون أن تعرقل إنتاج المواد واللوازم الأخرى؟ والبحرية نفسها لم تبد اهتمامًا بإنتاج طائرات لغايات الهجوم في المستقبل، بينما كل مجهودها منصرفًا إلى إصلاح وتقوية الأسطول بما يلزمه من سفن الحراسة والغواصات والمدمرات والدوارع. ولكن إن لم نبدأ في البناء اليوم كيف نتمكن من القيام بالهجوم غدًا؟

حدث في أواخر ربيع سنة 1942 أنّ الرئيس كيزون رئيس جمهورية الفيلبين، ألّف حكومة في المنفى بعد أن هرب في غواصة قبل أن تستسلم جزر الفليبين. وبالطبع جعل طريقه إلى الولايات المتحدة، وبعد وصوله بأسبوع قام بزيارتي في مكتبي وأطلعني بإسهاب على ما جرى في بلاده متناولًا الأسلوب الذي استعمل في التعبئة وفي الدفاع وفي الهجوم حتى ساعة الاستسلام. وضمن حديثه اعترافه بالشكر لأميركا وتقديره لموقفها وإن لم تستطع تقديم المساعدة الفعالة في الوقت المناسب.

ولكنه أبدى ثقته بأن الأحوال ستتغير وأن الفلبين ستتحرر.

لا شك في أن تاريخ العمليات الحربية في المحيط الهادي سيدون

فيما بعد مطولًا بطريقة تظهر الحقائق كما هي، فتمحص الأمور وتنجلي المبهمات ليظهر عندئذ أين أخطأنا وأين أصبنا، وماذا كان يجب أن نفعل لكي لا نصاب بما أصبنا به، ولكن هذا الموضوع ليس من شأننا، وقد تناولته في هذه الموجزة لأن ما جرى في الشرق الأقصى كان له أثر فعال على الجبهة الأوروبية التي كانت علاقتي بها قوية ومباشرة.

ولا بد لي من القول إنه مهما حاولنا فإن إمكانياتنا كانت أعجز من أن تصد اليابانيين وتنقذ جزر الفليبين من السقوط، ولذلك فإن باتان استسلمت في التاسع من نيسان كما استسلم معقل كوريدجيدور في السادس من أيار.

ومن الأمور التي كانت دائمًا تشغل أذهان القيادة العليا، حصول بعض قواتنا على خبرة في المعارك الفعلية قبل أن يحين الوقت لقذف كل جيوشنا في معركة حياة أو موت. وإنْ كان حلفاؤنا يخوضون المعارك في قارتي إفريقيا وآسيا، فلا بأس إذن إذا اغتنمنا تلك الفرصة، واشتركنا في بعضها عوضًا عن أن نكتفي بإرسال مراقبين حربيين فقط.

وفي صباح أحد الأيام استلمنا اقتراحا ظهر لنا أنه منطقي ومعقول، فبدأت القيادة درسه. والاقتراح كان عبارة عن شحن إحدى فرقنا المصفحة لتدعم الجيش البريطاني في صحراء مصر، ولما جرى البحث بيننا عن مصير تلك الفرقة إذا اضطرت الولايات المتحدة إلى سحبها للاشتراك في جبهة أخرى، ارتئي أن يُسحب الرجال وتبقى المعدات للجيش الإنكليزي، فتمت الموافقة

على ذلك لأننا كنا قد بدأنا بصنع نوع جديد من الدبابات أدخلت عليه عدة تحسينات فلا يحين وقت احتياجنا لتلك الفرقة حتى نكون قد أصبحنا قادرين على تجهيزها بالدبابات والأجهزة الحديثة.

ما إن دار البحث لاختيار تلك الفرقة حتى تذكرت أحد رفقائي القدماء وهو الجنرال، جورج باتون؛ وذلك لما يتحلى به من صفات القيادة وما هو عليه من خبرة في الدبابات. ولما ذكرت اسمه عارضني أكثر من شخص في القيادة، فأدركت أن اعتراضهم يتناول فقط فأفأته بالكلام وتصرفاته الغريبة أحيانًا، لكنهم لم ينظروا إلى صفات القيادة الحقة فيه. ولذلك لم أخف عليه من الخروج على التعاون مع حلفائه لما اتصف به من إخلاص وولاء في سبيل القضية المشتركة، فهو قائد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، وقلبه أبدًا في عمله لا تذهله مفاجآت ولا تفل من عزمه مصاعب. فإني عرفته منذ الحرب الأولى ونشأت بيننا صداقة متينة، وأواصر مودة مخلصة، وإن كنا كثيرًا ما نختلف في الرأي حتى يحتد النقاش بيننا، ولكن الخلاف في العقيدة لم يتطور أبدًا إلى خلاف شخصي.

ولما وافق الرئيس على رأيي استدعيت باتون إلى واشنطن وسألته عما إذا كان يوافق على التخلي عن قيادة تدريب الفرق الجديدة لتسلم قيادة فرقة تشترك في معركة فعلية. ومع أنه كان متسلمًا قيادة فيلق في أمريكا قبل أن يتسلم قيادة فرقة فقط، غير أنه لم يشعر بأن ذلك يحط من قدره أو رتبته كما أصابنا مع قائد آخر، فوافق فعين للحال.

كاد مشروع استعمال فرقة باتون في صحراء مصر أن يفشل، لا لشيء سوى قلة السفن، وذلك لأن نقل فرقة مصفحة إلى القاهرة يستلزم استعمال خمس وأربعين سفينة شحن بالإضافة إلى سفن نقل الجنود. فذهاب مثل هذا العدد الكبير من السفن من أمريكا إلى رأس الرجاء الصالح فالالتفاف حول شواطئ إفريقيا الشرقية ثم الوصول إلى القاهرة يقتضي وقتًا طويلًا لا يمكننا الاستغناء فيه عن السفن التي يجب أن تمون قواعد في نواح أخرى من العالم لا تقل حيوية عند البعض عن هذا المشروع الجديد.

أما أنا شخصيًا فقد حصلت من هذه الحادثة على درس ثمين ومفيد؛ لأني تحققت أن اختيار الأشخاص للمراكز الحساسة يصادف معارضة لأسباب تقليدية لا فنية، وسطحية لا جوهرية، لأن أكثر الخلق عبيد عرف وعادة أكثر مما هم أنصار تجدد وإحداث أعمال مُجْدِية، وأيقنت أن قادة الوحدات يجب أن يتم اختيارهم من الضباط الذين يفضلون القيادة في ساحات المعارك لا من الذين يفضلون أن يبقوا في المؤخرة.

مع الزمن سارت الأعمال في فرقة العمليات في هدوء وانسجام، مما أفسح أمامي المجال للتفكير والدرس. فاعتدت أنا ومساعدي في الدائرة أن نترك العمل بيد نفر من الضباط الشبان النشيطين يعملون تحت مراقبة وإشراف الجنرالات هاندي وردجوي والزعيمين ويدمير وهل وكروفورد الذين ترقوا جميعًا أثناء الحرب لأنهم قاموا بأعمال كبيرة تستحق كل تقدير، اعتدنا أن ننفرد لنتباحث في الطرق المجدية لزيادة الإنتاج وتعبئة القوى حتى نتمكن من القيام بقسط فعال في الحرب إلى جانب حلفائنا.

من السهل اليوم على امرئ أن يجلس على كرسيه وراء مكتبه ويطلق أحكامه علينا ويعدد أخطاءنا وهفواتنا، لكني لا أصدق أن في مقدور أحد أن يتصور، مهما أوتي من قوة التحليل والتخيل، أن يدرك مقدار الخوف والقلق الذي كنا نصاب به في تلك الأيام كلما اتخذنا قرارًا حازمًا في قضية كبري، لأننا كثيرًا ما كنا نجد أنفسنا مضطرين أن نتخذ قرارًا ما بين وجهتي نظر مختلفتين دون أن يكون أمامنا متسع من الوقت لدرس أعمق أو جمع معلومات أوسع.

من المعلوم أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة من دول الحلفاء التي تستطيع أن تنتج كميات هائلة من مستلزمات الحرب وتهيئتها لحين الطلب، لأن قوى الجو البريطانية والبحرية كانت مجمدة لغاية واحدة وهي الدفاع عن الوطن الذي صمم الحلفاء على أن يحتفظوا به مهما كانت التضحيات كقاعدة للقيام بهجوم على الأنحاء الأوروبية الشمالية الغربية. ولا شك أن مجهودات بريطانيا الحربية قد عبأت كل الرجال فيها ثم قامت بتجنيد عام للنساء حتى تتمكن من القيام بتعهداتها والاحتفاظ بمراكزها في الشرق العربي وإيران والهند. وأما القوات الروسية الضخمة العدد فقد كانت جميعها مشتبكة مع عدو يهدد كيان روسيا نفسها.

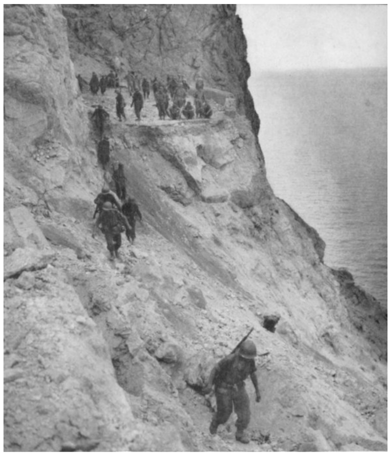

رجال المدفعية المشاة الأميركيون يتقدمون في احدى المناطق الجبلية في سيسيليا (ايطاليا)

كان على وزارة الدفاع الأمريكية أن تعيّن أولًا الخط الذي يجب أن تبدأ قوات الولايات المتحدة العتيدة عملياتها منه ضد قوات المحور في أوروبا، حتى إذا ما اتخذ القرار تتجه الجهود من كل ناحية إلى تحقيقه إلى أن تجثو ألمانيا على ركبتيها مستسلمة. وإذا ما حدثت عمليات في جبهات أخرى تكون ثانوية في أهميتها بالنسبة إلى القرار. فوجد بإجماع الآراء أن اشتراك الولايات المتحدة ضد ألمانيا في روسيا مستحيل، وذلك لطول خط المواصلات وصعوبة الوصول إلى المرافئ التي لا بد أن تكون إما على ضفاف المحيط المتجمد أو عن طريق الخليج الفارسي، فهذه الخطوط الطويلة لا تستطيع أن تتحمل أكثر من نقل المعدات والمؤن الضرورية لدعم الجيش الروسي في كفاحه بعد أن أوشكت الصناعات الروسية أن تدمر جميعها.

ناقشت القيادة أيضًا أمر الهجوم على أوروبا عن طريق النرويج أو عن طريق إسبانيا والبرتغال، كما ناقشت رأيًا مؤداه عدم

محاولة النزول في أوروبا والاعتماد على القوى الجوية الهائلة لتحطيم ألمانيا وإجبارها على الاستسلام. كما نوقش أمر الهجوم عن طريق البحر المتوسط إذ إن مركز الإنكليز لم يكن ضعيفًا في الشرق الأوسط في ربيع عام 1942 لأن الجنرال أوكنلك كان يقف بجيشه على الأطراف الغربية للصحراء ينتظر وصول المدد من بريطانيا وأميركا حتى يقوم بهجوم آخر لطرد رومل من إفريقيا كليًا، ولكن إيصال المدد كان صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا، عن طريق المتوسط الذي مدت الطائرات المحورية منافذ أوسطه وجعلت تدك مالطة بقنابلها من قواعد في صِقِلِّية، فأصبح أي هجوم على إيطاليا مباشرة من بوغاز جبل طارق عرضة لأكبر الأخطار وللفشل، لأن كل قوة مهاجمة دون حماية جوية مصيرها إلى الفشل، وليس من قواعد للحلفاء غرب المتوسط تستطيع حماية الهجوم. فلهذا صرف النظر عن هجوم على أوروبا عن طريق المتوسط، لا سيما وأن العدو الحقيقي وهو ألمانيا لا إيطاليا كان صعب المراس، فحدوث هجوم رئيسي على إيطاليا وسحقها لا ينهي الحرب. ثم إن هنالك سلسلة جبال تفصل ما بين إيطاليا وألمانيا. وإذا استسلمت إيطاليا يصبح اجتياز المنطقة الجبلية إلى جنوب ألمانيا باهظ التكاليف.

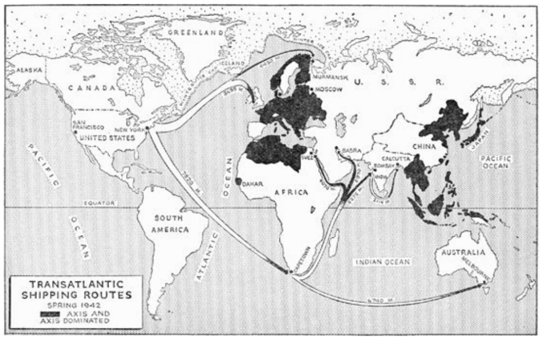

<u>طرق الشحن عبر الأطلسي</u>

<u>ربيع 1942</u>

بعد مناقشة كل تلك الآراء انتهى الأمر إلى اتخاذ إنكلترا كقاعدة حتى يبدأ منها الهجوم الرئيس على أوروبا، ولا سيّما أنّ عقبات طبيعية تعرقل أي هجوم من الغرب قبل الوصول إلى ألمانيا نفسها. وهنالك سبب آخر رجح كفة اتخاذ بريطانيا قاعدة رئيسة للهجوم، وهو أنها أقرب الأمكنة عبر الأطلسي إلى شواطئ أمريكا الشرقية، وذلك يساعد على إيصال المعدات بوقت قصير، وإرجاع السفن مباشرة. ولأن لدى بريطانيا عدة مرافئ تستطيع استقبال أكبر عابرات المحيطات بسهولة، وإذا كانت المسافة البحرية قصيرة نسبيًا يستطاع إيجاد سفن حراسة للقوافل تقضي على أو تطارد مجموعات الغواصات الألمانية التي تكمن في جوف البحار لتنقض على فرائسها كالذئاب المفترسة. ولما كانت بريطانيا بلدًا لا يكفي نفسه بل يعتمد على ما يستورده من الخارج. فلكي يبقى خط حياتها مؤمنًا اقتضى الأمر حراسة طرق تموينها، فسفن حراسة تلك الخطوط يستفاد منها في إرسال الجيوش والمعدات الأمريكية.

انتهى الأمر بعد المناقشة وإبداء وجهات النظر المختلفة في مؤتمرات عديدة إلى أن تتخذ إنكلترا قاعدة رئيسة يبدأ منها الهجوم على شمال غرب أوروبا، لكن حتى بعد أن اتخذ القرار بموافقة جميع الفرقاء قام عدد، بينهم نفر من القادة العسكريين، يعترضون، لا لشيء سوى التحصينات العظيمة التي أقامها العدو على شواطئ أوروبا الغربية، والتي في استطاعتها أن ترد كل هجوم. هذا بالإضافة إلى وجود أعداد كبيرة من طائرات الألمان تستطيع إلحاق الدمار بالقوى الغازية قبل الوصول إلى الشاطئ. الغواصات التي تنقض على السفن وترسلها بمن فيها إلى قاع البحار، وأما السفينة التي تنجو من خطر الجو والبحر، فمن قال إنها لن تصطدم بالألغام المبثوثة في كل ناحية من شواطئ أوروبا فتنسفها نسفًا بمن وبما فيها. ومن أدرى من الألمان وأمهر بمثل هذه الأعمال الجهنمية. إذًا، كل هجوم من هذا النوع ضد وسائل دفاعية من هذا الطراز، إنما هو ضرب من الجنون إنْ لم يكن انتحارًا عسكريًا.

تلك الأقوال الوجيهة التي صدرت عن خبراء الجو والبحر والبر جعلتنا نقف حياري. إنْ كان لا بد من سحق ألمانيا فلا بد من مهاجمتها، وإن كان لا بد من مهاجمتها، فطريق إنكلترا هي الأنسب. ولكن تلك التحصينات الألمانية على شواطئ الأطلسي والطائرات والمدرعات والغواصات والألغام كيف السبيل إلى التقليل من خطرها...؟

لا بد لكل حالة صعبة من القيام بعمل أصعب، وللأحداث الصعبة رجالها. ونحن أمام تلك المصاعب لم نعدم الرجال، فالجنرال

مارشال رئيسنا الأعلى كان متفائلًا كعادته وقال بأن غزو أوروبا ليس ممكنًا فحسب بل ضروريًا، ووافقه على ذلك القادة ماك نادني واسباتس قائد الطيران وهاندي وكروفوري، والزعيمان حمل وورد ماير. هؤلاء جميعهم، لم يستطع قولٌ ولا حجةٌ أن تخرجهم عن تفاؤلهم بنجاح العملية إذا ما أعد لها بحكمة وبعد نظر...

دعانا الجنرال مارشال في أحد الأيام يستوضح مطولًا عما رسمنا من خطة، وعما أعددنا للمفاجئات. وبعد أن قمنا بالشرح والتبسيط وتناولنا الموضوع من جميع نواحيه وأتينا بما تمكنا من براهين، قلنا بأننا نؤمن بأن في استطاعتنا إعداد قوة جوية ضخمة تعمل بالآلاف لا بالعشرات أو المئات، فعندئذ نتمكن من دك تحصينات العدو وتحطيم طائراته وتدمير خطوط مواصلاته.

وبعد أن أصغى الرئيس بكل انتباه إلى شروحنا وأقوالنا قال: «أحسنتم، إني موافق». وبعدئذ سأل الأميرال كنج والجنرال آرنولد فوافقا أيضًا. ولم يبق، إلا أخذ موافقة الرئيس روزفلت، بعد ذلك نقوم بعملية إقناع حلفائنا. ومن الواضح أن العملية تفسد من أساسها إذا لم توافق بريطانيا عليها، وإلا فكيف نستطيع نحن كأمريكيين أن نجعل من بلاد الإنكليز قاعدة عسكرية لنا دون موافقتهم حكومة وشعبًا؟ وعليه فإن الرئيس روزفلت أمر الجنرال مارشال بأن يصطحب معه هاري بكنز مساعد الرئيس الشخصي ويذهب شخصًا توًا إلى لندن.

لم يطلعني الجنرال مارشال على ما جرى له مطولًا في لندن،

لكني أعرف أنه رجع بعد أن اتفقت حكومتا بريطانيا وأميركا على أن يكون الهجوم الرئيس على أوروبا عبر القنال الإنكليزي، وقد تم التوافق بينهما في شهر نيسان من سنة 1942.

لقد برهن التاريخ أنه ليس من أمر في الحروب أصعب من وضع خطة استراتيجية واحدة والتعهد بتنفيذها دون سواها، لأنه كثيرًا ما تقوم أمام ذوي الشأن إما فرص لماعة تغريهم بتغيير ما قد رسموا، أو تواجههم صعوبة تفرض عليهم تبديل ما وضعوا. وعلى هذا فإن خططنا لم تنجُ منذ البدء من فرص إغراء أو مصاعب.

ولكن رغم ما واجهنا من عقبات وما سنح لنا من فرص أوشكت في بعض الأحيان أن تنسينا المبدأ الأول لننساق في طريق آخر رغم كل ذلك فإن الرئيس روزفلت والجنرال مارشال أبيا أن يحيدا قيراطًا واحدًا عما رسما، وهو أن يكون الهجوم العظيم الذي يقصد منه تحطيم الهتلرية في أوروبا، عبر القنال الإنكليزي. وهذا ما حدث، كما سيأتي.

الفَصلُ الرابِعُ

على أعتاب العدوّ

بعد أن رجع الجنرال مارشال من مؤتمر لندن دعاني إلى مكتبه وقال إنه في أثناء زيارته للندن في شهر نيسان لم تسنح له الفرصة لأن يراقب النشاط الأميركي، ومع ذلك فإنه يرى أن الضباط الأمريكيين المقيمين في لندن لم يطّلعوا على الخطوط الكبرى لمشكلات أمريكا وأهداف وزارة الدفاع فيها. ولا سيّما أنه لم يخطر لهم على بال أن الجزر البريطانية سوف تصبح قاعدة لأضخم عمليات حربية في العصر الحديث. ولذلك طلب إليَّ أن أقوم برحلة إلى لندن وأن أحاول أن أعالج المسألة بدراية ولا أعود إلا وفي صحبتي تخطيط عام للتنظيم الذي يجب أن تتبعه قواتنا في أوروبا. فرجوته عندئذ أن يسمح لي باصطحاب الجنرال ماك كلارك الذي كان رئيس أركان حرب الجيش البرّي تحت قيادة الجنرال ماك نير، وذلك لإحساسي بأن ملاحظات كلارك بخصوص اتخاذ أراضي المملكة المتحدة كساحة لتدريب جيوشنا قيمة جدًا.

بدأت سفرتنا في النصف الثاني من شهر أيار، واتبعنا الطريق الجوية الشمالية التي أنشأتها قيادة الجو الأمريكية والتي أصبحت فيما بعد عاملًا فعالًا في انكسار قوات المحور وقد أقامت قيادة الجو لتأمين هذه الطريق مطارًا في شمال شرقي الولايات المتحدة، وآخر في الأرض الجديدة، وثالثًا في غرينلند، ورابعًا في

أيسلنده، وخامسها في سكوتلندا. فمكنت هذه السلسلة من المطارات جميع طائراتنا، حتى المقاتلة منها، أن تذهب جوًا إلى أوروبا، ولولا إنشاؤها لصادفنا كثيرًا من المصاعب في غزونا لأوروبا.

وحالما وصلنا إنكلترا اجتمعنا بالجنرال جيمس تشاني الذي يمثل الولايات المتحدة كمراقب حربي في بريطانيا. فوجدنا أن لا هو ولا مساعدوه تسنَّى لهم أن يتعرفوا على التغييرات الثورية التي أجرتها وزارة الحربية الأمريكية، ولهذا ليس باستطاعتهم أن يقوموا بأية خطوة إيجابية في سبيل خدمة الأغراض الحربية. فأصبحوا وكأنهم في دوار لا يستطيعون الاندفاع مع مجرى الحوادث إلا إذا رجعوا إلى أميركا ولمسوا ما حدث فيها، وحتى ذلك الوقت سيطر النسيان على ضباطنا في لندن، لأننا في البدء انشغلنا في جبهة الباسفيكي، فأصبحوا أعجز من أن يقوموا بأية خدمة عندما سلطت الأنوار على الجبهة الأوروبية.

صرفنا عشرة أيام في المملكة المتحدة ثم عدنا، فرفعت تقريرًا إلى القائد العام ذكرت فيه أن الشخص الذي سيتسلم القيادة الأمريكية في أوروبا يجب أن يكون مطَّلعًا على أهداف حكومة الولايات المتحدة، ومؤمنًا بمقدرتها الإنتاجية في السلاح الجوي والبري، وبما تستطيع أن تقدمه من رجال يحصون بالملايين، فسألني الجنرال مارشال مَن أقترح وفي الحال أجبته: الجنرال ماك نيرني، وذلك لعلمي أن ماك نيرني قد خدم سابقًا بضعة أشهر في لندن واطَّلع على نشاط الدائرة الحربية فيها، وتعرف على القادة الإنكليز الذين يشغلون المراكز الحساسة فيها. وزيادة على ذلك

لأنه يتمتع بخبرة واسعة في سلاح الطيران، ولأن عمليات الولايات المتحدة الحربية في بريطانيا ستقتصر في المراحل الأولى على الغارات الجوية، وقذف النقط الحساسة بالقنابل بصورة متزايدة لا هوادة فيها. وزيادة على ذلك فإنه من المؤمنين بأن في مقدور قوَّاتنا الجوية جعل غزو فرنسا ممكنًا. فرفض القائد اقتراحي لأنه سبق وعيَّنه نائبًا في وزارة الحربية، وإذا أرسله لأوروبا فليس من السهل إيجاد بديل عنه، وذلك لأن وجود خبير بسلاح الطائرات إلى جانبه يسهل عليه أمر إدماج وتعاون السلاح الجوي والبري في عمليات المستقبل.

رفعت، في الثامن من شهر حزيران إلى القائد العام، عريضةً ضمَّنتُها رأيي بأن يعمل على إنشاء قيادة موحَّدة للقوات الأمريكية في أوروبا تشرف على أسلحة البر والبحر والجو. وذكرت الأسباب التي دعتني إلى ذلك. ولمّا سلَّمته إياها رجوته أن يقرأها بإمعان، فتفرَّس فيّ مليًّا ثم قال: «سأقرأها بكل تأكيد، فقد تكون أنت الشخص الذي سيعهد إليه بأمر تنفيذ ما جاء فيها. وبناء عليه متى تستطيع أن تسافر؟». وبعد مضي ثلاثة أيام أخبرني الجنرال مارشال بأني عُيِّنتُ قائدًا لجبهة أوروبا.

كثيرًا ما حاولت بيني وبين نفسي أن أجد الأسباب التي جعلت الجنرال مارشال يتخذ تلك الخطوة السريعة الحازمة بتعييني قائدًا لمسرح أوروبا، لأنه لم يلمِّح لي بشيء عن ذلك لا من قريب ولا من بعيد. واستنتجت أنَّ التعيين كان مفاجأة لي وحدي، أما هو فقد عيَّنني بعد درسٍ وتفكير طويل.

لا شك أنَّ نقل أي شخص من وظيفة في مكتب وتعيينه قائدًا عامًا في جبهة كبري يسرُّ خاطر كل جندي. لكن الشعور بثقل المسؤولية الواقعة على كتفي جعلني لا أبدي أيَّ اغتباط، ولا سيّما أنّ المهمة الجديدة استهلكت كل دقيقة من وقتي وكل إمكانية في عقلي وجسدي. وحالما صدرت الأوامر المفاجئة لي طبعًا قمت بجولات تحضيرية سريعة، فسلَّمت أولًا أمر فرقة العمليات الحربية إلى خلَفي الجنرال هاندي.

رأيت قبل أن أغادر أمريكا أن أجتمع ببعض المسؤولين، ومن حديث مع المستر سنتيمسون وزير الحربية تراءى لي أنه مقتنع بأن العمليات الحربية الأمريكية ستبدأ سريعًا في أوروبا. فعلَّقتُ على ذلك بقولي إنه قبل الاشتراك بالحرب الفعلية يجب أن ينقضي وقت طويل للاستعداد والبناء. وبالطبع قمت بزيارة للرئيس روزفلت وكان المستر تشرشل رئيس الوزراء البريطاني يومئذ ضيفًا في البيت الأبيض لكنه لم يجرِ بيننا إلا حديث عام عادي، ولكنها كانت أول فرصة سنحت لي لأن أكلم أيًّا من هاتين الشخصيتين الكبيرتين. وجاءت زيارتي على أثر سقوط طبرق في أيدي رومل. وكانت هذه الحادثة قد جلبت الغمَّ والكدر إلى قلوب الحلفاء في كل مكان:

ولكن الذي أدهشني أني لم أرَ علامات أيّ تشاؤم على محيّا أي منهم بل رأيت أن ذلك الفشل في الصحراء زادهم حماسًا للتحول من الدفاع إلى الهجوم حتى النصر الأخير.

قابلت أيضًا الأميرال كنج، ومن أول لحظة تأكدت صحة كل ما

قيل عنه من أنه رجل حرب من الطراز الأول، جريء وحازم، ولا أبالغ إذا قلت إنه يبدو خشنًا في بعض الأحيان حتى أن جميع مرؤوسيه يرتجفون منه. وفي أثناء الحديث شدَّد على النقطة بأن المهمة الخطيرة التي أسندت إليّ في بريطانيا يجب أن تبدأ بمحاولة مقصودة جريئة لتوحيد ودمج الأسلحة المختلفة الأمريكية تحت أمر قائد واحد ليسهل أمر الحملة التي لا يعرف متى وكيف تنتهي وأكد لي أنه سيبذل كل جهده لدعم صيرورتي قائدًا عامًا لأسلحة البر والبحر والجو. وأردف أنه لا يريد أن يسمع كلامًا أحمق عن وجود قيادات ثلاث متعاونة، بل يجب أن تكون سلطة واحدة، ومسؤولية واحدة، وطلب إليّ أن أتصل به شخصيًا في أي وقت عندما أرى من أي قائد بحري محاولةً لعرقلة تحقيق دمج القوات الثلاث تحت إمرتي.

وكان لهذا الموضوع أهمية كبرى في نظري لأنه طالما جرى نزاع على السلطة في الماضي كأنما جرت عمليات حربية مشتركة بين قوات البر والبحر. فكل فريق ادَّعى بأن السلطة يجب أن تكون له.

في أواخر حزيران من سنة 1942 غادرت واشنطن مع الجنرال كلارك وبعض المعاونين. صعب علي هذه المرة فراق عائلتي لأني لا أعلم المدة التي تستغرقها هذه الرحلة الخطيرة: صرفت آخر يومين مع امرأتي وابني، ثم رحلت.

وصلنا إنكلترا دون وقوع أي حادث، واستلمت أمر القيادة في مسرح أوروبا توًّا. وكانت سلطتي تشمل جيش الولايات المتحدة

في المملكة المتحدة وفي جزيرة المساندة.

ولما كانت العادة في الحرب، استحداث أو صك أسماء جديدة للقوات العاملة، استحدثنا لفظة أطلقناها على قيادتنا وهي «إيتوزا».

بعد أن استقر بي المقام في مركز قيادتي الجديد كانت أول خطوة اتخذتها هي انتخاب وتنظيم فريق يتعاون معي فيما أتيت من أجله. وقد وافق الجنرال مارشال على رجائي بتعييني القائد ولتر سميث رئيسا لأركان حربي، فكان لي به نِعم المساعد لما يتحلَّى به من صفات تؤهِّله للقيام بالأعمال الكبرى وذلك لصفاء ذهنه وإحاطته بالأمور، وجِدّه وقدرته على العمل، وإخلاصه. وهو يمتاز برأي سديد كما يمتاز بخبرة بفن القيادة، متين الشخصية، حذر بطبيعته، وجوده يخلق الانسجام مما جعله شخصية يشار إليها بالبنان أينما حطت رحالها. وصل لندن في السابع من شهر أيلول، ولم يطل به الوقت حتى أنشأ علاقات ودِّية مع الكثيرين من القادة دامت كل مدة الحرب وما بعد الحرب. كما اخترتُ غيره حتى أصبح الفريق شاملًا متعاونًا منسجمًا يؤدي وظيفته على أحسن ما يرام، مما جعل مهمتنا أهون في مواجهة الأمور الجسام ثم جعلت أبحث عن مكان أقيم فيه مركز قيادتي، فاخترت بقعة تدعى ساحة «كروسفينور»، وفيما بعد أطلق عليها الجنود اسمًا ألمانيًا إذ دعوها «أيزنهاور بلاتس» أي ساحة أيزنهاور، لكن المكان سبب لي بعض الصعوبة ومنعني من التمتع بحياة هادئة. وذلك لأن كرم الإنكليز ورغبتهم في الترفيه عني جعلهم يكرِّرون الدعوات علي مما كاد أن يحرمني من التفرغ لعملي فكريًا وجسديًا. فاضطررت

إلى أن أنقل مقرّي الشخصي إلى زاوية هادئة في ضواحي لندن، حيث سكنت مع مساعدي في البحرية والعقيد هاري بتشر، وخادمي العريف ميكوك، وجنديّين من الزنوج يعتنيان بترتيب المنزل.

ولم أقبل بعد شهر تموز وكل مدة الحرب أية دعوة إلا إذا جاءتني من رئيس الوزراء أو من أحد القُوَّاد الأميركان أو الإنكليز، لأن هدفهم على الغالب كان البحث في الشؤون التي تتعلق بالقضية الكبرى.

لم أرتب في البدء زيارات إلى الجنود لأن عدد وحدتهم كان ما يزال قليلًا في المملكة المتحدة وأول زيارة لهم قمت بها حدثت بمناسبة أول غارة على العدو قامت بها وحدة من سلاح الجو الأمريكي في الرابع من شهر تموز سنة 1942 إذ قصفت أربعة مطارات ألمانية في هولندة. طارت يومئذ ست من طائرات بوسطن بقيادة الرئيس تشارلز كغلمان بصحبة سرب من الطائرات الإنكليزية وتعرضت لمقاومة شديدة، حتى أن طائرتين أخفقتا في الرجوع. ولأبرهن على أننا اشتركنا في الحرب فعليًا في أوروبا صمَّمت على أن أقوم بزيارة شخصية للملّاحين بعد أن رجعوا فهنّأتهم على ما قاموا به وعلى رجوعهم سالمين.

حرص المستر تشرشل كل مدة الحرب على أن يحتفظ باتصال مباشر بجميع العمليات كأنه عضو حقيقي من أعضاء القيادة الحربية، حتى أني لا أتذكر أنه جرى لي بحث مع الإنكليز من دون أن يساهم هو شخصيًا في النقاش. إنه بحق زعيم ملهم،

تمثلت فيه شجاعة وثبات الشعب البريطاني في نزاعه خير تمثيل. إنه رجل مؤمن بقضيته، فصيح اللسان، قوي الحجة، خصص ما وهبه الله من قوى لربح الحرب. ومن أجل ذلك رغب في أن يطلع على كل شاردة وواردة من النشاط الحربي، والذي أدهشني فيه تمسكه بوجهة نظره وثباته في الدفاع عنها، في أكثر الأحيان كانت المشكلات تحل بسهولة لاتفاق وجهات النظر بشأنها، ولكن أحيانًا كان لا بد من نشوب بعض اختلاف. وفي مثل تلك الحال يتحول مباشرة إلى موقف خطابي ولو كان يناقش شخصًا واحدًا. فلم أنزعج مما يبدو منه لأن ذلك شيء طبيعي فيه يندفع إليه مسيَّرًا برغبة ملحة في نصر القضية. ويمتاز بقدرة فائقة على إدخال المزاح في الجد، ويستعين بحكم القدماء ليدعم موقفه فأعجبت به وأحببته ويظهر أنه أدرك ذلك، وكثيرًا ما حاول أن يستغل محبتي وإعجابي ليستميلني إلى ناحيته في الرأي. وإذا عجز عن ذلك لم يصدر عنه شيء يشير إلى أن علاقته الشخصية بي قد تطرَّق إليها أي برود، مهما كان الخلاف شديدًا بيني وبينه في الرأي: فقد رأيت فيه طالبًا نشيطًا يهوى الوقوف على فنون الحرب وتطوراتها وتاريخها، ولم يخل البحث معه بشأنها من فائدة. وإذا حدث أن أرغمهم على التسليم بوجهة نظر غيره لم ينفك كلما استطاع إلى ذلك سبيلًا أن يجدد الكرَّة ليحقق ما يرتئيه. ولكن إذا ما بدأ العمل أظهر مقدرة فائقة في تناسي الخلاف وانصب بكليته لإنجاز ما اتخذ من قرار كأنه هو صاحبه. ويدفع ببريطانيا إلى أن تساهم بقسط أوفى مما وعد به شفهيًا أو خطيًا، وأكثر الساعات حَرَجًا التي صادفتها في أثناء الحرب هي

تلك التي وجدت نفسي فيها على خلاف في الرأي مع رئيس الوزراء وذلك لأني كنت أتجنب أن أجرح إحساساته بينما هو بدوره كان يشعر بأني يجب أن أوافقه وإن لم يكن من برهان على صحة فكرته إلا إخلاصُه، إذ لم تكن لديه أية سلطة لفرض مشيئته علي وأنا أعمل ضمن حدود صلاحياتي كقائد عام، سوى الإقناع، ومع ذلك كان بإمكانه أن يجعل مهمَّتي أصعب لو لم يتحلَّ بكل صفة من الصفات التي تجعل المرء كبيرًا... وإني سوف أشعر دائمًا بما أولاني من فضل ولطف وكياسة وظرف وبما وجَّهه إلي من مساندة ونُصح، بقطع النظر عما أظهره أحيانًا من مقت وكراهية لما اتخذت من قرارات، ولا شك في أنه زعيم في الحرب عظيم.

<u>المتوسط تحت احتلال المحور</u>

كنتُ أثناء وجودي في لندن أراقب بريطانيا تعبِّئ رجالها ونساءها للحرب وتعد المؤن والذخائر بأكثر ما عندها من جهد، ترسل الفرق إلى الجبهات وتهيِّئُ الوحدات التي ستشترك في عملية غزو أوروبا، فأرى أن أمة تقوم بمثل هذه التضحيات جديرة بأن تعيش حرة. وكثيرًا ما اجتمعت إلى قادة البر والبحر والجو الإنكليز لنتباحث في شؤون الساعة وعما يجب أن نتخذ من خطط للمستقبل. وفي كل مرة كنت أسأل فيها عن رأيي أصرح بأن الحملة التي ستقوم بعملية الغزو يجب أن تكون تحت قيادة رجل واحد، سلطة كاملة غير مجزأة، ومسؤولية مركزة غير منقوصة. وطبعًا كانت تَرِدُ إلينا كثيرٌ من الأخبار من سائر الجبهات، منها ما هو مطمئن وسارّ، ومنها ما هو مكدِّر ومحزن، والشيء الوحيد الذي كنت أتمناه أن تزداد مساعدات الولايات المتحدة لروسيا حتى تستطيع الصمود إلى أن تتكامل آلة الحرب الأمريكية التي جعلت تنمو وتتزايد بسرعة، وأن تستطيع بريطانيا أن تصمد في الهند وتحول دون تقدم اليابان غربًا.

ولا غرو فإن من أهم المواضيع التي بحثناها مرارًا تعيين الوقت

الذي يبدأ فيه الغزو، إذ كان لا بد من مرور زمن طويل قبل أن نستطيع القيام بعملية حاسمة، ولأن التأخير ناتج عن الحاجة إلى القوات والمعدات. وبعد أن قلَّبْنا المشكلة على جميع وجوهها ارتأينا أننا لن نتمكن من فعل شيء قبل نهاية سنة 1943. ونظرًا لأن فصل الشتاء لا يوافق القيام بالعملية اتفقنا أن يؤجَّل الهجوم إلى ربيع سنة 1944.

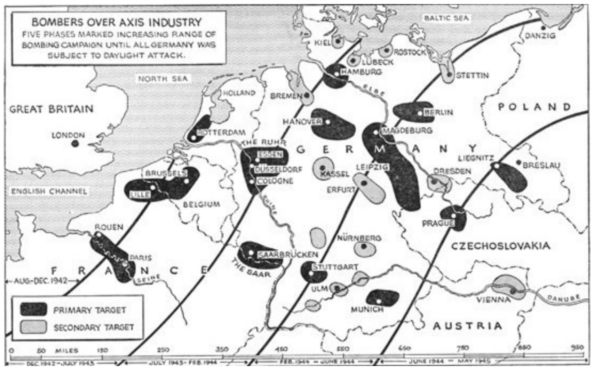

قصف صناعة المحور بالقنابل

لكن روسيا كانت تلحُّ من دون انقطاع على بريطانيا العظمى والولايات المتحدة بأن تقوما بهجوم سنة 1942. وكنا نتخوَّف من أننا إذا لم نفعل فسيؤدي ذلك إلى نتائج خطيرة في الجبهة الروسية.

وكانت ذهنية الشعب في الولايات المتحدة وفي بريطانيا وفي كل البلاد الأوروبية الممثلة تتوقع نزول الكارثة إنْ لم نلعب دورًا إيجابيًا فعالًا في المعركة.

أما نحن فكنّا ندرك أن أية محاولة نقوم بها في سنة 1942 لا يمكن أن يكون لها أثر وقد يكون ضرُرها أكثر من فائدتها، لأنها قد تؤخِّر موعد القيام بالعملية الكبرى.

فأصدر الرئيس روزفلت أمره إلى قواده أن يقوموا بعملية هجوم برية في أوروبا سنة 1942 لا لتؤدي إلى نتيجة فاصلة ولكن لإثبات وجودنا.

لمَّا صمَّمنا أن نلعب دورًا نشيطًا في الحرب في تلك السنة كان أمامنا ثلاث إمكانيات: الإمكانية الأولى هي أن نرسل العَدد والعُدد حول رأس الرجاء الصالح إلى صحراء مصر الغربية لتقوية

الجيش البريطاني حتى يتمكَّن من الهجوم على رومل وطردِه من المسرح الإفريقيّ.

والثانية هي القيام بغزو شمال غربي إفريقيا والتوجُّه شرقًا، بينما يتوجَّه الجيش البريطاني غربًا، فتطبِقُ الكمَّاشة الهائلة بفكَّيها من الشرق والغرب على رومل وجيشه وتسحقُه سحقًا.

أما الثالثة أن نهاجم رقعة صغيرة من شواطئ فرنسا ونعزِّزها لتصبح رأس جسر لنا إلى أن يحين الوقت للقيام بهجومنا الكبير، ودعوناها عملية المطرقة.

لم يكن أمامنا طريق رابع، هذا ما توصلنا إليه بعد بحث ونقاش طويلين مضنيين، وبدأ الأمريكيون يومئذ يشكّون في أن الذهنية الإنكليزية لا تنظر بعين العطف، ولا تستطيع أن تهضم الخطة المتَّفق عليها منذ البدء، وهي الهجوم على ألمانيا عبر القنال الإنكليزي لأنّ القادة الإنكليز أيقنوا فشلها. هذا بينما نحن لم نستطع أن نجادلهم ونقنعهم بأنه من الأفضل البقاء جامدين بينما تبلغ استعداداتنا درجة الكمال. وكيف يمكن أن تقنع حليفَك بأنه أفضل لك وله أن تبقى ساكنًا جاثمًا إلى وقت طويل بينما هو يخوض حربًا لا هوادة فيها في جبهات عديدة، ولهذا وقفنا مشدوهين أمامهم وهم يقترحون علينا الخطة تلو الخطة التي رأينا فيها جميعًا محاولة جرّ رجلينا عن هدفنا. ولما كنت في بلاد الإنكليز فقد سمحت لي الظروف أن أفهم وجهة نظر الإنكليز من المستر تشرشل ومن الجنرال باجيت بخصوص الهجوم عبر القنال. وكوَّنت لذلك في نفسي عذرًا لهم، ولكن الجنرال مارشال

أعلنها صريحة في المؤتمر الذي عقد يومئذ في لندن بأنه مهما كان القرار الذي سيُتَّخَذ فلا بدّ من أخذِ وعدٍ واضح صريح من البريطانيين بأن يجعلوا هدفهم الأكبر تسهيلَ عملية الهجوم المباشر من جزرهم على فرنسا عبر القنال، لأن في ذلك توفيرٌ للوقت وفعالية في سحق ألمانيا.

وبصفتي قائدًا عامًّا للقوات الأمريكية في بريطانيا وسائر الجبهة الأوروبية أصبحتُ هدفًا لتلقِّي الآراء المتنوِّعة المختلفة بخصوص العملية الهجومية. ومما سمعت ورأيت أصبحتُ أحبّذ الإمكانية الثالثة وهي القيام باحتلال رأس جسر في فرنسا والدفاع عنه بكل وسيلة، وكما قلت للجنرال مارشال يومئذٍ إن العملية محفوفة بالخطر، ولكنني أفضّل القيام بها خوفًا من أن اشتراكنا بجبهة أخرى قد يشغلنا حتى نؤجل أو نلغي العملية المتَّفَق عليها، ولا شكّ في أن أي هجوم من جانبنا في المتوسِّط سيقضي على إمكانية غزو الأراضي الفرنسية من الشمال في أواخر سنة 1943.

إن الحوادث التي نشأت فيما بعد أظهرت أنَّ رأي الفئة التي قالت بعدم حكمة القيام باحتلال رأس جسر في فرنسا كان رأيًا صائبًا، وذلك لأن مدى طائراتنا المقاتلة في سنة 1942 كان أقصر من أن يمكِّننا من حماية القوات البرية ضد القوى الجوية الألمانية التي كانت ما تزال قوية. والعملية على كل حال كانت ستكلّفنا خسائر باهظة، والسبب الثاني أن غزونا لشمالي إفريقيا كشف عن منافع عدة لأمم الحلفاء وساعد على ربح الحرب، لأنه سهَّل أمر الغزوة الكبرى سنة 1944، على أننا لو استطعنا احتلال شربورغ في شمالي فرنسا وقسمًا من شبه الجزيرة القائمة عليها

لكانت فائدتها قليلة بالنسبة لنا. ولكنها على كلّ حال كانت مشروع فتح جبهة صغيرة في أوروبا يمكننا اتخاذها قاعدة عندما يحين الزحف العظيم.

وبعد الدرس ارتأت هيئة القيادة المتحدة للحلفاء أنّ دعم القوات البريطانية في شمالي إفريقيا باهظ التكاليف، وعليه صمَّمت في أواخر حزيران على غزو شمال غربي إفريقيا الفرنسية.

لا بدّ لي من القول إنه عندما كانت تدور المباحثات والمناقشات بين القيادتين كان الهدف الرئيس هو العمل على النصر، ولم يحاول أحدُ الفريقين أن يُعير شأنَ العنصرية القومية أيَّ اهتمام.

في الرابع والعشرين من شهر حزيران من سنة 1942 بالضبط اتخذت القيادة المتحدة قرارًا رسميًا للقيام بغزو شمال إفريقيا الفرنسية من الغرب على أن يكون القائد العام للقوى الجوية والبحرية والبرّية أميركيًا وأطلق اسم «المِشْعَل» على العملية. وفي اليوم التالي وافق الرئيس روزفلت على ذلك، وارتأى أن تتخذ الحملة مظهرًا أميركيًا صرفًا، على أمل أن تكون منزلة الأمريكيين لدى الجيش الفرنسي في شمالي إفريقيا محترمة حتى لا يقوموا إلا بمقاولة صُوَرية، وذلك لأن مركز بريطانيا في فرنسا كان في الحضيض لمهاجمتها الأسطول الفرنسي في أوران ودكر ولاعتدائها على سورية ولبنان.

وفي السادس والعشرين من شهر حزيران دعاني الجنرال مارشال إلى مقابلته، وأخبرني أني الشخص الذي وقع عليه الاختيار ليكون قائد حملة الغزو الإفريقي، وطلب إليّ أن أكتم

السر حتى تعلن هيئة القيادة المشتركة رسميًا. وقد تأجَّل الإعلان إلى شهر آب...

الفَصلُ الخَامِسُ

غزو شمالي إفريقيا

«خطَّة المِشعَل»

بعد التخطيط والدرس والتعديل والتحوير ثم التخطيط ثانية والنقاش وإعادة النظر فيما قيل وما رُسم تمّ الاتفاق على الخطوط الكبرى للهجوم وارتُئِيَ أن نحافظ على قدسيَّتها كأنها مُنَزَّلة. وملخَّصُها أن يكون الهجوم شاملًا: مثلَّث كزابلانكا وهران الجزائر، حتى يتمكَّن الجيش الأمريكي من حماية مؤخِّرتنا في مراكش بينما يندفع الجيش الإنكليزي من مدينة الجزائر شرقًا لاحتلال تونس.

أبديت للجنرال مارشال رغبتي في تعيين جورج باتن قائدًا للحملة على كزابلانكا (الدار البيضاء). ثم أتي جورج لمقابلتي في لندن واستأذن أن يرجع لأمريكا ليصفي بعض أشغاله قبل أن يتسلَّم قيادته. وما كاد يصل إلى واشنطن حتى أتتني برقية بأنه (أي باتن) أثار مشكلةً كبرى مع البحرية مما جعل القيادة العامة تصرف النظر عن تعيينه. فأدركت القصة في الحال لمعرفتي مزاجه بأنه لا يفكر بنتيجة ما يتفوه به من ألفاظ، فيورط نفسه في مشكلات لا يعنيها، ولذلك احتججت على فكرة إبعاده وقلت إذا كان من عادته أن يسبب مشكلات في المؤتمرات فمن المناسب إرساله إلى الجبهة على رأس جنوده، ومن السهل على القيادة

الاستعاضة عنه بشخص آخر، فانتهت المسألة عند هذا الحدّ.

كنت أعرف أن من عادة باتن أن يُسَرَّ بإثارة سامعيه ببعض أقواله الخيالية مما جعل الكثيرين من الناس الذين عاشروه يحكمون بأنه شخص خشِنٌ فَظّ، ولو تغلغلوا في درس نفسيَّته لعرفوا أن داخل تلك القشرة الخشنة نفسيةً صافية الذهن صادقة الحكم، تؤهله لأن يتولَّى عمليات معركة كبرى، لأنه يعرف كيف يربح إخلاص مرؤوسيه ويدرك بالبداهة ما قد يلتجئ إليه أخصامه من مناورات. ومن بدء حياته العسكرية كان يطمع في أن يتسلَّم قيادة موقع وخوض معركة. وهذه الرغبة جعلته ينكب على قراءة التاريخ العسكري ويطَّلع على سير القواد العظام.

إليك ما جرى لي معه لتدرك كنه جِبِلَّتِهِ وما انطوى عليه من قلبٍ شَفوق: أتاني في أحد الأيام يطلب إليّ أن أصرف من الخدمة ثمانين ضابطًا من مرؤوسيه بسبب تخاذلهم وجبنهم، وألحَّ عليَّ بأن أنفّذ له طلبه. فوافقت بعد أن يرفع إليّ طلبا خطيا بذلك، ويظهر أنه بعد انصرافه من حضرتي ندم على ما قام به من اتهام لأولئك الضباط، فجعل يؤجِّل رفع طلبه الخطِّي أسبوعًا بعد أسبوع، مختلقًا العذر بعد العذر على تأخُّره، وأخيرًا، أتاني كالحمَل واعترف بأنه لا يستطيع تحميل ضميره صرف أحد، ورجاني أن أصرف النظر أنا بدوري عن ملاحقة أحد منهم.

وضعنا الفيلق الثاني من جيش الولايات المتحدة تحت إمرة الجنرال لويد فريدندال ليتولَّى تنفيذ احتلال وهران في أواسط الجبهة. وقد عُرف عن هذا القائد أنه مدرِّب موهوب، ومنظِّم من

الطراز الأول. أمّا الجيش الذي جعلنا مهمَّته مهاجمة الطرف الشرقي من الجبهة واحتلال مدينة الجزائر فكان مؤلَّفا من الجيش الإنكليزي الأول، ولنخلع عليه صبغة أمريكية عينَّا الجنرال رايدر قائدًا له. اشترك رايدر في الحرب العالمية الأولى، وترقَّى في الصف سريعًا إلى رتبة زعيم وذلك لما أبداه من شجاعة وإقدام في المعارك واحترف الجندية وعرف عنه في سني ما بين الحربين بأنه من خيرة الضباط في الجيش الأمريكي. أوكلنا إليه احتلال مدينة الجزائر وبعد أن يتم ذلك يحلّ محلّه في القيادة السِّير كنت أندرسون، وهو القائد الفعلي للجيش البريطاني الأول.

الجنرال أندرسون سكوتلندي النشأة، مقدام، يتفانى في سبيل الواجب، مستقيم وصريح إلى درجة الفظاظة، وكثيرًا ما سبَّبتْ له هذه الصراحة متاعبَ مع زملائه الإنكليز أكثر من متاعبه مع الأمريكيين، وعيبه الوحيد أنه خجول لا يعرف كيف يقوم بدعايةٍ لنفسه، ولمَّا كنت أعرفه جيدًا احترمت فيه قلبَه الكبير وشجاعته، ولا يستطيع أقسى المتحاملين عليه نقدًا إلا أن يقرَّ بعظمة الدور الذي لعبه حين كالَ لجيش الأعداء الضربةَ المميتة في تونس.

منذ بدأنا في وضع خطة الهجوم على إفريقيا فكرت حكومتانا بإشراك الجنرال ديغول (المقيم في لندن يومئذ) بالعملية. وقد سبق أن بعض الوحدات الفرنسية ساهمت تحت قيادته في حملة دكر المشؤومة التي تقهقرت من أمام تصميم الجيش الفرنسي على الدفاع: فاعتقدت الدوائر البريطانية المسؤولة أن الهجوم على دكر فشل لأن الفرنسيين عرفوا بالهجوم قبل أن يقع عن طريق ديغول أو بعض أعوانه، ولذلك اتَّفقت الحكومتان على أن يبقى أمر الغزو

مكتوما عن ديغول وجماعته. هذا بالإضافة إلى المعلومات التي استقيناها من أن وجود ديغول معنا سيثير القوات الفرنسية في شمالي إفريقيا ويستفزُّها لمحاربتنا ومقاومتنا.

فكلُّ المعلومات التي تواترت علينا أكَّدت أنّ الجيش الفرنسي ينظر إلى ديغول بأنه خائن، لأنه عصى أوامر المارشال بِيتّان. فقضت علينا رغبتنا في ربح الجيش الفرنسي إلى جانبنا أن نستبعد ديغول ونهمل أمرَه.

وإذا أتينا لنتحرى سر كره الضباط الفرنسيين لديغول نرى أنه عندما صدرت الأوامر للجيش الفرنسي سنة 1940 بأن يلقي السلاح انصاع جمهور القواد والجنود إليه فألقوا سلاحهم إلا ديغول ونفرٌ قليل من أتباعه، فإذا كان ديغول قد عصى الأمر ففي ذلك العصيان إما خيانة أو صواب وإقدام، وإذا كان مصيبًا بالتحاقه بالحلفاء إذن فهم مخطئون وإذا كان ديغول مِقدامًا فهم جبناء، وإلّا فلماذا لا يحذون حذوه برفع راية العصيان على حكومتهم المؤتمرة بأمر الألمان؟ ولمَّا كان يصعب عليهم أن يحكموا على نفسهم بالخطأ والجُبن فقد حكموا على ديغول بالخيانة.

كشفت المعلومات أيضًا عن أنه يوجد عدد كبير من الضباط والجنود الفرنسيين تمزِّقُ قلوبَهم مرارة الخذلان والركوع أمام ألمانيا. وإنّ عزتهم الفرنسية تدفعهم إلى أن يقوموا بعمل ما يمحون به عن أنفسهم عار الخذلان والهزيمة. فإذا قام الحلفاء بغزوٍ مفاجئ وانكشفت عمليَّتُهم عن استعداد وقوَّة فلا بُدَّ أن

ينضمّوا إلينا بعد عملية دفاعيّة صوريّة. ولكي تنجَحَ الحملة وجبَ أن يبقى أمرهُما سرّيًا لا يطَّلع عليه إلّا أقلُّ عدد ممكن من كبار الوزراء والقواد الأمريكيين والإنكليز فقط.

بعد أن صرفنا مدة ستة أسابيع في الاستعداد والتخطيط عرفنا أن المستر روبرت ميرفي كبير الدبلوماسيين الأمريكيين في شمال إفريقيا على وشك أن يقوم بزيارة سرّية إلى لندن ويكشف لنا عما خفي مما يجري هناك، ويطلعنا على التيارات والاتجاهات عند الجيش الفرنسي وعند السكَّان العرب.

أقام المستر ميرفي زمنًا طويلًا في شمالي إفريقيا قبل أن يدعوه الرئيس روزفلت إلى الولايات المتحدة ويجعله موضع ثقته ويخبره عن النوايا الحربية التي اعتمدها الحلفاء في تلك الناحية. فجعل همَّه وهَمَّ مساعديه منذ ذلك اليوم الاتصال بالرأي العام ليتلمَّس ما خفي ويطَّلع على ما في النوايا وهدفُه الرئيس اكتشاف الأشخاص الذين يضمرون الحقد والعداوة للمِحور، ولكنهم ما يزالون في مراكزهم الإدارية أو العسكرية من قبيل الواجب نحو فرنسا لا من قبيل الاقتناع والإخلاص، فتوفق بذلك بفضل ما يتحلَّى به من كياسة وذكاء ومقدرة على تكلُّم الفرنسية كأبنائها ومما سهل مهمته أنه كمبشر استطاع أن يتجول ويتصل بمن شاء دون أن يثير أية شبهة.

أحيطت زيارة المستر ميرفي لمركز قيادتي في لندن في خريف سنة 1942 بكل تحفظ وسرية، جعل طريقه وهو راجع من واشنطن بحيث يرتدي بزة عسكرية برتبة زعيم، واتخذ لنفسه

اسمًا مستعارًا.

استقبلتُه في الضواحي، وبعد إقامته في ضيافتي مدة أربع وعشرين ساعة سار في طريقه راجعًا إلى واشنطن.

عرفنا منه أسماء الضباط الموالين للحلفاء هناك، والذين كانوا مستعدين أن يساعدونا، كما عرفنا عن مزاج وميول رجال الجيش خاصة وميول السكان عامة وأخبرنا بالتحديد أن أكبر مقاومة سنواجهها ستكون في مراكش الفرنسية حيث يستقر الجنرال أوغست نوغس الذي يشغل مركز وزارة الخارجية للسلطان هناك، وأطلعنا بإسهاب على القوى العسكرية الفرنسية في إفريقيا، بما في ذلك المعدَّات والتدريب وأمكنة المعسكرات وما يملكون من طائرات وسفن حربية، فعرفنا مما وصف أنه إذا صمَّم الفرنسيون على مقاومتنا جدّيًا ستنشأ بيننا وبينهم معركة دامية رهيبة. وإذا ما صمَّموا على الانحياز إلى جانبنا سريعًا استطعنا أن نحتلَّ أهدافنا بسرعة، ومن ثم نندفع لاحتلال تونس ونهاجم رومل من المؤخرة. ختم المستر ميرفي حديثه قائلًا إن الفرنسيين سيقفون بين بين، إذْ لا هُم أصدقاء مخلصون ولا أعداء موتورون. فبرهنت الحوادث فيما بعد على أنه كان مصيبًا في ظنِّه.

في نقطة واحدة برهنت الحوادث فيما بعد على أن معلومات المستر ميرفي كانت خاطئة وبعيدة عن الواقع كل البعد. ولكن لم يكن الذنبُ ذنبَه بل ذنب من أخبره من القادة الفرنسيين في إفريقيا بأن الجنرال جيرو يتمتع بسمعة عالية واسمٍ طيِّب عند جميع

الضباط والجنود، فلو اصطحبناه في حملتنا لالتفَّت معظم القوى الفرنسية حوله وانضمت إلينا. ولكن لما تكشفت الحوادث برهنت على عدم صحة ذلك القول.

اقترح علي المستر ميرفي أن أرسل أحد مساعديَّ من الضباط للاتصال بأصدقائنا من القواد الفرنسيين في شمال إفريقيا للاطِّلاع على نواياهم والاتفاق على ما يجب أن يفعل وبالطبع يجب أن يحاط الأمر بكل سرِّية، فلو اكتشف مبعوثنا لأُنزل السجن هو ومن يتصل به، وبعد أن تطوع للمهمة عدد من أركان حربي اخترت مساعدي الجنرال ماك كلارك وعددًا من أعوانه ليتصل بالجنرال ماست وغيره.

وتمَّت الرحلة بطيَّارة وغواصة ووصل الوفد سالمًا، وجرى كل شيء حسب الخطة المرسومة. ولكن أخيرًا حامت الشُّبهات حول المتعاونين معنا من الفرنسيين، ولو لم يلتجئ ماك كلارك ومساعدوه إلى الاختفاء بركوبهم الغواصة، لقبض عليهم. فنتج عن ذلك أن عددًا من المزمعين أن يتعاونوا معنا اضطروا للهرب والتواري وعلى كلٍّ استفدنا كثيرًا من هذه العملية لأن الوفد عاد إلينا بكثير من المعلومات.

عرفنا نحن الأمريكيين من اجتماعنا بمستر ميرفي الكثير عن الفرنسيين مما كنا نجهله من قبل، إذ شرح لنا مطوَّلًا عن أخلاق وميول كبار الضباط الذين كان عتيدًا أن نقابلهم، وشدَّد على النقطة بأن الحكومة الأمريكية تتمتع بمركز ممتاز لدى الفرنسيين إذا ما قيست بما يضمرونه من كراهية ومقتٍ لبريطانيا بعد أن

حدث منها ما حدث.

اطَّلع رئيس الوزراء على هذه المعلومات واهتمَّ للأمر بأن تجري العملية بصبغة أمريكية صرفة حتى يسهل أمر نجاحها. وذهب مرة إلى أن الوحدات البريطانية التي سترافق الحملة يجب أن ترتدي بزّات أمريكية وإشارات أمريكية.

كنا إذا ما عقدنا اجتماعًا للتباحث في المواضيع السياسية الناتجة عن الحملة يجتمع معنا المستر إيدن وزير الخارجية البريطانية والمستر جون وينانت سفير الولايات المتحدة في بريطانيا، فنتفق على القول بأن السياسية لا يمكن أن تنفصل مطلقًا عن الجندية. وليست الحرب إلا امتدادًا لوجهة سياسية واسطتها القوة لا الكلام.

وما غزو الحلفاء لإفريقيا إلا مخاطرة وهجومٌ من قبل القوات المسلَّحة لدخول ميدان السياسة الدولية، لأن غزونا لمنطقة محايدة له ردٌّ فعل سياسي عند الشعوب والدول. ولكن أمر ردِّ الفعل لدى الآخرين كان سهلًا في نظرنا إذا ما قورن بما كان يصارعنا من مشكلات يوميًا. كنا نقامر في سبيل هدف عظيم، ولكن المقامرة هي صفة ملازمة أبدًا لكل حرب، ولكن أمرنا في هذه المقامرة كان أشبه بمن يضرب في سراب، إذ كنا نجهل عدد السفن التي في حوزتنا عندما تبحر الحملة. ولا ندري إذا كانت قواتنا الجوية تستطيع حماية قوافلنا البحرية عندما تقترب من البر الإفريقي.

قامت في وجهنا مجازفة أخرى عندما قدَّم أحدهم مشروعًا بأن نقوم بإرسال مظلِّيِّين من إنكلترا على طائرات النقل وإنزالهم في مطارات وهران، فماذا يكون مصير تلك الطائرات والمظليين إذا

ما فوجئت وهي في رحلتها البالغة ألفًا ومئتي ميل من قبل قوات العدو. وأي مصير ينتظرها إذا ما صادفت مقاومة في المطارات التي تقصد إليها؟ هذا عدا عن جهلنا لكيفية المطارات التي سينزل مظلّيّونا فيها.

إن مواضيعَ مثل هذه وما يكتنف خططنا من مجازفات كانت أحيانًا تجعل بعض الضباط ذوي الخبرة يضعون أيديهم على وجوههم ويصرخون «لا يقوم بمثل هذا المشروع إلا من كان له دماغ أرنب» كما قدم آخرون رأيًا بانتقاء قوة خفيفة ضاربة لاحتلال مرفأي الجزائر ووهران خوفًا من التخريب وإعاقة الهبوط.

لا شك في أنّا أقمنا نظام تعاوننا على أساس جديد ومنذ ما عرف عن تعييني قائدًا لحملة إفريقيا جعل عددٌ من أصدقائي القدماء يحذِّرني بأن فكرة اتحاد البروتين الإنكليزية والأمريكية في عملية واحدة خاطئة وغير عملية من أساسها ولن تصادف إلا الفشل، وإن التاريخ تحدَّث كثيرًا عمّا أصيبت به الجيوش الغازية إذا لم تكن من عنصر واحد وأمة واحدة، فهذه الحملة المركَّبة من عنصرين من المحال أن تعمل بانسجام، ولهذا لا بدّ من إصابتها بالفشل، وإن اللوم سيقع جميعه عليّ، فيُضحَّى بي وبسمعتي وما يزال صدي تراشق التهم بين الإنكليز والفرنسيين حينما فشلوا لاندماجهم تحت قيادة واحدة وانكسارهم في وجه الألمان سنة ـ يرنّ في آذان كل ذي سمع ولكن ما كنت أراه وألمسه كل يوم من روح التعاون والصداقة والإيمان بالقضية المشتركة والاستعداد للتفاني من أجلها جعلني لا أفسح مجالًا لكل رأي ووجهٍ متشائمٍ

انهزاميّ.

في أوائل الخريف أعفت القيادة الإنكليزية الأميرال رمزي من رئاسة العملية البحرية المشتركة وعينت مكانه السير أندرو كاننهام الذي تعرفت عليه لأول مرة. فإذا به من الطراز الجريء كنلسن يعتقد أن السفن لا تركب المياه إلا من أجل غاية واحدة وهي اكتشاف سفن العدو وإفنائها. لا يفكر إلا بالهجوم لا بالدفاع، إنه رجل قوي، صعب المراس، ذكي ومستقيم، ومع كل صلابته يمتاز بشيء من الجاذبية مما جعل عارفيه من جميع الرتب سواء أكانوا أمريكيين أم إنكليز يحبونه ويحترمونه وبالاختصار أنه كلب بحر حقيقي. لن أنسى ما حييت جوابه عندما طلبت منه في خريف 1943 أن يرسل قسمًا من الأسطول الإنكليزي حاملًا فرقة جنوده إلى مرفأ تورنتو الإيطالي مهما أشيع يومئذ عن كثرة الألغام المبثوثة فيه، فأجاب: «يا سيِّد إنَّ أسطول جلالته هنا ليَصْدَعَ لأوامرك ويذهبَ حيث تشاء».

كان كلّما اقترب يوم الغزو شمَّرْنا عن سواعدنا في سبيل الاستعداد وقد أجرينا تدريباتنا للجنود والبحارة على شواطئ سكوتلندا الغربية حيث راحوا ينزلون إلى البحر ثم يصعدون الشواطئ في بحر عاصف وجوّ قاتم. في أحد الأيام رافقني عدد من هيئة أركان حربي لنراقب عمليات التمرين، فوجدنا أن الحالة غير مرضية، لأن النقص في التدريب والمهارة كان ظاهرًا، ولا سيَّما في قسم القوارب، ولكن ذلك لم يجعلنا نتأخر عن اليوم المعيَّن لاعتقادنا أن ما حصل من أخطاء في أثناء التمارين سيتلافاه البحارة في العملية الحقيقية وذلك ما حدث.

في أثناء تلك الرحلة أخبرني أحد قواد الوحدات الأمريكية أنه استلم مؤخرًا كمية من مدافع البزوكا، وهي خير سلاح في أيدي جنود المشاة ضد الدبابات فرجعت في مخيلتي عندئذ إلى الحالة في أمريكا زمن السلم، وقابلت بين ذلك وبين ما تجريه اليوم من نشاط في إنتاج أحسن الأسلحة فعالية في كل ناحية، وتذمر القائد الذي كان عليه أن يركب السفن مع فرقته في اليوم الثاني قبل أن يتسع له المجال أن يمرن جنوده على استعمال هذا السلاح الجديد. وختم قائلًا: «حتى أنا نفسي لا أعرف إلا قليلًا عن البزوكا وفعاليتها ضد الدبابات».

لم يبقَ لي شيءٌ أفعله في لندن، فصممت أن أغادرها إلى جبل طارق، ولكي نخدع الصحفيين في سبب تغيُّبي عن لندن أشعت بأني ذاهب إلى واشنطن، وقد ساهم الرئيس روزفلت بتلك الإشاعة إذ إنه أخبر الكثيرين بأنه أرسل في طلبي.

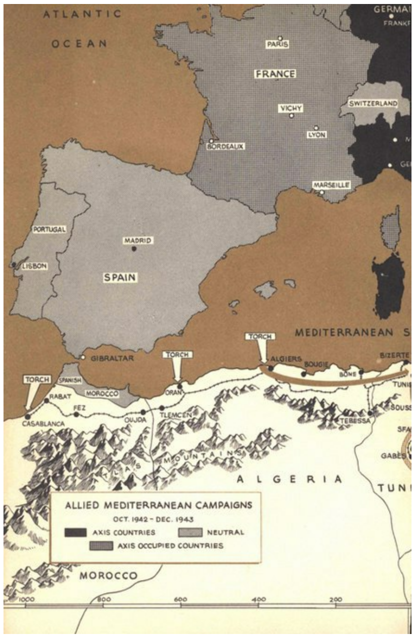

وفي الخامس من شهر تشرين الثاني سنة 1942 ركبت وعددًا

من مرؤوسيَّ خمسَ قلاعٍ طائرة ووصلنا قلعة جبل طارق. فاستقبلنا حاكمها الجنرال ماسون مكفرلسن، وأبدى الكثير من حسن الضيافة وأنزلنا في دار الحكومة. حدث أن الطائرات الأربع التي رافقتني قد وصل الخبر عن وصولها سالمة، ولكن لم يكن اسم طائرتي بينها في لندن، فسادَ جوَّها التشاؤم والقلق مدَّة بضع ساعات، إلى أن استفسرت القيادة هنالك عن جليَّة الأمر، فأخبرناهم بأني سالم ولم يسقط اسم طائرتي إلا سهوًا. وفي اليوم التالي كانت إحدى قلاعنا متوجِّهة أيضًا من لندن إلى جبل طارق، فتصدَّت لها طائرتان ألمانيتان من طراز ماركة 88 فجرح أحد الركاب لكن مدفعية القلعة استطاعت أن تردَّ الطائرتين.

بعد أن أخذت قسطًا من الراحة دخلت دهاليز قلعة جبل طارق حيث صمّمت أن أجعل مركز قيادتي، ووافاني عندئذ الأميرال كننهام الذي غادر لندن على متن طرّاد سريع، وابتدأنا ندرس التقارير الواردة عن العملية وعن حالة الطقس، ثم جعلنا نراجع وننقّح كل ما رتبناه واتفقنا على إجرائه. مما يختص بالغزو وحالة العدو وما لدينا من استعدادات وما يُعِدُّ لنا المستقبلُ من مفاجآت.

الفَصلُ السَّادِسُ

غزو إفريقيا

إن مركز القيادة الذي اتخذناه في جبل طارق كان مظلمًا مقفرًا إذ لم نستطع أن نجد مكانًا يؤوي لوازم المكتب إلا في الممرّات السفلى تحت الأرض. وكانت الظلمة تكتنف الدهاليز من هنا وهناك لا يقطعها إلا بعض بصيص القناديل الكهربائية. وزدْ على ذلك أنَّ الدهاليز رطبةٌ، مضنيةُ البرودة حتى أنَّ المَراوح الكهربائية لم تستطع أن تحرِّك الهواء فيها، ناهيك عن السقوف ذات الأقواس التي أخذت نقط المياه تتساقط علينا منها في فتراتٍ متقاربة كأن أصواتها دقَّات ساعات مزعجة للتفكير.

اضطررنا أن نتَّخذ مقرَّنا هنالك لنبقى على مقربة من قوّاد القوى الثلاث التي ستشترك في الغزو على إفريقيا إذ لم يكن للحلفاء في تشرين الثاني سنة 1946 أيّة بقعة من الأرض في كل منطقة أوروبا الغربية وفي النصف الغربي من البحر المتوسط سوى بقعة جبل طارق، فهو حقًا القلعة التي جعلت غزو شمال غربي إفريقيا ممكنًا، لأن غزوًا برمائيًا في العصر الحديث يكاد أن يكون مستحيلًا دون حماية جوية. وفي أثناء المراحل الأولى للغزوة كان مطار جبل طارق الصغير مزدحمًا بصورة عجيبة، حتى لم يوجد فيه قيراطٌ إلا وملأتْه إما «سبتفسير» أو برميل نفط، كان كله معرضًا لطائرات استكشاف العدو، لأنّا لم نستطع أن نجد طريقة واحدة نخفي حتى جزءًا منها، والذي هو أسوأ من ذلك أنه واقع

على الحدود الإسبانية يفصله عنها فقط حقلٌ ضيِّقٌ مسيَّجٌ بالأسلاك الشائكة، ولا يخفى أن سياسة إسبانيا كانت يومذاك ميَّالة للمحور، ولم نستبعد كلما التفتنا نحو الأرض الإسبانية أن نرى عملاء المحور ينظرون إلينا. وكنا نتوقع في كل لحظة أن تمطرنا قاذفات الأعداء بقنابلها، وإذا ما أوينا للفراش فكَّرنا في الأسباب التي منعت الألمان عن مهاجمتنا. فلم نجد أسبابًا لذلك سوى أننا استطعنا أن نخفي خططنا بنجاح، وإلا فلماذا يقعد العدوُّ عن الهجوم وقد انكشفت قوافل سفننا له وهي تزدحم عند البوغاز؟ والجواب على ذلك أنه ظن بلا شكّ بأنّا نقوم بمحاولة جريئة لإيصال المَدَد إلى مالطة المعزولة عن المَدَد والمؤن.

مع أنّا كنا تحت خطر هجوم العدو في ذلك الجو القاتم كانت روح المرح مسيطرة على كل واحد منا، لأنّا شعرنا بعد الانتظار والاستعداد أنَّ ساعة الصفر قد اقتربت للعمل الذي نذرنا نفوسنا له.

نعم كان التوتر موجودًا، شعرنا به ونحن جلوس أو مشاة. ومن الطبيعي أن نكون في حالة توتر وبيننا وبين القَدَر بضع ساعات، ونحن نوشك أن نقوم بأوَّل عملية هجومية، إذ قبل الآن لم يكن في استطاعة الحلفاء إلا اتخاذ موقف الدفاع لولا بعض الاندفاعات التي قام بها البريطانيون في الصحراء، وهناك كانت المعركة كرًا وفرًا بين العلمين والبردية، وحتى في الدفاع لم نثبت فتقهقرنا من دنكزك وباتان وهونغكنغ وسينغابور وطبرق.

في تلك الساعات التي تجولنا فيها بين قوافل جبل طارق كنا

نشاهد مئات من سفن الحلفاء بعضها مسرع والبعض الآخر متمهِّل، جميعها تندفع من شمال الأطلسي إلى نقطة معينة على شواطئ إفريقيا الشمالية الغربية. ولكي تستطيع مهاجمة الجزائر ووهران وجب عليها أن تخترق بوغاز جبل طارق وجوانبها معرضة لأفواه المدافع التي قد تلفظ في أية لحظة نيرانها لصالح النازيين، بينما كانت سفن أخرى آتية من أمريكا متجهة نحو الدار البيضاء وغيرها من المرافئ القريبة منها على شواطئ الأطلسي.

لا يخفى أن هذه الحملات الثلاث كانت تخوض بحارًا تكمن فيها غوّاصات الأعداء. وبعد أن تقطع البوغاز شرقًا في المتوسط تصبح تحت خطر القاذفات جوًا زيادة على خطر الغواصات. والشيء الذي أثار فينا بعض الخوف أن الوقت لم يتَّسع لتمرينٍ كافٍ لمثل هذه العملية، هذا بالإضافة إلى أنّا لم نستطع الحصول على سفنٍ كافية لنقل جميع الجنود والمعدّات التي تقرّبنا من النجاح المضمون لذلك استولى التوتر علينا.

لم يستولِ علينا الضجرُ ونحن في دهاليز جبل طارق قبل أن نباشر الهجوم، لأن انشغالنا بوضع الخطط والتفكُّر فيما سيصادف حملتنا من مصاعب استغرق أكثر أوقاتنا. وبعد انتظار ثلاثة أيام بدأت السفن تمخر بالبوغاز ليلًا. فوقفنا على الأرصفة نراقبها، وعندما تقدَّمتْ في المتوسط لم تصلنا منها إشارة عن وجود أي خطر صادر لا من الغواصات ولا من القاذفات، فوجدنا أن يكون العدو قد احتفظ بطائراته وغوَّاصاته حتى ينقضَّ علينا ويدمِّر أساطيلنا عندما نقترب من مالطة.

كانت الخطّة الموضوعة للهجوم على الدار البيضاء أنه إذا وصلت السفن في بحر عاصف فلا بدّ لها من البقاء في البحر تدور على نفسها إلى أن يصفو الجوُّ ويهدأ البحر، وأنا في جبل طارق خطرت لي فكرة وهي أن هذه السفن إذا ما بقيت في البحر فقد ينفدُ وقودُها، وقد تتعرَّض لخطر الغواصات الجاثمة في تلك الأنحاء.

فحدَّثتْني نفسي أن آمرها بأن تأتي إلى جبل طارق، ومتى تحسنت الأحوال نرسلها إلى الدار البيضاء. والذي زادني قلقًا أن ربَّان إحدي غوَّاصاتنا في اليوم الذي سبق عملية الإنزال أبرق يخبرني أن البحر شديد الهيجان. وكم شعرت بارتياح عندما جاءتني برقيّة أخرى في صباح اليوم التالي بأن الطقس قد أخذ يميل إلى الاعتدال وأن العاصفة قد بدأت تطوي جناحيها للسكون. وبعد لحظات عرفت أن عملية الإنزال قد بدأت بنجاح فجثوتُ على ركبتي أشكرُ الله الذي بدَّد مخاوفي ووضع حدًّا لقلقي.

لا بدّ من القول إنّا صادفنا ونحن في جبل طارق صعوبةً لم نحسب حسابًا لها من قبل، وهي الاتصالات اللاسلكية لأنه في المراحل الأولى لم يكن لدى مركز القيادة من وسائل اتصال إلا عبر الراديو. ولكن يظهر أنَّ احتشاد السفن وكثرة الازدحام قد شوَّشا النَوَّ وجعلا التفاهمَ بيننا وبين سائر القِطع مشوَّشًا مبهمًا. فكان على القواد والربانية أن يتصرفوا أحيانًا حسب ما تمليه عليهم ظروفهم، لا حسب أوامر صريحة، مما جعلني أتشوق لمغادرة جبل طارق ونقل قيادتي إلى البر الإفريقي بأسرع ما يمكن.

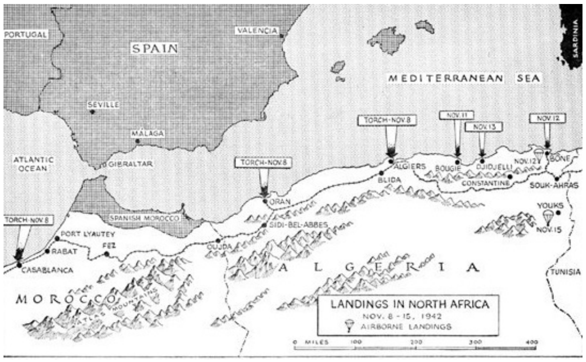

النزول في شمال إفريقيا من 5-18 تشرين الثاني 1942

كان أول تقرير وصلنا عن الالتحام بالعدو مخيبًا للآمال، وذلك لأن السفينة توماس ستون المتجهة إلى الجزائر قد أصيبت بطوربيد وهي على مسافة مئة وخمسين ميلًا من هدفها، وذلك في السابع من شهر تشرين الثاني: ولم تزد التفاصيل على ذلك. ومع أن حسن الحظ قد رافقنا إلى درجة عجيبة حتى ذلك التاريخ فإننا لم نستطع أن نملك أعصابنا عن القلق والشعور بالغَمّ، ولا سيّما أنّ السفينة تحمل عددًا كبيرًا من جنود المشاة، فقلقنا على مصيرهم. لكن التفاصيل التي وصلت فيما بعد كانت مطمئنة، لأن السفينة لم تتعرض للغرق، بل للعطب فقط، فبقيت عائمة، والذي أنعشنا هو أن الحادثة لم تَفُتَّ في عضد الجنود، لأنهم لم يشاؤوا أن تُقطَر سفينتهم بل أرادوا أن يركبوا القوارب ليصلوا إلى المكان المعيَّن لهم في الوقت المحدد: ولكن هيجان البحر حال دون تحقيق أمنيتهم، فاضطروا إلى أن يركبوا سفن الحراسة ويتأخروا نحوًا من عشرين ساعة عن الموعد ولحسن الحظ أن غيابهم لم يؤثر على الخطة.

وفي ذلك اليوم نفسه أي 7 تشرين ثاني حصلت لي مقابلة مكدِّرة جدًا وغريبة في بابها لم يحدث لي ما يماثلها في كل مدة الحرب.

ورواية ذلك كما يلي:

بناءً على ما اعتقده الحلفاء في لندن أن الجنرال جيرو يستطيع أن يحمل الجيش الفرنسي في شمالي إفريقيا على أن ينحاز إلى جانبنا، فقد قام المستر ميرفي تبعًا لتوصياتنا، بمحاولة لإنقاذ الجنرال من سجنه في ناحية من جنوبي فرنسا ونجحت المهمة بفضل أصدقائنا من الفرنسيين، فهرب الجنرال ليلًا إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره إحدى الغواصات الإنكليزية بقيادة الكابتن ريت العامل في البحرية الأمريكية. فحملته إلى مكان معين حيث التقطته إحدى سفننا الطائرة وحملته مع ثلاثة من معاونيه إلى مقر قيادتي.

بعض الجنود الاميركيون يدفعون سياراتهم الغارقة في الطين في الجبهة الايطالية

وأول ما وقعت عيني عليه رأيت فيه جنديًا كاملًا، مع أنه كان يرتدي اللباس المدني: يبلغ طوله ست أقدام، منتصب القامة، جَسُور، تظهر عليه علامات الخشونة، لم تقلِّل من هيبته الأوساخ التي تلطخ ثيابه، ولا ما مر عليه من تجارب مريرة في أثناء الحرب وما عاناه من سجن، رغم كل ذلك بقي محتفظًا بوقاره، ولا تُفَلُّ له عزيمة.

ظهر لي منذ البدء أنه أساء فهم الغاية التي أخرجناه لأجلها من فرنسا. فتوهم أنه سيتسلم القيادة العامة لجيش الحلفاء الذي سيهاجم إفريقيا. وقال بكل صراحة إنه غير مستعد، بعد ما تجشَّمَه من متاعب، وما عرَّض نفسَه له من الأخطار، أن يقبل أي مركز دون ذلك فلم أستطع أن أقبل خدماته بهذا الشرط وأعلمته أن القصد من الاستعانة به هو أن نرسله إلى إفريقيا ليتسلّم هنالك إمرة الفرنسيين الذين يرغبون في أن ينضموا تحت لوائه ويقاتلوا إلى جانبنا. وأطلعته على أنه لولا خوفنا من الاصطدام مع الفرنسيين الذين نحسبهم أصدقاء لما استعنَّا به، لأن عدوَّنا الحقيقي

هو ألمانيا، العدو الذي أذلَّ فرنسا وما يزال جاثمًا على صدرها، فما أخلَقَ به أن يساعدنا لنسهّل أمرَ انتصارنا على العدوّ المشترك. فأجاب بجرأةٍ أنَّ لا شرفه الشخصي ولا شرف فرنسا يسمحان له بقبول أقلّ من القيادة العامة.

كان ذلك مستحيلًا لأن تعيين القائد العام تم بعد مباحثات ومشاورات من جانب حكومتَي الولايات المتحدة وبريطانيا ولا يمكن نقضُه بقرارِ أيِّ شخصٍ بمفرده.

وأفهمتُه أن لا أحدَ من الضباط والجنود مستعدٌّ أن يتلقَّى أوامرَ منه، ولا سيّما وأنه لا يوجد فرنسيٌّ واحد في حملتنا، بل بالعكس فأنا بحالة خوف من عداوة الفرنسيين، فكيف يمكن أن نسلّم القيادة لفرنسي.

وبعد الجهد والشروح الكثيرة رأيتُ علامات الخيبة على وجهه. وبعد مدة سمعته يقول إنه يرفض أن يقوم بأي قِسطٍ من المشروع.

«الجنرال جيرو لا يستطيع أن يقبل بمركز ثانوي في هذه القيادة، لأن مواطنيه لا يريدون منه أن يلطخ شرفه العسكري». كان موقفه يثير الشفقة لأنه قد ترك عائلته رهينة في يد الألمان، وهو نفسه تجشَّم المتاعب لكي يتعاون معنا، ولكن ليس بالصورة التي ارتأيناها.

كان مستشاراي السياسيان في الحملة المستر فريمان مانيوس من وزارة الخارجية الأمريكية، والمستر وليم ماك من وزارة الخارجية الإنكليزية، قد اهتما للأمر واقترحا عليَّ تسميتَه قائدًا عامًّا بالاسم على أن أحتفظ لنفسي بالقيادة الفعلية لأنهما شعرا بأن

اسم جيرو على رأس الحملة قد يُنقِذ الموقف ويحوِّله من كارثة إلى نجاح مُبين فلم أستطع أن أقبَلَ بمثل هذا الاقتراح وتمسَّكتُ برأيي مصرِّحًا بأنه إنْ لم يقبل الجنرال جيرو بتسلّم قيادة القوى الفرنسية فقط في إفريقيا الشمالية التي قد تنحاز إلى جانبنا ضد الألمان فإنّا سنسير بحملتنا حسب الخطة كأنه لم تحدث مقابلة بيننا وبينه، دامت المباحثات إلى ما بعد منتصف الليل بيننا وبينه ومع أني استطعت فهم فرنسيته جيدًا، إلا أني حرصت على حضور ترجمان قدير كي لا يسيء فهمي، وبعد ساعة من المناقشة في الموضوع استنفدنا كل ما عندي وعنده من حجج، ولكي نتلافى ملل التكرار والرجوع إلى قول الشيء نفسه استعنّا بوسطاء وعلى رأسهم الجنرال ماك كلارك، ولكن دون جدوى. ولما وقف ليذهب إلى فراشه لم يظهر عليه أنه مستعد لأن يتنازل عن شيء من صلابته، فودَّعني قائلًا: «سيتخذ الجنرال جيرو موقف المشاهد من العملية» على أنه استدرك بأنه مستعد أن يقابلني في دار الحكومة صباحًا.

قبل أن أختم عملي تلك الليلة أرسلت تقريرًا مفصَّلًا عن المقابلة مع الجنرال جيرو إلى هيئة القيادة العامة فاستلمت الجواب بأنها توافق على كل خطوة اتخذتها، وتأسف على أنني أضعت الكثير من وقتي في سبيل قضية تافهة، وكم كنت سعيدًا لأنني لم أستطع أن أقرأ حوادث المستقبل وأتبين ما كان مقدّرًا لي أن أصرفه في مقابلات ومباحثات بعضها مُجْدٍ وبعضها تافِه، مما ليس له علاقة مباشرة بعملية الغزو، وإلا لأشفقتُ على نفسي مسبقًا.

لحسن الحظ استطاع الليل أن يغير موقف الجنرال جيرو، لأنه

أخبرني صباحًا أنه مستعد لأن يقبل بوجهة نظرنا. فسررت بذلك ووعدته إذا ما نجح فيما انتدبناه إليه، بأني سأعمل على تعيينه حاكمًا إداريًا وعسكريًا للمنطقة كلها حتى يحين الموعد الذي يستطيع فيه السكان هنالك أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم.

تبين فيما بعد من الأحاديث التي جرت بين الجنرل وبيني بأنّا على خلاف في الحملة من أساسها، لأنه حاول أن يقنعني بأن الهجوم على إفريقيا لن يقصر مدى الحرب لأنه بعيد عن إصابة ألمانيا بمقتل. فالأوفق إذًا أن ندير ظهورنا إليها ونتجه لغزو جنوبي فرنسا، ولكني أخبرته أن الجنود كانت آنذاك تقوم بعملية نزول في الأمكنة المعيَّنة لها، وأننا لا نستطيع الأخذ بوجهة نظره لأننا لا نملك التغطية الجوية لمثل تلك العملية، وإن ما نمتلكه من السفن لا يستطيع أن يقوم بحمل الرجال والمعدات الكافية للوقوف في وجه هجومٍ ألمانيّ ساحق. وبيَّنتُ له أن الخطة التي نقوم بها حاليًا قد اتفق عليها المسؤولون في كلٍّ من أمريكا وبريطانيا، ولا نملك حق تغييرها لكنه لم يستطع أن يدرك أهمية شمالي إفريقيا كقاعدة نفتقر إليها في بناء قوتنا واستعدادنا لما يلي من عمليات حاسمة في مهاجمة أوروبا من الجنوب.

يظهر أن المدة التي قضاها الجنرال جيرو أسيرًا في ألمانيا ثم سجينًا في فرنسا جعلته لا يواصل الاطِّلاع على الفن الحربي الذي أملتْه ظروف الحرب التي نشترك فيها.

ولهذا لم يدرك أهمية العمليات الجوية وفعاليتها في حماية السفن البحرية، كأن ما أصاب الدارعتين الإنكليزيتين برنس أوف ويلس

وربالس في مياه سينغابور لم يكن برهانًا كافيًا لفعالية الطائرات التي لها قواعد برية مضمونة. ولذلك ظن أن باستطاعتنا غزو جنوبي فرنسا من دون قواعد ثابتة لطائراتنا، حتى ترد الأذى عن سفننا ثم أنه قدَّرَ قواتنا بأضعاف ما هي عليه، فخال أن باستطاعتنا إنزال نصف مليون جندي في فرنسا. ولكني أطلعتُه على حقيقة الأمر بأن قُوَّتَنَا محدودةٌ جِدًّا، وما غزونا لشمالي إفريقيا إلا عمل يكاد يكون فوق طاقتنا.

بدأت التقارير ترد إلى مقري منذ ليل الثاني من تشرين الثاني عن عمليات النزول، وفي الصباح عرفنا أن احتلال الجزائر جري حسب الخطة المرسومة إذ لم نصادف أية مقاومة تذكر، وذلك بفضل ما قام به المستر ميرفي من اتصالات مع الجنرال ماست ومع الجنرال جوان اللذين سهَّلا الأمر علينا. ولكن عقلنا الباطن كان حينذاك منشغلًا بالتفكير بوجوب الاندفاع شرقًا لاحتلال تونس، وما تزال أمامي رقعة ورق كتبت عليها بقلم رصاص أن الزحف نحو الشرق يتأخر موعده. أما في وهران فقد استطاعت قواتنا الوصول إلى البَرّ ولكنها صادفتْ مقاومةً شديدة، ولا سيَّما من البحرية الفرنسية، وفرقنا الأولى التي لمَّا يتمَّ تمرينها وتدريبها بَعْد، اشتركتْ بكل جرأة في المعركة، واستطاعت بمعونة الفرقة الصفحة الأولى أن تصيب العدو بضربات شديدة مما جعل الفرنسيين يفاوضوننا في اليوم التالي بأمر وقف القتال.

وفي العاشر من الشهر توقف إطلاق النار، والتقى الجنرال فريد ندال بالجنرال تري من جانبِي لوضع شروط الاتفاقية.

وبدأ القتال أيضا في الجبهة الغربية قرب الدار البيضاء، ولا سيَّما في مرفأ ليوتي، والذي جعل مهمة جنودنا صعبة هو أن البحر الذي هدأ يوما ليشجعنا على النزول رجع وغضب وهاج حتى جعل دعم جيشنا بالرجال والمعدات صعبًا. ثم انقطعت الأخبار من هناك، والاتصالات اللاسلكية كانت مشوَّشة مبهمة، لم يستطع أحد أن يفكَّ رموزَها. فحاولتُ أن أتصل بالجنرال باتون بواسطة الطائرات الخفيفة، ولكن العدو أسقطَها فطلبت عندئذ من الأميرال كاننهام أن يعيرني سفينةً سريعة للقيام بالغرض، ولحسن الحظ وجدت عنده في مياه جبل طارق سفينةً من أسرع ما عرفت، فاخترت الأميرال بيري الأمريكي ليذهب على ظهرها ويُطلِعَنا على ما يجري هنالك.

ثم إنه في التاسع من الشهر ذهب الجنرال كلارك والجنرال جيرو جوًا إلى الجزائر في محاولة لإجراء اتفاقية مع المسؤولين الفرنسيين ليتوقف القتال وينضمَّ الجيشُ الفرنسي إلى قُوَّاتنا ضِدَّ الألمان.

إن ما صادفه الجنرال جيرو من مقابلة باردة من الفرنسيين في إفريقيا كان ضربة هائلة لما شهدناه من آمال، لأنهم تجاهلوه كليا. ولما حاول أن يتصل بهم عن طريق الإذاعة ويخبرهم بأنه عيّن قائدًا أعلى للقوات الفرنسية في شمالي إفريقيا، ودعاهم بناءً على الصلاحيات المعطاة له إلى أن يتوقَّفوا عن مقاومة الحلفاء والانضمام إليهم، لم يسمع له أحد. قد يكون ذلك لسببين، الأول أن جهاز الإذاعة لم يكن صالحًا، والثاني أن الأميرال دارلان كان في الجزائر نفسها. ولكن لم يخامرنا شكٌّ في أنه جاء لإطلاعه على

خبر غزوتنا لأن كل الدلائل كانت تشير إلى أنها جاءت مفاجئة للجميع، لم تكن على بال أحد إلا النفرَ القليل الذين تأكَّدنا من إخلاصهم وأطلعناهم على نوايانا. فمجيءُ دارلان إلى الجزائر إذن كان صدفةً ليعود ابنه المريض هنالك.

بوجود دارلان في قبضتنا نكون قد قبضنا على رئيس القوات الفرنسية جميعها لكن المشكلة التي واجهتنا في ذلك كانت ماذا نفعل به. الجواب بسيط، وضعه في السجن، ولكن كيف نوجِّه إليه معاملة سيئة وفي مقدوره أن يعطي الأوامر الضرورية للأسطول الفرنسي في مرفأ طولون وفي دكر بأن ينضم إلينا فتزول من أمامنا عقبة من الخطر الذي يهدِّدُنا في البحر المتوسط، وكنت قبل أن أغادر إنكلترا قد سمعت المستر تشرشل يقول: «لو تسنَّي لي أن ألتقي بدارلان، مع شدَّة كرهي له، لزحفْتُ مسرورًا، على يدي ورجلي مسافة ميل أملًا بأن أتمكَّن من كسب أسطوله إلى صفوف الحلفاء». ولكن وجود دارلان في أيدينا فتح أمامنا فرصة جديدة، لأن ذهنية الضباط الفرنسيين متشبعة بوجوب التصرف على أساس شرعي. وكثيرًا ما قالوا إن قبولهم وقف القتال إطاعة لأمر ذوي المركز الشرعي، فإذا تلقُّو الآن أمرًا من رئيسهم الشرعي دارلان بوقف القتال كان ذلك مبررًا لانضمامهم إلينا.

لم يقم الجنرال ماك كلارك ببحثٍ مع أيّ قائد فرنسي إلا ورفض أن ينضمَّ إلينا مع جنوده إنْ لم يتلقَّ أوامر شرعية من المراكز المعنية بالأمر، لأنهم جميعا قد حلفوا يمين الولاء والإخلاص للمارشال بيتان ذلك الاسم الذي نزل منهم في شمالي إفريقيا منزلةَ القداسة... ولم يشعر أحدٌ منهم بأنه في حِلٍّ من تلك اليمين إلّا إذا

أمره الأميرال دارلان قائدهم الشرعي الذي يمثل بيتان.

لم يُجْدِ يومئذٍ ولا فيما بعد حديثُنا مع أيّ فرنسي سواء أكان عسكريًا أو مدنيًا، وذلك بسبب قوة تأثير شخصية المارشال عليه، فكانت صورته تظهر لنا في كل مسكن وفي الأبنية العامة وهو في مواقف مختلفة كخطيب وكقائد، ولذلك أبرق إليّ الجنرال ماك كلارك من إفريقيا بأنه لا سبيل إلى مصالحة الفرنسيين إلا بواسطة دارلان. وقد وافق الجنرال جيرو على الرأي، وكان كلارك حريصًا على الاتصال بي دائمًا ليطلعني على تطورات الحالة هناك. فعرفت أنه يصطدم بعقبات كأْداء في محاولته إقناع الفرنسيين بوقف قتال جنودنا وبينما كنت غارقًا في أشغالي إذ بي أستلم رسالة من رئيس أركان حربي الذي تأخر موقتًا في لندن يقول فيها:

بما أن عملية المشعل تسير بنجاح فقد ورد اقتراح من المقامات العليا بالتوقف عن حشد القوى في شمالي إفريقيا لكي يتسنى لنا التحضير للهجوم الرئيس: كنت قد تعودت على ميل بعض المسؤولين البعيدين عن الجبهة إلى التفاؤل بأي نجاح صغير نحرزه، ولكن عند استلامي تلك الرسالة استولى علي الغضب وأرسلت في الحال هذا الجواب الذي اقتطف منه ما يلي:

«إني أعارض، بشدة أي إجراءٍ تتخذونه بهذا الخصوص، لأن الحالة لم تتبلور، بل على العكس، فالفرنسيون ما يزالون يقاوموننا ويضعون العراقيل في طريقنا.

والشعب لا يتخذنا كأصدقاء، وحالة المواصلات سيئة. وإن لم

يرسل إلينا المَدَد بغزارة نصبح بحالة يرثى لها. وكان يجب أن تتحدثوا عن الطرق التي تسرع في الإنتاج والسبل التي تقوينا بدلًا من أن تتحدثوا عن إجراء إنقاصٍ بالمَدَد، حتى نتمكن من تطهير إفريقيا الشمالية. يجب أن نضع الخطط لعمليات المستقبل ولكن لِنَسَرْ في الترتيب لنتمّم العملية بعد الأخرى، لنتجنب التشويش والاضطراب فإننا خسرنا عددًا من السفن في الأيام الثلاثة الأخيرة، وليس عندنا شيء من الطائرات في الاحتياط حتى يمكننا تغطية قوافلنا. وزيادة على ذلك فإن خطر قيام الألمان بهجوم عن طريق إسبانيا لم يتلاشَ: واعلموا أن الخوف لم يتسلَّل إلى مخيِّلَتي حتى بِتُّ أخاف من الأشباح وأستنجد من الذئب. ولكني أقول إذا كانت بدايتنا حسنة فيجب أن تقوُّونا كي نندفع إلى الأمام حتى لا تصاب البداية الصالحة بما يدمِّرهما ويقضي عليها».

في الثاني عشر من تشرين الثاني أبرق الجنرال كلارك بأن دارلان هو الفرنسي الوحيد الذي يستطيع أن يشكل تعاونًا معنا في شمالي إفريقيا. فتحققت أن القضية يجب أن تعالج محليًا، لأنه إذا رجعنا لواشنطن ولندن دهمنا الوقت فتهرق الدماء الكثيرة كل يوم عبثًا، حتى قد تتمكن العداوة بين جنودنا وجنود الفرنسيين ويصعب أن نجمع بينهم فيما بعد. والمبرر هو أن الأوامر التي لدينا من حكومتينا تقضي بأن نتعاون مع أية حكومة فرنسية نجدها في إفريقيا وزيادة على ذلك فإنّ القضية هي عسكرية بحتة، وإذا ما نتج احتكاك سياسي فقد يؤدي إلى ضحايا فيجب أن تقع المسؤولية على القائد المسؤول عن الجبهة، ولذلك اتخذت حلُّها على عاتقي، ولو أدى ذلك إلى صرفي من الخدمة لأن الأمر يدعو

إلى السرعة والفصل، لنتمكَّن من إيجاد إمكانية للتعاون بيننا وبين الفرنسيين.

عرفت جيدًا أن التعاون مع أيَّ سياسيٍّ فيشي يخلق اشمئزازًا وردَّ فعلٍ سَيِّئ في كلٍّ من إنكلترا وأمريكا لدى كل من لا يدرك وَيْلات الحرب. لذلك صمَّمتُ على أن أقصر تدخُّلي على الناحية العسكرية المحلِّية فقط، دون النظر إلى المفاهيم السياسية فاصطحبت الأميرال كننهام معي، وطرت إلى الجزائر في الثالث عشر، وحالما وصلت عقدت مؤتمرًا مع الجنرال كلارك والمستر ميرفي قنصل أمريكا العام في تلك الناحية. وتلك كانت أول مرة شاهدت ميرفي فيها بعد زيارته لي في لندن.

أطلعاني على كل مجاري الأمور، وتفصيل ذلك أن دارلان أرسل أوامره إلى كلِّ القواد الفرنسيين بأن يوقفوا القتال في 10 تشرين الثاني، وإن بيتان في فيشي تبرأ منه ومما أعلن وصرفه من الخدمة، فحاول دارلان عندئذ أن يلغي أمره السابق، لكن كلارك لم يسمح له. ثانيًا وصلت الأخبار إلى الجزائر بأن الألمان بدؤوا في اجتياح جنوبي فرنسا، وبناءً عليه صرح دارلان بأن الألمان قد خرقوا معاهدة سنة 1940 ولذلك أصبح مستعدًّا لأن يتعاون بكل حرية مع الأمريكيين. وفي الوقت نفسه كان الجنرال جيرو الذي صدم حينما اكتشف أن الفرنسيين غير مستعدين أن يتبعوه قد اقتنع تمامًا بأن دارلان هو الموظف الوحيد في المنطقة الذي يستطيع قيادة إفريقيا الشمالية إلى جانب الحلفاء. وعندما دخل الألمان جنوبي فرنسا ذهب إلى دارلان وقدم نفسه للتعاون معه وأخبرني أيضًا بأن القتال في كزبلانكا قد توقف تمشيًا مع أوامر

دارلان، وأنه قد توقَّف في بعض الأمكنة قبل استلام أوامره والمزعج في القضية أن الضباط الفرنسيين الذين تعاونوا معنا قبل إصدار أوامر دارلان بما فيهم الجنرال بيتوارت والجنرال ماست قد أصبحوا مكروهين.

بعد أن صرَّحا بما ذكرت قال المستر ميرفي: «إنَّ القضية كلها قد أصبحت عسكرية، وأنت المسؤول عن معالجتها وحلِّها».

عندئذ أخذنا ندرس المشكلة من جميع نواحيها، وكان علي أن أواجه الموقف بصراحة. فرأيت أمامي حلَّين متعاكسين، الأول هو أن أعقد هدنة فأوفِّر الوقت والنفوس، وأنشئ اتفاقية مع الفرنسيين على أساس التعاون معًا. والثاني أن التجئ إلى القوة فأقبض على دارلان وأودعه السجن، فينتج عن ذلك مواصلة القتال وتراكم الحقد لأن الفرنسيين ما يزالون رسميًا أمة محايدة وإن لم تعلن حكومتانا الحرب عليهم رسميًا فلا يحق لنا أن نقيم لأنفسنا في شمالي إفريقيا حكومة تأتمر بأمرنا ضد الحكومة الشرعية القائمة، كما يفعل النازيون.

أخيرًا تمت الترتيبات لعقد معاهدة بيننا وبين الفرنسيين مؤدَّاها أن على الفرنسيين أن يتعاونوا مع جيش الحلفاء، ويضعوا بين يدي قائده الأعلى كل ما يسهل مهمته في احتلال الأمكنة التي يراها توافق عملياته العسكرية، بما في ذلك المرافئ والخطوط الحديدية، والمطارات والمواصلات البرية، وإلى آخر ما هنالك مما يحتاجه جيش في حالة حرب، على شرط ألّا يتدخل الحلفاء في شؤون البلاد، بل يتركوا ذلك إلى الأميرال دارلان الحاكم المدني

والعسكري في المنطقة ولا يقوموا بأي عمل يتأتى عنه إقلاق الحكم والإدارة الفرنسيين في شمالي إفريقيا، بل أن يفعلوا بالعكس، فيتعاونوا معهم لحفظ الأمن. وبذلك وفرنا على حكومتنا التعهد بأي ارتباط سياسي، وهو الذي سمح لنا باحتلال البلاد حتى يتسنى لنا طرد الألمان من تلك القارة. وقد وافق دارلان أيضًا على أن يضع صديقنا الجنرال جيرو على رأس قيادة القوات العسكرية الفرنسية هنالك.

المشكلة الثانية التي واجهتنا بعد الاتفاق مع الفرنسيين هي أن السكان العرب هنالك يعطفون على النظام الفيشي الذي قضى على كل نفوذ لليهود في تلك المنطقة وإذا ما ثار العرب ضدنا بإيعاز من الألمان فإن الأمر يصبح كارثة علينا، إذ هدفنا هو احتلال شمالي إفريقيا لاتخاذها قاعدة في حربنا ضد هتلر لا من أجل غايات سياسية أو مطامع توسعية وبسط نفوذ فوجودنا هنالك هو نظريا برضى الحكومة الشرعية، فيجب أن نتصرف بكل حكمة ودراية إذا أردنا أن نتجنَّب خلق المصاعب والمشكلات لأنفسنا.

مختصر القول إن وجود دارلان وفَّر علينا كثيرًا من الوقت والدماء في شمالي إفريقيا ولكن عندما فاوضناه أن يأمر الأسطول الفرنسي أن يغادر المرافئ الفرنسية ويلتحق بأسطولنا لم يورِّط نفسه، وقال إن ذلك صعب لعدة أسباب، أولها أن السفن تفتقر إلى زيت الوقود، وثانيها أنّ مغادرته الموانئ تخلق حالة فوضى واضطراب في جنوبي فرنسا. وبناء على ذلك فإن الأميرال لم يقم بأي محاولة لينضم إلينا، ولكنه أكد بأنه مقتنع بأن

الأميرال الفرنسي في طولون لن يسمح مطلقًا أن تقع سفنه بأيدي الألمان. قال هذا مرارًا وبكل تأكيد، وجاء فيما بعد ما أثبت صحة قوله.

ومن الناحية الثانية فإن دارلان تأكد أن الأميرال استيف قائد الأسطول الفرنسي في تونس مستعد أن ينزل عند رغبته هو وسائر القواد الفرنسيين هنالك. لكن طول الوقت الذي صرفناه في المفاوضة حال دون مشيئة دارلان وذلك لأن الأميرال استيف وكبار الضباط في تونس تسلموا أوامر صريحة من الماريشال بيتان أن يقاوموا الحلفاء بما أوتوا من عزيمة حتى أصبح بعضهم يقاوم بشدة أي اتفاق مع الحلفاء، بينما وقف البعض الآخر متحيرًا مترددًا.

وبينا هم في موقفهم المتردد بدأ الألمان ينزلون في تونس: فوصلت أول وحدة منهم جوًا بعد ظهر 9 تشرين الثاني، ومن ثم بدأت قواتهم تتوالى بسرعة، وعندما تم الاتفاق بيننا وبين دارلان في الجزائر أصبح زمام استيف بيد غيره، فأبرق يقول: «علي الآن حارس» فأدركنا أنَّ الألمان أخذوه رهينة ولكن الجنرال كيلنز والجنرال بار انصاعا إلى أوامر دارلان وانضما إلينا، وقاما بدور نشيط في الحرب.

عندما تسلم دارلان زمام الإدارة في شمالي إفريقيا أعلنت إفريقيا الغربية الفرنسية ولاءها له، وبذلك أصبحت تابعة لنفوذ الحلفاء وكيفية ذلك أن حاكم دكر بيير بواسون الذي هو جندي قديم كان قد فقد ساقه في الحرب الأولى وأصبح من ذلك اليوم شديد

الكراهية والعداء للألمان، وعندما سمع بالاتفاق بيننا وبين دارلان أعلن أنه مستعد أن يتسلم أوامره العسكرية مني بواسطة دارلان، امتاز بواسون بإخلاصه لفرنسا، وأعتقد أن واجبه الوحيد الاحتفاظ بإفريقيا الغربية الفرنسية للإمبراطورية الفرنسية. وفيما سبق استطاع ردَّ حملة إنكليزية فرنسية حرة عن دكر عندما حاولت الاستيلاء على تلك المنطقة، وصرح من ثم بأنه مستعد لأن يقاوم كلَّ من حدثته نفسه بالاعتداء عليه.

لما كانت دكر نائية عن منطقة نفوذي، ولما كانت أشغالي الحربية باهظة لكثرتها وتنوُّعها، ولما كانت الصحف في بريطانيا وأمريكا قد أبدت امتعاضها من اتفاقيتي مع دارلان، رأيت أن أخبر رؤسائي عما جرى وأذكرهم أنه ليس من صلاحيَّتي أن أقبل باستسلامه إليّ إلا إذا صدر الأمر إليّ بذلك، فاستلمت الجواب في الحال بأن أعمل على وضع إفريقيا الغربية تحت نفوذي ليستطيع الحلفاء استعمالها إذا ما دعت الحاجة.

كان اجتماعي بالحاكم بواسون دراماتيكيًا لوجود عدة أمور وجبت تصفيتها، منها أنه وجد في غربي إفريقيا عددًا من الأسرى البريطانيين الذين غرقت سفنهم، فأنقذوا واحتجزوا هنالك. فجعلت بريطانيا تلحُّ لإطلاق سراحهم في الحال. وأجاب بواسون أن إذاعات فرنسا الحرة ودعاياتها ضده يجب أن تتوقف في الحال مقابل إطلاق سراح المحتجزين، لأن في تلك الدعاية تهمٌ ضده وضد حكومته تنفث سمًّا زعافًا قد يسبب له المتاعب مع السكان. وإذا كانت بريطانيا جادة بتحرير رجالها فما عليها إلا أن تضغط على ديغول ليوقف دعايته. حضر الاجتماع أيضًا الأميرال

دارلان وبعض الموظفين الفرنسيين والمستر ميرفي مع عدد آخر من معاونـيَّ.

وعندما حمي النقاش تهيَّج المتكلمون وعلى الأخص الفرنسيون منهم، وراحوا يتكلمون كلهم دفعة واحدة. فرأيت أن الأمر سيتطور إلى ما لا تحمد عقباه، فانفردت بالحاكم بواسون لأنه يتكلم الإنكليزية وقلت ما يلي:

«أيها الحاكم، لا أستطيع أن أخبرك مطولًا بما ستفعله الحكومة البريطانية كما أني أجهل ما تنوي فعله الحكومة الأمريكية أيضًا. لكني أقول لك وأنا واثق بأن الحكومتين أمرتاني بأن أعقد اتفاقية معك على غرار الاتفاقية التي عقدتها مع إفريقيا الشمالية، وهي أن تنضم إلى جانبنا ضد المحور. وذكرتا بأنهما لن تتدخَّلا في شؤون الإدارة، لكنهما تتوقعان التعاون من جانبك معهما ومن ضمن ذلك إطلاق سراح المحتجزين في منطقتك. وأظن أنهما ستحاولان إيقاف أية دعاية موجهة ضدك وضد نظامك. وستستعملان نفوذهما مع كل هيئة متعاونة معهما، ومن ضمن ذلك قوات فرنسا الحرة برئاسة الجنرال ديغول أن توقف عمل كل ما يسبب لك إساءة: وعلى كل حال فإنهما لا تستطيعان إصدار الأوامر إلى الجنرال ديغول بهذه القضية. وإني أودُّ أن تعلم بأنّا نريد أن نستعمل الخطوط الجوية المارة في منطقتك، كما نريدك أن تنضم إلى جانبنا في الحال ولا نستطيع الانتظار إلى أن تسير هذه المطالب بطُرُقِها الرسمية المتعرِّجة، فالوقت لا يسمح بذلك، فما عليك إلا أن تقضي الاتفاقية وإني أعدك بشرفي كجنديّ بأني سأبذل جهدي لكي تجري الأمور كما تريد حتى يكون التعاون

بيننا ناجحًا وقائمًا على أسس متينة.

وتأكد أني ما دمت في مركزي فلن يحدث ما يغير روح هذه الاتفاقية من جانب أيٍّ من حكومتينا».

ودون أن ينبس ببنت شفة، مشي بواسون إلى مكتبي ومَهر الاتفاقية. «أيها الحاكم متى تستطيع طائراتنا أن تستعمل مطار دكر؟». فتفرس فيَّ وقال بالفرنسية «منذ الآن» وفيما جرى من حديث بيني وبينه بعد ذلك أكَّد لي الأهمية التي يعلِّقها على عهدي كجندي ألّا يحدث ما يقلق ويسبب الانزعاج للمؤسسات الفرنسية في غربي إفريقيا، وأن أساعد بالعمل على تنظيم جيش فرنسي ليساهم في الحرب إلى جانبنا، وهكذا افترقنا متَّفقَين.

الفَصلُ السَّابِعُ

شتاء في الجزائر

كان أقل أهدافنا من غزو شمالي إفريقيا احتلال المرافئ الواقعة بين الدار البيضاء والجزائر، لنمنع المحور من اتخاذها قواعد لغواصاته، ولنزحف منها شرقًا إلى أن نلتقي بالقوات البريطانية الزاحفة من الشرق، فأمن لنا نجاحنا في الأيام القليلة الأولى هذا الهدف، وفي الحال وجهنا جهودنا للزحف شرقًا لنطبق على قوات المحور في شمالي إفريقيا من الغرب بينما تطبق القوات البريطانية من الشرق تحت قيادة السير هارولد ألكسندر لإعادة فتح طريق البحر المتوسط لسفن الحلفاء.

ففي مصر كان قد بدأ الجنرال ألكسندر بهجومه في الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول وزحف الجيش الثامن بقيادة الجنرال السير برنارد مونتغمري من العلمين غربًا، واستطاع أن يصيب العدو بهزيمة نكراء، ففر والجيش البريطاني في أعقابه، وإذا ما استطعنا نحن أن نتقدم إلى خطوط المحور وقطع مواصلاته فإننا نساعد الجيش الثامن على إحراز نصر أعظم وأبعد مدى.

تمكنت الطائرات والقوات البحرية البريطانية أن تقطع مواصلات المحور في النصف الشرقي من البحر المتوسط، وذلك لتمركزها في مالطة ومصر. فإذا تقدمنا نحن إلى تونس فإننا نحد مدي

مواصلات المحور بشمالي إفريقيا وهكذا كلما تقدم الحلفاء من الشرق ومن الغرب قلت فرص اتصال المحور برومل وهكذا دواليك إلى أن نطبق على خناق قوات هتلر وموسوليني... فنطهر ليبيا وتونس منهم جميعًا.

<u>الاندفاع نحو تونس خلال تشرين الثاني 1942</u>

نزول قوات الحلفاء في فرنسا

كانت قوات المحور المتمركزة في صِقِلّية وجنوبي إيطاليا لا تزال قوية وقادرة على منع قوات الحلفاء البرية من الوصول إلى مصر، ولا بدَّ للتغلب عليها من التقدم في البر الإفريقي شرقًا، ومواصلة إنشاء مطارات لنا لتقاوم طائراتنا طائرات المحور وأعظم الموانئ التي ما تزال في قبضته على شواطئ إفريقيا هي (بزرته وتونس وصفاقس وقابس) على شواطئ تونس الشرقية أما مرفأ طرابلس الغرب نفسه، فمع صلاحيته لاستقبال سفن المحور فقد استطاعت الطائرات البريطانية المتمركزة في مالطة أن تقطع الطريق عليه... فإذا ما استطعنا احتلال بزرته وتونس بسرعة غدا إيصال المدد إلى رومل مستحيلًا. فأصبح هدفنا الستراتيجي الرئيس أن نحتل هذين المرفأين بسرعة وعلى هذا ركزنا قوانا العسكرية والاقتصادية والسياسية غير مبالين بالمصاعب والمخاطر لأن على نجاحها يتوقف مصير قوات المحور في إفريقيا.

وأول خطوة اتخذناها في هذا السبيل حدثت في أواسط تشرين الثاني، بينما كنا لا نزال في الجزائر نلحُّ على دارلان أن يأمر جنوده بإيقاف القتال ويتعاون معنا. وقد أعددنا الجيش البريطاني

الأول بقيادة الجنرال أندرسن ليتخذ من الجزائر قاعدة ويزحف شرقًا وأوعزنا إليه أن يتقدم حسب الخطة المرسومة وبأقصى ما يستطيع من سرعة لاحتلال مرفأي تونس وبيزرته. لكنه صادف عقبات عظيمة أولها أن قواته كانت بالأصل ضعيفة، وثانيها نقص السفن الذي حال دون دعمه بالقوات اللازمة في الوقت المناسب فاضطر بالنتيجة إلى أن يعتمد على الجرأة والسرعة لا على العَدَد والعُدَد. وثالثها النقص في مواصلاتنا البرية، لأنه يوجد خط حديدي واحد بين الجزائر وتونس ولأن طرق السيارات كادت أن تكون معطلة، وثالثة الأثافي ومصيبة المصائب كانت رداءة الطقس الذي فتح ميازيبة على غير ميعاد وصب من الأمطار ما عطل الطرق وأغرق المطارات، وبلل الجنود وكاد أن يعمي أبصارهم مما أوقف زحفنا أو كاد وعطل طيراننا بينما كانت طائرات العدو تعمل من مطارات مرصوفة لا تؤذيها الأمطار.

مما سهل على العدو سرعة الاستعداد لمهاجمتنا هو وقوع البر التونسي قريبًا جدًا من مراكز العدو في صِقِلِّية فجعلت في الحال تنهال قواته بأعداد متزايدة ساعة فساعة.

من الأمور التي كانت تضغط على أعصابنا عندما أمر آندرسن بالزحف هو أننا لم نكن نعرف موقف القوات الفرنسية المعسكرة ما بين الجزائر وتونس، أتكون صديقة وتنضم إلينا، أو عدوة فتضع أمامنا العراقيل؟ وهكذا قُلْ عن السكان، فعلى موقفهم من الجيش الزاحف يتوقَّف الكثير والمصير.

في الأحوال التي ذكرت لا يستطيع قائد أن يأخذ على نفسه أمر

جيش بالزحف دون احتجاج، إلا إذا كان جسورًا مخلصًا يقدر واجبه ولكن أندرسن قام بزحفه بلا تذمر ولا احتجاج، مع العلم أن جنوده جميعًا بريطانيون، وما ذلك إلا كونه حليفًا مخلصًا ومقاتلًا شجاعًا. وبدأ زحفه برًا وبحرًا، وبفضل حركاته السريعة احتل مرفأي فليبفيل وبون، كما احتل مدينة قسطنطينة فيما وراء الجبال، ولكن طائرات المحور وغواصاته استطاعت أن تصيب سفننا والمرافئ التي استولينا عليها بالعطب والأضرار. ولكن البحرية بقيادة الأميرال كيننغهام لم تبال، بل سارت بجرأة تساند قوة البر: وما زال الزحف يتجه شرقًا حتى اصطدم بقوات المحور البرية.

لما نقلت مركز قيادتي من جبل طارق إلى الجزائر في 23 تشرين الثاني تسنَّى لي أن أجري تفتيشًا على جنودنا وسير عملهم. ففي مطار وهران قابلت الصعوبة التي كان مقدرًا أن ترافقنا كل فصل الشتاء، إذ إني ما وضعت رجلي خارج الطائرة حتى غاصت في الوحل، فلم أقدر أن أخطو خطوة واحدة حتى أقبل تراكتور يحمل ألواحًا من الخشب وضعت كي نسير عليها ولما كان النشاط قليلًا بسبب رداءة الطقس صرفت الصباح مستخبرًا عن طرق التموين والمأوى والغذاء. وفي ذلك اليوم التقيت لأول مرة وتعرفت بالزعيم لوريس نورستاد، وهو ضابط شاب أعجبتني شخصيته لما تحلى به من حذر وحسن استعداد، وتفهم للمشكلات ومنذ ذلك الحين بقي تحت نظري لأنه من الرجال الذين لا حدَّ لمقدرتهم.

في الليلة نفسها التي وصلت فيها الجزائر والليلة التي أعقبتها

قامت قاذفات العدو بقصف المرفأ جاعلة هدفها سفننا، ولكن بعض القنابل سقطت في المدينة وأحدثت أضرارًا وخسائر بالأرواح. هذا بالإضافة إلى أنها حرمتنا النوم مدة ثمانية وأربعين ساعة، ظهر في أثنائها التعب والنعاس على وجوهنا وعيوننا جميعًا.

وأقرب قنبلة سقطت قرب النزل التي بت فيه كانت على مسافة تبلغ ربع ميل.

لم نستطع أن ننشئ وسائل دفاعنا ضد الطيران إلا تدريجيًا، لأن السفينة التي كانت تحمل المعدَّات لتلك الغاية أغرقتها غواصات العدو. لكن ما قارب الشهر على الانتهاء حتى تلافينا النقص وأصبحنا قادرين على أن نستقبل طائرات المحور بما تستحق من نيران. ولما وجدت أن الضربة التي تدفعها في كل غارة باهظة جدًا، رأت أن تذهب ولا تعود، ومما جعلنا نتأكد أن قاذفات العدو أصبحت تخشى بأسنا ما التقطناه من برقية صدرت عن قائد سرب للقاذفات الألمانية أمر أن يقوم بغارة على الجزائر فأبرق لرؤسائه «سقطت جميع قنابلنا في مدينة الجزائر حسب أمركم». مع أننا شاهدنا القنابل تسقط بالفعل في البحر على بعد ثلاثين ميلًا عن المدينة فاتخذنا من هذا دليلًا واضحًا على ضعف معنويات العدو، ونشرنا الخبر بين الجنود والسكان وكان لذلك أثر مُجْدٍ في رفع معنويات جيشنا.

بعد عمل متواصل دام ثلاثة أيام في مركز القيادة، اصطحبت الجنرال كلارك وتوجهنا إلى جبهة القتال في سيارة، ولأن العدو كان مسيطرًا يومئذ على الفضاء أصبح السفر بأية واسطة

مواصلات خطرًا للغاية. ولم يستطع أي مسافر الوصول إلى المكان الذي يقصد إلا بعد أن يضطر إلى التوقف والتواري عدة مرات على أنه بدا أن كثيرًا من المرات كانت الطائرات حليفة، ولكن من يستطيع أن يتبينها عندما يسمع صوتها ويواصل سيره. ومن كثرة ما تعرضنا للقذف أصبح على كل سائق ومهندس ومدفعي وجندي يسير في الجبهة أن يبقى دائمًا على حذر، وكلما سمعوا أزيزًا تذمَّروا قائلين: «أين اختفت طائراتنا اللعينة؟ ماذا جرى، حتى أننا لا نرى إلا طائراتهم؟». لأنه عندما يسيطر العدو على الجو، تسيطر الشتائم بين الجنود.

عندما قاربنا الحدود التونسية أنا والجنرال كلارك وجدنا كل ما يحيط بنا يخبر عن وجود معركة ضارية بين قوات أندرسن وقوات العدو وكلما صادفنا أحدًا وسألناه قال: «من هنا وصاعدًا لا يستطيع أحد أن يبقى حيًا. النيران شديدة والخراب عام. على جنودنا أن تتراجع لأن الأحياء لا يمكن أن تعيش في وسط جهنم كهذه»مبالغات ومبالغات سمعناها ولكن لما تحرينا الحقائق وجدنا أن معنويات جنودنا ممتازة، ولم تصدر منهم تلك المبالغات إلا ليقنعوا أنفسهم بأن ما شاهدوه وعاشوا فيه هو منتهي ما يستطيع أن يولده عدو من وسائل تدمير وتقتيل، فلا خوف إذن مما قد يعانونه في المستقبل، وبالاختصار إن تلك الإشاعات لم تنشأ إلا للتشجيع ورفع المعنويات0 لم يكن القوّاد ولا الجنود على شيء من الخبرة الحقيقية في القتال، لكنهم أبدوا من ضروب الشجاعة والإقدام ما يعجز عن مثله من تمرَّس في المعارك في أحوال صعبة جدًا تتزايد الأوحال فيها من يوم إلى يوم وانحصر القتال

على الطرق المعبدة فقط وتزايد البرد وغدًا إيصال الذخائر والمؤن من أعوص المشكلات، ومع ذلك واصلت قوات أندرسن زحفها حتى أشرفت على الأراضي التونسية وأخذ القتال يشتد والمصاعب تتزايد والتقتيل يتضاعف رهينة مع الأيام لأنه كان أسهل على العدو أن يمد قواته بالرجال والمعدات مما كان علينا.

بعد أن شاهدت مرارة الصراع وشجاعة البريطانيين ضد عدو أوفر عَددًا وعُددًا عرفت أنه لا بد من اللجوء إلى عمل سريع، صممت أن أضعف المؤخرة وأبعث بأسرع ما تمكِّنني وسائلي بنجدة أمريكية إلى الجيش البريطاني: وقد تذكرت عندئذ ما قاله الجنرال برشنغ قائد القوات الأمريكية في فرنسا سنة 1918 للجنرال فوش، «إن كنت بحاجة إلى مدد فاعلم أنَّ كلَّ ضابطٍ وجنديٍّ وآلة سلاح أمريكية طوع أمرك في سبيل النصر» عندما لم أخف من أي انتقاد قد توجهه الصحف الأمريكية إليّ من تعريض حياة الجنود الأمريكيين للخطر وشعرت بأنني أضحي بكل شيء إذا استطعت احتلال البلاد التونسية لأقدمها هدية عيد ميلاد إلى شعبَينا.

كانت المقامرة عظيمة ولكن الجائزة بهجة لمّاعة، ومن أجل ذلك طرحنا جانبًا كل حذر لنتمكن من دعم مركز أندرسن بكل رجل يحمل بندقية مع أنه كان ما يزال الخوف قائمًا من هجوم ألماني على جبال بيرينيه وإسبانيا لمهاجمة مؤخرتنا في الغرب ولكن على قول من قال «لكل داء دواء» صممت أن أعالج المشكلة الحاضرة بما أستطيع، وإذا طرأت مفاجأة جديدة فلكل حادث حديث، فأمرت الطائرات الأمريكية بأن تتجه شرقًا لمساعدة

أندرسن بضربها مواصلات العدو، ومقاومة طائراته:

وهكذا خرجنا على الخطة الموضوعة من قبل والتي تنص على إبقاء القوات الجوية الأمريكية في الأطراف الغربية من المتوسط فأحدثت هذه الحركة تقاربًا وتعاونًا بين الطيران البريطاني والأميركي.

كنت قد تركت الجنرال سباتز في لندن والآن اضطرتني الظروف إلى استدعائه للقيام بتنفيذ الخطة الجديدة. في الأصل أُسندت قيادة الجو الأمريكية في شمالي إفريقيا إلى الجنرال دولتل الذي لمع اسمه فجأة بعد أن قام بأول غارة للحلفاء على طوكيو وهو رجل ديناميكي ومجموعة نشاط لكن في البدء صعب عليه أن يودع عمل القيام بطائرته محملة بالقنابل لضرب العدو في مراكزه الحساسة ويتحمل مسؤولية قيادة عامة جوية في جبهة واسعة مترامية الأطراف لكن التجارب علَّمته سريعًا وعملت منه قائدًا من خيرة القوَّاد.

جرى إرسال المدد الأمريكي إلى الجيش الأول البريطاني دفعة وراء دفعة كل مدة أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول وذلك لأن شدة العراك لم تسمح أن ننتظر حتى نعبِّئ قوة كبيرة ونقذف بها مرة واحدة في المعركة ولأنّا صممنا أن نحتل تونس قبل حلول فصل الشتاء، وقبل أن يتمكن الألمان من تقوية مراكزهم هناك.

سحبنا من وهران عدة عناصر من الفرقة المصفَّحة الأولى وعناصر أخرى من فرقة المشاة الأولى، ووزَّعنا الفرقة 34

الأمريكية على النقط الحساسة في خطوط مواصلاتنا لتحميها من التخريب لأن العدو جعل ديدنه أن ينزل مِظَلِّيِّيه لتدمير العبَّارات والجسور والأنفاق على مسافات شاسعة مما جعلنا نستعين بوحدات فرنسية لحمايتها وعلى الأخص في أثناء الليل.

شجاعة ودراية وقوة تحمل، هذه الصفات الثلاث لا بدّ لكل جندي أن يتحلَّى بها، قد برزت بكل وضوح في كل جندي من جيشنا، لكنها لم تستطع أن تتغلب تمامًا على ما تكاتف ضدنا من عدو متمرّس في القتال، وطقس مقيت، وأرض وعرة. أما العدو فقد أصبح له منذ أول كانون الأول بعض الوحدات الآلية التي مكنته من القيام بغارات مفاجئة محلية مما جعلنا نتراجع عن بعض مواقعنا، أمام مدينة تونس.

حالما توقفنا عن عمليات الهجوم في شمالي تونس واتخذنا موقف الدفاع، أصبنا بانتكاسات مقيتة، لأنه بدا منا خطأ بعملية انسحاب أدي إلى فقدان المعدات والذخائر المرسلة إلى الفرقة الأولى المصفحة كما أصيبت فرقة الولايات المتحدة الثامنة عشرة بخسائر فادحة وأبيد فوج بريطاني كامل فارتأى الجنرال أندرسون أن نتخلى عن (مجاز الباب).

وهو مركز اتصالات مهم بين قواتنا الفرنسية على يميننا ولما كانت تلك البقعة مناسبة للقيام بهجوم عندما تتكامل استعداداتنا، أمرته بألّا يفعل وتحملت شخصيًا مسؤولية ما ينتج عن ذلك ثم بدأنا نستعد للقيام بالهجوم، وعملنا أربعًا وعشرين ساعة في اليوم في سبيل البناء والتأهب. ولما أوشك الجهاز أن يتم بتنا ننتظر

سنوح طقس مناسب للقتال لنتمكن من احتلال المنطقة الشمالية الشرقية من تونس ورأينا أنه أسقط في يدنا، وذلك أننا حددنا الرابع والعشرين من شهر كانون الأول لنبدأ الهجوم المنتظر، وأملنا الوحيد هو في تفوقنا بالمدفعية. لكن التقارير التي وردتنا من الجبهة مخيبة للآمال، لأن الطقس أخذ يسوء عوضا عن أن يتحسن. لكني لم أيأس، وصممت أن أذهب بنفسي ولأتحقق الخبر وبما أن الطقس حال دون ذهابي بالطائرة سرت بالسيارة في الثاني والعشرين فصادفت صعوبات هائلة في الطريق منذ غادرت الجزائر، والتقيت بالجنرال أندرسن في مركز قيادته في الرابع والعشرين وذهبنا معًا إلى قرية سوق الخميس مركز قيادة الفيلق البريطاني الخامس الذي كان سيبدأ الهجوم بقيادة الجنرال ألفري. ورأينا أن الهجوم قد بدأ بوحدات صغيرة لاحتلال نقط حساسة قبل أن تبدأ العملية الكبرى المعين حدوثها عندما يخيم الظلام.

كان المطر ينهمر بلا انقطاع، ومع ذلك خرجنا لنتفقد شكل الأراضي التي سيشملها الزحف وبينما أنا أراقب وقعت عيني على حادثة أقنعتني بأن القيام بهجوم أمرٌ محال فعلى بعد عشرة أمتار عن الطريق رأيت دراجة نارية في حقل قمح غائصة في الوحل، فحاول أربعة من الجنود أن يخرجوها، وبعد جهد منهك نجحوا فقط بالتمرغ هم ذاتهم بالوحل فانسحبوا تاركين الدراجة أكثر غوصًا.

رجعنا إلى مركز القيادة وأصدرت أوامري بتأجيل الهجوم وأنا أشعر بمرارة وإذا كان الهجوم قد توقَّف، وجب علينا أن نقوم

ببعض التعديلات في خطوطنا ومراكز وحداتنا، وتحصين بعض النواحي غير الموحلة، والتي قد يقوم الألمان بهجوم منها علينا. قام أندرسون بكل هذه الأمور بالإضافة إلى احتفاظه بالأراضي التي غنمناها إلى أن يتحسن الوقت لنبدأ الهجوم في الربيع.

لا غرو أنه في مثل هذه الأحوال يجب ألَّا يصدر شيء من القيادة العامة يوحي بروح الانهزامية، لأن اليأس إذا ما بدا على القائد يتفشَّى سريعًا في جميع الجهات ويؤدي إلى عواقب وخيمة، ولكني في تلك المرحلة لم أجد ركيزة أستمد منها بعض التفاؤل.

إن القوات الفرنسية في تونس قد ربطت مصيرها بمصيرنا منذ منتصف شهر تشرين الأول. واحتلت مراكز خطيرة واقعة إلى الجنوب من الجبهة ولم تلعب دورًا فعالًا في القتال لافتقارها إلى السلاح الحديث. ولما رأينا استحالة احتلال القطر التونسي أخذنا خطًّا دفاعيًا وراء المطارات حتى نستطيع المحافظة عليها، لأن منها تستطيع طائراتنا أن تضرب مواصلات المحور... وحالما يتحدد من الطقس وتتم الاستعدادات تتحول من الدفاع إلى الهجوم... واقتنعت بأنّا يجب أن نحتفظ بذلك الخط الأمامي الواقع بين موقعنا وسوق عربة مهما كانت التضحيات، لأنه مناسب للدفاع وللقيام منه بهجوم، لأنّا إذا تقهقرنا عنه لا نفقد المطارات فحسب بل أن في التراجع خيبة أمل للجنود وإضعافًا للمعنويّات ناهيك عن موقف السكان تجاهنا من عملية التقهقر.

إن الاحتياط الوحيد الذي اتخذناه لصد أي هجوم جانبي قد يقوم به العدو هو إقامة بعض نقط دفاعية ممتدة على طول المسافة بين

طبسة وقفصة يحميها متطوِّعة من الفرنسيين تدعمهم وحدة من المظليين الأمريكيين برئاسة الزعيم أدسون راف. وإن قصة العمليات الجريئة التي قام بها هذا القائد الشاب تشكل ملحمة بذاتها لما بذله من روح المغامرة والإقدام وما التجأ إليه من خدع حيرت العدو وأشغلته عدة أسابيع. لكن بعد أن أوقفنا نشاطنا في الشمال تسنى للعدو أن يرسل جنوده إلى ما وراء الجبال وخوفًا من أن يسدد لنا ضربة صاعقة من تلك الناحية صممنا على اتخاذ إجراءات تبطل سحره.

لإقامة وسائل الدفاع عن النفس أرسلنا الفيلق الثاني بقيادة الجنرال فريدندال ليعسكر في طبسة. وقد احتجَّت هيئة التموين على إرسال فيلق مؤلَّف من أربع فرق ليعسكر في تلك البقعة النائية التي يصعب إيصال المؤن إليها وقالوا بالاكتفاء بفرقة واحدة، لكن ليقيني أن العدو سيستغل ما بدا من ضعفنا هنالك، صممت على إرسال الفرق الأربع مع التعليمات المشددة لإيصال المؤن مهما كانت المصاعب.

صدرت الأوامر للفيلق الثاني الأميركي بأن يقيم خط دفاع جانبي حتى إذا قام العدو بهجوم مفاجئ من تلك الناحية صدَّه قبل أن يتغلغل في صفوف قواتنا الرئيسة في الشمال وأوصينا الجنرال بأن يوكل أمر حماية الممرات الجبلية إلى وحدات من المشاة وليحتفظ بالفرقة المصفحة الأولى في المؤخرة على قدم الاستعداد لتضرب بشدة إذا ما تمكن العدو من اختراق الجبال وفوضنا إليه أمر القيام بهجمات نحو صفاقس وقابس بعد أن تتكامل استعداداته، وإذا تمكن فليقطع المواصلات بين رومل المتقهقر أمام الجيش

الثامن وبين تونس، فتحمس بعض هيئة أركان حربي للفكرة وأشاروا علي أن أمر مباشرة بإجراء محاولات لقطع المواصلات بين جيش العدو لكن لعلمي أن قوانا لا تسمح بالقيام بعمليات جريئة كهذه مباشرة أخذت فريدندال جانبًا وكررت عليه الأوامر الخطية أن مهمته الأولى والرئيسة حماية جناحنا الجنوبي بإقامة خطوط دفاعية قوية تصد العدو إذا ما قام بهجوم من تلك الناحية وبعد أن يتأكد بأن تلك النواحي تطهرت من العدو عند ذلك فقط يقوم بزحف إلى الشواطئ الشرقية وحذَّرته من إقامة أي معسكر متقدِّم ومشرف على الشاطئ.

بدا لي أنه من المستحيل تعيين قيادة موحدة لجميع قوى الجبهة وذلك لما ظهر من نفور بين العناصر المؤلف منها الجيش، فمثلًا رفض الفرنسيّون بتاتًا العمل تحت قيادة إنكليزية لما جرى بينهم في سوريا ووهران ودكر، وهدَّدوا بإعلان الثورة إذا صممت على ذلك فاضطررت إلى أن أكتفي بوجود ثلاث قيادات: للجيش الإنكليزي العامل في طرف الجبهة الشمالي، قيادته الإنكليزية وللجيش الفرنسي العامل في الوسط، قيادته الفرنسية... وللجيش الأمريكي العامل في الجناح اليميني إلى الجنوب، قيادته الأمريكية على أن يعمل الفرقاء الثلاثة في خط جبهة واحدة، ولا يخفى أن موقفًا كهذا محفوف بالخطر ولكي أتلافاه صممت أن أتخذ لنفسي قيادة قريبة من الجبهة أقضي فيه ما استطعت من الوقت، وعينت الجنرال ترسكت ممثلًا شخصيًا لي حتى إذا غبت قام بما يقتضيه الأمر من المحافظة على وحدة العمل والانسجام.

بقي الحال على هذا المنوال إلى أواسط كانون الثاني حينما قامت

وحدة ألمانية قليلة بهجوم عنيد على جبهة الفرنسيين وأجبرتهم على التراجع حتى نشأ عن ذلك وضع محفوف بالخطر، مما دعا إلى إجراء جديد في توزيع القوي وسد الثغرات، ولكي لا تنشأ حالة خطرة أخرى أصدرت أمرًا حاسمًا بتعيين الجنرال أندرسن قائدًا عامًا على كل الجبهة، ثم قمت بزيارة شخصية للجنرال جوان قائد القوات الفرنسية لأتأكد من قبوله تسلم الأوامر من الجنرال أندرسن. أطلعت فيما بعد الجنرال جيرو على ما اتخذت من إجراءات وترتيبات، فلم يمانع لأن الحاجة إلى مثل ذلك كانت واضحة.

عندما تسلم أندرسن القيادة كانت جبهتنا تمتد من بيزرتا شمالًا إلى قفصة جنوبًا في خط رقيق ضعيف تتألف جنوده من وحدات مختلفة العناصر والأهداف يجمع بينها غرض واحد وهو سحق الألمان. لكنه لم يكن لدينا قوات احتياطية على أهبة الاستعداد لسد الثغرات التي قد يحدثها العدو. ولذلك لم نستطع سد الثغرة التي أحدثها الألمان في الجبهة الفرنسية إلا بعد أن نقلنا عدة وحدات أمريكية مجازفين بإضعاف خطهم. على أن انكسار الفرنسيين لم ينشأ عن نقص في الجرأة والإقدام وإنما عن ضعف في المعدَّات الحديثة فأيقنّا أننا سنبقى في هذه الوضعية القلقة الحرجة إلى أن يصلنا المَدد من إنكلترا.

أما في الحقل السياسي فلم يستطع المستر ميرفي ورفيقه هارولد ماكميلان ممثلا إنكلترا أن يفعلا شيئًا من الإصلاح في الوضعية مع ما بذلاه من جهد لاصطدامهما بألاعيب دارلان الخطر أولًا ثم لما أبداه الجنرال جيرو من عدم مبالاة بالناحية السياسية، ولتهرب

شاتل ونوغيس من إجراء أي تبديل في الإدارة، وكلما ألححنا بتعديل القوانين وإصلاح الوضع أتتنا الشكاوي عن العسف والظلم وهضم الحقوق، وذلك لانعدام النوايا الحسنة، وللإسراع بالوعود والإبطاء في التنفيذ. وعندما حاولنا تنحية العناصر المشبوهة لم نستطع أن نجد من يحل محلها وكيفما تصرفنا لم ننس بأنّا في بلاد حليفة لا حق لنا في التدخل في أمورها الداخلية. ولكنا من البدء أفهمنا دارلان أن يصفِّي شاتل حاكم الجزائر ونوغيس وزير سلطان مراكش.

لم ننلْ في هذا المشكل أية مساعدة من قبل الجنرال جيرو، وذلك لأنه يكره السياسة وأبوابها الملتوية ومخارجها الخداعة، ولا يهتم لشأن إقامة نظام ديموقراطي بل انحصر همُّه في الحصول على المؤن والذخائر لإنشاء فرق مقاتلة فعرفنا أن نواياه حسنة ولكن مواهبه الإدارية ليست على ما نرغب.

لقد اغتيل دارلان في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول، وفي اليوم نفسه الذي عدلت فيه عن القيام بهجوم في شمالي بلاد تونس وكنت في مركز قيادة الفيلق البريطاني قرب بيجا حينما وصلني خبر موته، فسافرت في الحال إلى الجزائر، ووصلتها بعد ثلاثين ساعة من السفر المتواصل في طقس ممطر شديد البرودة.

تقتصر معرفتي بالأميرال دارلان على مدة ستة أسابيع فقط، لكن ما اشتهر عنه من تعاونه مع هتلر جعلني أكون شديد الحذر منه، ولكن والحق يقال إنه في أثناء المدة التي قضاها كحاكم إداري لكل شمالي إفريقيا الفرنسية لم يخلَّ بعهد واحد مما وعد، ومع

ذلك فإن شخصيته لم توحِ بالثقة وموته خلق لي متاعب جديدة.

أول ما فكرت فيه أن أعمل على إحلال الجنرال جيرو محل دارلان، ولكني ترددت خوفًا من أن يقال أنَّا كالنازيين نقيم حكومات من صنعنا في بلاد ليست لنا، مع أني تأكدت منذ البداية من إخلاص واستقامة جيرو. أردت أن آخذ رأي المسؤولين الفرنسيين في من يحلُّ محل دارلان، فقالوا جميعًا بتنصيب الجنرال جيرو حاكمًا إداريًا لشمالي إفريقيا، ففعلت رغم عدم ثقتي بمواهبه الإدارية. وعندما زارني فيما بعد كان أول طلب وجَّهه إليّ ألَّا أعامل إفريقيا الشمالية كبلدٍ محتلّ بل كبلدٍ حليف. فتوجيه مثل هذا الطلب من شخصٍ كنت أعتقد أنه يدرك شعورنا نحو هذه البلاد هزَّني من أعماقي.

إن الشخصين اللذين لم ينالا ثقتنا هما شاتل حاكم الجزائر ونوغيس وزير مراكش، وذلك لطرقهما الملتوية وعدم إخلاصهما لقضيتنا. ومنذ البدء وافق دارلان على عزلهما، ولكنه نصح بالتريث، لأن نفوذهما بين القبائل كان عظيمًا، ولا سبيل إلى صرفهما إلا بعد إيجاد من يكسب ثقة القبائل وعطفها.

الفَصلُ الثّامِنُ

الحملة التونسية

وردتنا الأنباء في شهر كانون الأول بأن الرئيس روزفلت والمستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمي سيأتيان خلال كانون الثاني إلى الدار البيضاء ليعقدا مؤتمرًا، وعلمنا أنَّ عددًا من الخبراء المدنيين والعسكريين سيصحب كلًّا منهما، وطلب منا أن نهيِّئ أمكنة صالحة لإسكانهم وتسهيل مهمتهم.

لم أدرك قط الغاية التي صمَّم الرئيسان من أجلها عقد المؤتمر في إفريقيا حيث ما يزال يكمن بعض الخطر على حياتهما، ولربما كان السبب توقُّع مجيء ستالين للاجتماع بهما. أو قد يكون السبب سيكولوجيا لجعل الرأي العام العالمي يتيقَّن أن الحلفاء يعلِّقون أهمية كبرى على احتلال شمالي إفريقيا ولم يعد مجالٌ للمحور أن يبقى فيها. كان ما يزال يومئذ في مقدور القاذفات الألمانية الوصول إلى تلك الناحية كما كان ما يزال عدد من السكّان غيرَ راضين عن نزولنا وسياستنا، وقد يقوم أكثر من واحد من متعصِّبيهم بأدوار عنيفة وخيمة العواقب، ومن أجل ذلك تناولت الاستعدادات والترتيبات عدة أمور أهمها الاحتفاظ بسرِّية المؤتمر والمحافظة على حياة المؤتَمِرين الغالية.

عُقِد المؤتمر في الموعد المعيَّن وجرى أثناء البحث والدَّرس إحضارُ عددٍ كبير من الضباط والجنود الأمريكيين والبريطانيين

للإدلاء بمعلوماتهم وصرفت أنا يومًا كاملًا في المؤتمر بعد سفرة طرأ عليها خطر مفاجئ لم يكن في الحسبان وذلك لأن محرِّكَين من محرِّكات الطائرة توقَّفا عن العمل مما جعل النقيب جاك ريدي السائق أن يأمر بتوزيع المظلات علينا وبقائنا وقوفًا بقرب المخارج، حتى إذا ما دعت الحاجة قفزنا. وقد قطعنا مسافة آخر خمسين ميلًا ونحن على تلك الحال، عادت الذاكرة بي في أثنائها إلى أيام التلمذة حين عطبت إحدى ركبتَي في إحدى مباريات كرة القدم، وخِفْتُ أن الضعف الذي ما زال عالقًا بها قد يسبب لي بعض الضرر والخطر وكم كنت سعيدًا عندما وصلت قدماي الأرض بحالة طبيعية.

لم أبقَ في المؤتمر أكثر من يوم واحد، لتراكم الأشغال عليَّ في أمكنة أخرى ولكني اطَّلعت فيما بعد على ما جرى فيه من الجنرال مارشال الذي زارني في الجزائر.

ولكني كنت قد شرحت للمؤتمرين الحالة العسكرية في شمالي إفريقيا، ووصفت لهم الأحوال التي أجبرتْنا على إيقاف هجومنا في الشمال، وذكرت كيف أنّا نقوم بجهد لإعداد الفيلق الثاني الذي بدأ يعسكر في منطقة طبسا، كي تتمكن من القيام بهجوم على غابس وصفاقس الواقعتين على الشواطئ الشرقية من تونس، إذا سنحت الفرص في المستقبل. ومما ذكرته أن الغاية الرئيسة من تمركز الفيلق الثاني هناك هو حماية جناحنا الأيمن. وإذا سمحت الظروف نقوم بالخطوة الثانية وهي الزحف شرقًا إلى البحر.

عندما كنت أشرح ذلك، قاطعني الجنرال ألكسندر إذ قال يجب أن

نسقط من فكرتنا عملية الزحف من طبسا شرقًا لأن الجيش البريطاني الثامن على وشك أن يحتل طرابلس، وإذا كان المرفأ ما يزال صالحًا للاستعمال فإنه سيتمكن من الوصول إلى جنوبي تونس في أوائل شهر آذار، فسرَّنا الخبر.

جرى لي حديث طويل مع الجنرال مارشال ومع رئيس الوزراء وغيرهما، وعند المساء وصلني أن الرئيس روزفلت يودُّ أن يلتقي بي على انفراد. فكانت تلك واحدة من عدة مرات اجتمعت فيها بالرئيس لنتحدث منفردين، فألفَيتُه مزهُوًا متفائلًا يتدفَّق حيويَّة، وأعتقد أنَّ مرَحَهُ ذلك صادرٌ عن تمكُّنه من الإفلات لبضعة أيام من مشاغل الدولة في واشنطن وحضوره مؤتمرًا في زاوية نائية محفوفة بالخطر، كانت لا تزال منذ شهرين ساحة للمعارك، ورأيت أنه مع شدة انتباهه واهتمامه بالمشكلات التي تواجه الحلفاء حاليًا كثيرًا ما كان يضرب بأبصاره نحو المستقبل البعيد ليتمكَّن من وضع أسس الحل للمشكلات التي ستطرأ بعد توقُّف القتال وإعلان الهدنة وأبدى اهتمامًا خاصًا عندما أطلعته على انطباعاتي بخصوص بعض شخصيات فرنسا، وعلى الأخص جيرو، وبواسون، وديغول وفلاندان الذي لم تسنح لي الظروف لمقابلته بعد.

راجعنا في خلوتنا ما نشاء من مواقف عسكرية وسياسية في مدة العشرة أسابيع الأخيرة، فأبدى سرورَه بما أحرزناه من نجاح، ولكن عندما أخذتُ أسردُ على مسامعه ما قد نتعرَّض له من نكسات في فصل الشتاء، بدا عليه الشكُّ بأنني أتوجَّس خيفةً أكثر مِنَ اللَّازم، واتَّفَقَتْ وجهتا نظرنا على أنَّ قوات المحور مهما

كانت ضخمة في شمالي إفريقيا لن تستطيع الصُّمود كثيرًا أمام الجيش الثامن البريطاني وجيشنا الزاحف من الغرب. ولكن ظهر أنه يتوقَّع نهاية المحور بأسرع مما يمكن ثم وجه فجأة إليَّ سؤالًا عن الوقت الذي أتوقع فيه استسلام جيش العدو في شمالي إفريقيا، فلفظت أعظم نبوءة بدرت عني طيلة مدة الحرب، إذ قلتُ: «15 أيار» وحينما التقيتُ بالجنرال ألكسندر وأخبرته عن نبوءتي ابتسم وقال: «30 أيار».

تبينت من حديث الرئيس روزفلت أنه لم يميز بين وضعيتنا في شمالي إفريقيا ووضعية جيشٍ محتل احتلالًا عسكريًا، لأنه كان عندما يتطرق إلى ذكر الخطط والإجراءات التي تتعلق بالسكان وبالجيش هناك، يلوح بإصدار الأوامر والتعليمات وفرضها. فرأيت أن أذكِّره بأننا اتفقنا منذ البدء على دخول المنطقة على أساس أقرب إلى التحالف منه إلى الاحتلال بقوة السلاح، ولذلك فإننا نحاول بحنكة أن ندخل إصلاحات أساسية على وضعية الحكم ونسهل الأمر لقيام حكومة شعبية فوافق بالطبع على ذلك، وذكر أنه هو نفسه اشترك في وضع هذه السياسة من قبل ومع ذلك بقي عندما يتحدث عن المشكلات الداخلية يتكلم بلغة الفاتحين. ولو كان الأمر كما تصور لهانت المهمة. واقترح متى اتفقنا مع الفرنسيين على إعطائهم المؤن والأسلحة والذخائر، أنْ نشترط عليهم أن يسهِّلوا لنا أمرَ استخدام القواعد، والاستعانة بالأشخاص في بلادهم لنتمكن من القضاء على الهتلرية، ولم يغفل عن وجوب إبعاد الشخصيات الفرنسية التي ليست على مشربنا عن مسرح السياسة والإدارة. وإذا رفضوا ذلك نمنع عنهم ما يطلبون. وأبدى رغبته

في الاحتفاظ ببواسون كحاكم على إفريقيا الغربية الفرنسية.

كانت أهم نقطة وردت في حديثه بالنسبة لي ثباته على الخطة الاستراتيجية الرئيسة، وهي القيام بغزو أوروبا عبر القنال الإنكليزي. واعتبر أن النصر الذي نجنيه في إفريقيا ليس إلّا مقدمة للأمر الأعظم وهو غزو أوروبا من الشمال، والزحف شرقًا حتى يتمَّ القضاء على الجيش الألماني.

عندما التقيتُ بالمستر تشرشل فيما بعد، سمعت منه الشيء نفسه إذ قال: «أيها القائد، لقد سمعت بأننا نحن البريطانيين نود أن نسقط عملية الغزو الكبرى من الحساب، فذلك ليس بصحيح فقد أعطيت وعدًا، وإني مصمِّم على المحافظة عليه، ولكن الآن لدينا فرصة جيدة يجب ألَّا ندعها تفلت، وحينما يحين الزمن فإن بريطانيا مستعدَّة أن تقوم بأكثر من قِسْطِها في الغزو».

راودت الرئيس روزفلت آمالٌ بأن يتمكَّن من إيجاد حلٍّ سريع للمشكلة السياسية الفرنسية، وذلك بإجراء صلح بين الجنرال جيرو والجنرال ديغول لشعوره بالقدرة على إقناع الطرفين بطرح خلافاتهما جانبًا من أجل مصالح فرنسا. وفي أثناء الحديث أدهشتْني مقدرتُه على استيعاب تفاصيل الأمور للاستفادة منها في حينها فسماعه بأن أخي ملتون قد زارَ إفريقيا ومكثَ فيها زمنًا، جعله يعينه في مركز سياسي للاستفادة من خبرته وأعاد على مسمعي جملًا كثيرة كنت قد رفعتها إليه بتقاريري عندما أجريت الاتفاق مع دارلان وقال بأنها هدأت من روع الكثيرين الذين كادوا يحتسبون أنّا نسير بتؤدة نحو الفاشية.

لم يصدر تصريح الرئيس روزفلت والمستر تشرشل بصدد مبدأ التسليم من دون قيد أو شرط إلا بعد مغادرتي الدار البيضاء ببرهة غير وجيزة. لكن الأمر الذي همَّني من البدء هو القرار الذي اتخذ بأن تصبح قوات الجيش الثامن البريطاني بجميع أسلحتها بعد أن تدخل الأراضي التونسية تحت إمرَتي، سمعتُ شيئًا من ذلك عندما حضرتُ المؤتمر، ولكن القرار بلغ إليّ رسميًا عندما أتى الجنرال مارشال لزيارتي في الجزائر، على أن يصبح الجنرال ألكسندر مساعدًا لي في قيادة البر، ويبقى الأميرال كننغهام رئيسًا للبحرية والمارشال تدر رئيسًا للقوات الجوّية. وأن يعمل بموجب هذا القرار في أوائل شهر شباط.

سرَّني اتخاذ هذا القرار المهمّ، لا لشيءٍ سوى أنه يوحِّد القوي ويخلق وضعيةً جديدة تمكِّنني من استعمال الوسائل الفعالة لتحطيم قوات المحور بأسرع ما يمكن وقد أخبرت الرئيس روزفلت والجنرال مارشال عن سروري بتوحيد القيادة. وعبرت عن شعوري بأني مستعد لأن أخدم تحت قيادة ألكسندر إذا استصوب الأمر.

قلتُ ذلك لأنه بعد أن يندمج الجيشان يصبح عددُ القوَّات البريطانية المقاتلة أكثر من القوات الأمريكية، فمن العدل إذًا أن تصبح القيادة لبريطاني لا لأمريكي وفي النهاية أبدى جميع الفرقاء ارتياحهم لتوحيد القيادة والترتيبات التي أجريت. أما القرار المهم الذي اتخذه المؤتمر أيضًا فكان إجراء الاستعدادات لغزو صِقِلّية بعد أن تتم عملية القضاء على قوات المحور في شمالي إفريقيا.

قضينا ما تبقى من كانون الثاني وأوائل شباط في تعديل خطواتنا وتقويتها بالرجال والمعدات التي ما فتئت تصل باستمرار ولكن بعض الهجمات التي قام بها العدو آنًا هنا وآونة هنالك عرقلت تجمع قواتنا بالصورة التي ابتغيناها.

بعد انتهاء مؤتمر الدار البيضاء جاء كل من الجنرال مارشال والأميرال كنغ لزيارتي في الجزائر، حيث تسنَّى لنا نحن الثلاثة أن ندرس الحالة من جميع وجوهها وأدرك كل منا الخسارة التي نتجت من عجزنا عن القيام بالهجوم الذي وضعنا خطته للاستيلاء على مدينة تونس ولكن الفشل في ذلك يجب ألّا يكون مبعثًا على اليأس.

توقعت وصول الجنرال ألكسندر والمارشال تدر إلى تونس في أوائل شباط، وكنت أعلّق على ذلك آمالًا كبارًا في حل بعض المشكلات الفنية في توحيد قطاعات الجبهة.

وذلك لانشغال الجنرال أندرسن قائد الجيش البريطاني الأول في الشمال وعدم تمكنه من الاتصال الفعال بالقطاعات الوسطى والجنوبية، بينما جعلتني ضآلة وسائل التنقل شرقًا وغربًا في شمالي إفريقيا غير قادر على تلافي النقص في تنسيق الخطط بين جبهات الشمال والجنوب فمجيء ألكسندر يحلُّ المشكلة بطريقة عفوية.

همني أن أفهم كلا من أندرسن وفريدندال بوضوح أن الغاية الرئيسة من وجود قواتنا في جنوب تونس هي دفاعية لتأمين حياتنا ضد أي هجوم مباغت، وحماية المطارات الواقعة قرب خط

القتال. ومن أجل ذلك ركبت الجو في الثامن عشر من كانون الثاني إلى قسطنطينة للاجتماع بالجنرال أندرسن والجنرال فريدندال والجنرال جوان، وغيرهم من ضباط الأركان. وبلغت أندرسن أن يحتفظ بفرقة الآلية على قدم الاستعداد لصد أي هجوم، ومنع أي تغلغل في صفوفنا. وأخبرته بأني فهمت أثناء وجودي في مؤتمر الدار البيضاء أن تقدُّم قوات الجيش الثامن السريع غربًا يجعل مهمتنا الرئيسة الاحتفاظ بقوَّتنا سليمة إلى أن يحين الوقت للقيام بهجوم حاسم من الغرب والشمال، بينما يقوم الجيش بهجومه من الجنوب. فتحصر قوات المحور بين فكَّي الكماشة، هذا على أني لا أمانع في إجراء غارات صغيرة لإقلاق العدو، على ألَّا تؤدي إلى الإخلال بالتوازن.

في إحدى رحلاتي إلى الجبهة كررت، في أوائل شباط، أوامري للجنرال أندرسن بأن يحتفظ بقواته المصفحة وألّا يفعل شيئًا يقلل من فعاليتها. ولكن تكرر الهجمات الألمانية على الجيش الفرنسي وتغلغل الألمان في صفوفنا جعل أندرسن غير قادر على أن يتقيد بأوامري كاملة، لأنه أجبر على تعديل استعمال بعض الوحدات الأمريكية أو البريطانية لسد الثغرات.

شاحنات أميركية تسير على طرقات فرنسا

بلغنا في أوائل شباط أن العدو يقوم باستعدادات واسعة لإجراء هجوم جانبي واسع النطاق على قواتنا. ولتحقيق أغراضه سحب وحدات قوية من جيش رومل في جبهة طرابلس للاشتراك في العملية تحت قيادة الجنرال فون آرلن في تونس. وذكرت المعلومات الأولية أن الهجوم سيحدث في ممر فندق فأمرنا بتشديد الحراسة على الممرات جميعها وبالاحتفاظ بقواتنا على قدم الاستعداد، ولا سيما الواحدات الآلية والمصفحة منها حتى نستطيع أن نلاقي هجومهم من حيثما أتى بهجوم أشد.

بعد درس وضعيتنا في الجبهة رأينا أن أضعف نقطة في خطنا هي تلك التي يحتلها الفيلق الأمريكي الثاني، لأنها تمتد على مسافة طويلة من قفصة جنوبًا حتى فندق شمالًا. فرأيت أن أنهي اجتماعاتي مع وفود المؤتمر التي أتت إلى الجزائر وأنتقل بسرعة إلى تلك الناحية لأدرس الوضعية وأعد الترتيبات التي من شأنها أن ترد الهجوم، خصوصًا حينما علمت أن الجنرال ألكسندر لن

يتمكن من الوصول إليّ قبل السابع أو الثامن من شباط، فلم أر بدًا من أن أتسلم القيادة الفعلية شخصيًا، مع أني كنت قد عينت الجنرال أندرسن قائدًا عامًا على الجبهة كلها منذ عدة أسابيع.

غادرت مدينة الجزائر بعد منتصف ليل الثاني عشر من شباط، وعقدت عدة مؤتمرات في الطريق للتباحث في أمر الهجوم الألماني. وأخيرًا وصلت مركز قيادة الجنرال فريدندال بعد ظهر الثالث عشر منه. كانت رحلتي الأولى وأنا أضع أربع نجوم على كتفي، لأني ترقيت في الحادي عشر من الشهر.

اتخذت قيادة الفيلق الثاني مركزًا لها في واد سحيق يصعب الوصول إليه يقع إلى الجنوب من طبسة. ولكنه بعيد عن الخط الحربي، فلما وصلته سمعت صوت المطارق ورنين المعادن، وعندما سألت عن الخبر قيل لي إن المهندسين أمروا بحفر نفق في جانب الجبل لحماية ضباط أركان حرب الفيل. وعندما سألت عما إذا كان المهندسون قد أعدوا خطوطا دفاعية في المقدمة أجابني أحد الضباط الشبان أن مسؤولية إقامة خطوط دفاع في خطوط النار الأولى تقع على مهندسي الفرقة المعسكرة هنالك. فكانت تلك هي المرة الوحيدة التي شاهدت فيها هيئة قيادة الفرق مهتمة بخلاصها إلى درجة أنها التجأت إلى حفر نفق للنجاة، ومن ثم قمت بجولة تفتيش على الخطوط الأولى يصحبني الزعيم روسل أحد مساعدي الجنرال فريدندال، وكان الفيلق الثاني يتألف يومئذ من الفرقة المصفحة الأمريكية الأولى، ومن فرقة المشاة الأولى، ومن فرقة المشاة الرابعة والثلاثين.

رأيت أثناء جولتي في الخطوط أشياءَ كثيرة تدعو إلى القلق، أولها وأهمها الشعور بالاطمئنان والتراضي إلى حد إهمال إقامة وسائل دفاعية في الممرات الحساسة.

وثانيها التكاسل عن التمرين والتدريب. وثالثها عدم بث الألغام ثم لما لمت المسؤولين على عدم زرع الألغام أخرج القائد المسؤول خريطته من جيبه مختالًا ليريني أنه سيبدأ بعملية زرعها عما قريب. ولا بد من القول إن اختباراتنا في شمالي القطر التونسي علّمتنا أنه باستطاعة العدو إقامة مواقع دفاعية متينة بعد احتلاله لبقعة ما بظرف ساعتين، وذلك ببثه للألغام وإقامة أعشاش لرشاشاته وتوزيع وحداته على الأمكنة الحساسة حتى لا نتمكن من زحزحته عنها. فسها ضباطنا عن الأخذ بمثل هذه الدروس الفنية في الحرب، ولذلك أصدرت أوامري بتلافي الأخطاء والإهمال في الحال.

كان أكبر خطأ اكتشفته هو أن الفرقة الأولى المصفَّحة الأمريكية لم تكن في وضعية مركزة تستطيع أن تعمل بفعالية كوحدة كاملة، وذلك لأن الجنرال أندرسن قد أمر بأن يعسكر نصفها قرب فندق حيث توقع أن يحدث هجوم العدو الرئيسي. واحتاط للأمر بأن يحتفظ به كقوة احتياطية تحت قيادته مباشرة يشركه في المعركة في الساعة الحاسمة، وما تبقَّى من الفرقة جرى توزيعه إلى وحدات منتشرة في كل أنحاء جبهة الفيلق الثاني.

فلم يبقَ تحت قيادة جنرال الفرقة وورد إلا بضع سرايا من الدبابات الخفيفة ولما زرت الخطوط الأمامية الواقعة بين مكنسة

وممر فايد لفت نظري إقدام ضابط أميركي، فعلّقت على صدره وسامًا قبل أن يقوم الألمان بهجومهم بثلاث ساعات عند ممر سيدي أبو زيد.

أسندت قيادة إحدى الوحدات المصفحة إلى صديق قديم لي يدعي الجنرال بول روبنت، ليحرس مدخل وادي قرب فندق. ومن البلية أنه اعتقد بأن هجوم الألمان لن يكون من تلك الزاوية، واستنتج ذلك من التقارير التي رفعها إليه بعض الكشافة الذين تجولوا بعيدًا في مقدمة الخطوط ولم يعثروا على أثر للعدو. فاقتنعت بدقة تقريره وأخبرته بأني سأدرس القضية في اليوم التالي في مركز قيادة الفيلق.

صرفت ما تبقى من الليل لتبادل وجهات النظر مع الضباط حول الأوامر التي سأصدرها إلى الجنرال فريدندال. ثم رجعت من جولتي التفتيشية قبل الفجر، وتوقفت عن المسير عند «صبيتلة» لأني سمعت بعض الطلقات المتفرقة ثم تابعنا المسير نحو مركز القيادة، ولكن سائقي استسلم إلى سلطان النوم ورمانا في حفرة لم تسبب لنا أضرارًا لأنها ليست عميقة ولما وصلنا إلى مركز القيادة تحققنا أن الهجوم الألماني قد بدأ دون أن يتيح إليّ الوقت أن أجري تعديلًا في مراكز القوى.

بدأت التقارير الصحيحة عن مصدر الهجوم واتساعه ووجهته تصل بالتتابع من الجنود الأمريكيين إلى الجنرال أندرسن، ولكن لم يصدق ضباط الأركان هنالك ما جاء بها لاعتقادهم بأن الهجوم سيبدأ من فندق وليس من فايد وسيدي أبو زيد فبقي الجنرال في

حيرة من أمره حتى أنه لم يتخذ شيئًا من الإجراءات الفعالة لصد الهجوم إلا بعد أن تضخم وتطور إلى درجة خطيرة جدًا.

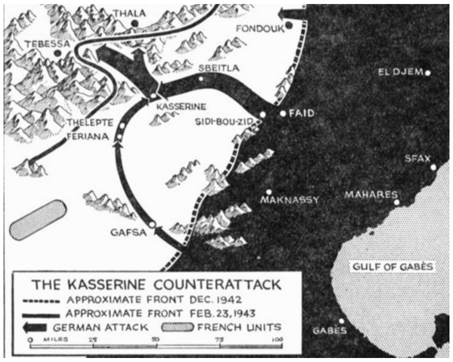

الهجوم المضاد في قصرين

لما عرفت أن الهجوم قد وقع أدركت أنه لا بدّ من إرسال المدد بسرعة، فلذلك رجعت إلى مركز قيادتي في الجزائر وأصدرت أوامري بأن يتوجه كل جندي شرقًا نحو الجبهة لإيقاف زحف العدو. ثم رجعت إلى الجبهة وعرفت أن الأميركيين قاتلوا قتالًا غير مُجْدٍ إبان تراجعهم، واضطروا إلى إخلاء ممرِّ قصرين الحصين، لأنهم أولًا لم يقدِّروا أهمية الدفاع عنه. وثانيًا لم يدروا كيف يثبتون في وجه هجوم عنيف كالذي وجَّهه العدو إليهم فولّوا الأدبار. وأخيرًا تلاشت الصدمة المباغتة وأخذت أعصاب جنودنا تهدأ، وبدؤوا يأخذون الاحتياطات للوقوف في وجه العدو.

أجبرنا على إخلاء المطار الأمامي الواقع قرب ثالا ولكن دون أن نخسر شيئًا لا في الطائرات ولا في الرجال والوقود. وفيما وراء طبسا بقليل يوجد مطار آخر قرب نقطة مواصلات مهمة، رأى الفيلق الثاني أنه من الضروري الاحتفاظ به مهما كانت التضحيات. وإلى الشمال قرب «ثعلة» استطاعت الفرقة الرابعة والثلاثون أن تثبت وتؤخر زحف الألمان، إلى أن وصلت الدبابات والمدفعية الإنكليزية من الشمال وأخذت تدكّ بقوة وشدة رأس الرمح الألماني الشمالي وشاركتها مدفعية الفرقة التاسعة

الأمريكية في ذلك. وفي الحادي والعشرين من شهر شباط بدأ الضعف يظهر على الهجوم واتضح لنا أن العدو قد استنفد عزمه وأخذ يعاني من صعوبة المواصلات ونقص في تموين وحدته الأمامية. وغدت قواته الكائنة إلى الغرب من قصرين مكشوفة لأي هجوم يشن عليها من تلك الناحية.

في الثاني والعشرين تمكَّنا من وقف تقدم العدو تمامًا، فقال لي الجنرال باتن الذي يهوى المقارنة بين المعارك في التاريخ: «لو قرأ الجنرال فون أورنيم تاريخ معركة قلعة ستدمات التي جرت إبان الحرب الأهلية الأمريكية لما عرَّض نفسَه لنيران وحدتنا الاحتياطية التي ستتغلب عليه وتجعل تراجعَه داميا ومعرَّضا لخسائر باهظة».

في أمسية 22 شباط تحدثت إلى الجنرال فريدندال قائد الفيلق الثاني وأخبرته أن الألمان أصبحوا عاجزين عن تطوير هجومهم، ولذلك يمكنه أن يقوم ببعض الهجمات المحلية التي تسندها المدفعية للتعجيل في زعزعة وضعه، لكن فريدنال اعتقد أن العدو سيقوم بمحاولة هجومية ثانية في ظرف 24 ساعة ومن الأفضل له أن يحتفظ بقواته لرد الهجوم. فلم أنازعه في ذلك مع أنه صعب علي أن نفوت على أنفسنا فرصة ضرب العدو عندما انكشف جانبه عند ممر قصرين.

اتضح في اليوم الثاني أن الألمان قد ارتدوا من الهجوم إلى التقهقر وتمكنوا من سحب معظم قواتهم تحت جنح الظلام وتحت ستر الضباب في صباح اليوم التالي، ولكن جيشنا أخذ يشدد من

ضغطه عليهم في سائر أنحاء الجبهة حتى أوصلهم إلى الخطوط التي خرجوا منها. ولم يجرؤوا بعد ذلك أن يقوموا بأي هجوم معاكس آخر.

حضر الجنرال ألكسندر عمليات المرحلة الأخيرة من المعركة، وبالفعل تسلم شؤون القيادة فيها، فظهرت لي مؤهلاته العسكرية الممتازة. ومنذ ذلك اليوم جعلت منزلته ترتفع وتنمو في نظري كل مدة الحرب. وعندما تباحثت معه عن أسباب نجاح الهجوم الألماني في المرحلة الأولى تبين أن الكثير من المسؤولية يقع علي شخصيًا لأني لو أمرت القوات الفرنسية التي انضمت إلى صفوفنا بأن تعمل تحت قيادة أندرسن لاستطعنا منذ البدء تدارك حالة الفوضى التي نشأت عند عدم انسجام القيادة وزيادة على ذلك كان يجب علي أن أحصر قوات الفيلق الثاني الأمريكي في الجنوب في مساحة أقل بكثير مما فعلت كي تبقى وحداتها متقاربة متماسكة نستطيع أن تعمل ككتلة واحدة في حالة أي خطر طارئ إلى أن تقترب قوات الجنرال مونتغمري من الشرق. لأن وجودنا هنالك ليس لغاية توسعية بل للتمكن من الدفاع عن المطارات الأمامية. ولا يصبح وجودنا ضروريًا إلا متي وصلت قوات الجيش الثامن إلى جنوب تونس لأنه حينئذ نقوم بحركة جانبية على العدو ونضربه من الشمال الغربي بينما يكون منشغلًا في اشتباكه مع البريطانيين والذي جعل للمطار الأمامي قرب «ثلبتا» ميزة خاصة في نظرنا وجوده في منطقة رملية لا تعطله الأمطار.

ترجع الأسباب الفنية لتضعضع موقفنا إلى عوامل أربع، أولها وأهمها الأحوال الحتمية التي حالت دون قيامنا بالهجوم الذي

رسمناه لاحتلال الشواطئ الشمالية من القطر التونسي لأن فشلنا في تطبيقه عمليًا أتاح الفرصة لعدونا أن يتمركز هنالك ويهاجمنا، ولو اعترفت من أوائل تشرين الثاني بعجزنا عن احتلال المنطقة والتزمنا خطة الدفاع لما ماعت الجبهة ومكنت العدو من إحرازه ذلك النجاح المؤقت.

والعامل الثاني الرئيسي هو ما ارتكبته وكالات أخبار جيشنا من أخطاء، لأن المسؤولين فيها سبق واعتقدوا بصحة خبر وصل أولًا ومن ثم أغمضوا آذانهم وأبصارهم عما ورد فيما بعد من معلومات تعاكسه. فقد استقر في ذهنهم أن العدو سيقوم بهجومه من فندق، ثم أتت الأخبار من رجال الاستكشاف عندنا تقول بأنهم راقبوا حركات عن كثب ولم يروا أي تجمعات ألمانية. ومع ذلك بقيت دائرة استخباراتنا تؤكد أن الهجوم سيمر في فندق مما جعل القائد يركز قواته في الأمكنة النائية.

والخطأ الثالث نتج عن عدم تمكننا فهم العدو وما يملك من إمكانيات ووسائل فتقاعسنا عن أخذ الإجراءات التي من شأنها ردّ كيده إلى نحره. فالحالة في جبهة الفيلق الثاني كانت تتطلب وضع وحدات خفيفة استكشافية في الممرات الجبلية لتؤخر زحف العدو على أن تبقى قواتنا الآلية الضاربة معبَّأة في المؤخرة، حتى إذا استطاع العدو اختراق أي ممر تعاجله بضربات مركزة سريعة ومع أن أوامري كانت واضحة في ذلك، فإن المعلومات الخاطئة وشدة حذر القادة المحلِّيين ضربت بأوامر القيادة العامة عرض الحائط ووزعت قواتنا الآلية المتحركة في عدة نقط، ولذلك لم تستطع أن تبدي مقاومة فعالة عندما وقع الهجوم.

والسبب الرابع هو عدم الخبرة العسكرية وعلى الأخصّ بين ضباطنا، وذلك لأن الفرق الأمريكية التي واجهت الهجوم لم يتسنَّ لها التدريب الفني الخشن الذي أدخلته حكومة الولايات المتحدة على جنودها بعد أن دخلت الحرب، لأنهم نقلوا بسرعة إلى المملكة المتحدة، وبما أن وسائل النقل كانت لا تزال مضطربة لم نستطع أن نسلمهم الأسلحة ليتدرّبوا على استعمالها. فمرت عليهم أكثر أيام سنة 1942 دون تدريب. وقد ظهر هذا النقص بين الضباط والجنود مع أنه لم يبدُ عليهم أي نقص في العزم والإقدام، وعلى كل حال فإن الفرق التي غادرت الولايات المتحدة بعدهم كانت أفضل خبرة وتدريبًا في الحرب وأبدت ثباتًا وصلابة عندما اشتركت في المعارك.

لقد دفعنا ثمنًا باهظًا لما تعلمناه، على أن ذلك الثمن لم يذهب كلّه عبثًا، لأننا استطعنا بعد أن أحرزنا النصر أن نسترجع الأسرى الذين وقعوا في يد الألمان إبان هذا الهجوم. وما خسرناه في الأرواح والمعدات منذ تمكن العدو من اختراق صفوفنا حتى تقهقر إلى خطوطه لم يقل عمّا فقده هو في رجاله ومعدّاته لأن الخسائر الأمريكية بين الرابع عشر من شباط والثالث والعشرين منه بلغت 198 قتيلًا 2924 جريحًا و2409 أسيرًا ومفقودًا.

إن الأسبوع الذي قام فيه العدو بهجومه كان منهكًا للجسد ومقلقًا للأفكار لأنه إذا ما انتقلت المبادرة لأيدي العدو فإنها تترك حالة من التوتر والقلق إذ قد تؤدي إلى عواقب وخيمة غير معروفة المدى، ولا يستطيع إنسان في مثل هذه الحالة مهما كانت معنوياته قوية وثقته متينة إلا أن يتأثر بهول الصدمة وتتسرّب الأفكار

المخيفة إلى ذهنه.

وضعت معركة قصرين حدًا لمرحلة، وفتحت الباب أمام مرحلة أخرى في تونس، لأنه بعد أن أجبر الألمان على التراجع أصبحوا أعجز من أن يقوموا بأيَّ هجوم كبيرٍ آخر، بل اكتفوا بالقيام بهجمات شديدة محلية دامية على الجيش البريطاني الأول في الشمال. فمرَّ شهر آذار والألمان يهاجمون هنا ويندفعون هناك ويكرّون هنالك رغبة في تعديل خطوطهم وإنهاك قوَّاتنا على أبواب بيزرته، بينما البريطانيون يدافعون آنًا وآنًا يهاجمون طمعًا باكتساب مواقع أفضل وأنسب للقيام بالهجوم الكاسح فاضطرت عملية الكر والفر هذه الجنرال ألكسندر أن يستعين ببعض وحدات الفرقة الأمريكية الأولى، لتنقذ بعض وحداته في نزاعها المنهك، ولما وضح أمامنا أن الألمان لا يهدفون القيام بعمليات واسعة بل محلية أخذنا نعيد تنظيم وحداتنا، ونعدل في الإدارة والقيادة، وندمج سرايا قديمة بسرايا جديدة، ونجري الترتيبات اللازمة للقيام بالهجوم الكبير عندما يتحسن الطقس.

بدا مركزنا متحسنًا من عدة وجوه بعد انتهاء معركة قصرين: أوَّلها أنه كنتيجة للمعركة جعلنا الفيلق الثاني المؤلف من أربع فرق يعسكر في جوار «طبسة» حيث يمكنه أن يشكل حلقة متينة بين قوات الحلفاء في شمالي تونس وقوات الجيش الثامن الآتية من الصحراء. ثانيها أن الضباط والجنود اكتسبوا خبرة وحكمة بقيت معهم إلى آخر الحرب. وثالثها أن أخبار المعركة هزت المسؤولين في الولايات المتحدة، فأرسلوا لنا على جناح السرعة خمسة آلاف وخمسمائة شاحنة. فكانت هذه عونًا لنا في التنقل

وإيصال المؤن. ورابعها أن سلاح الحلفاء الجوي أخذ يتزايد ويثبت فعاليته ضد قوى المحور هذا بالإضافة إلى أن الجيش الثامن في الصحراء احتل مدينة طرابلس وأصلح مرفأها، مما عجل في تلقّيه المدد ومضاعفة زحفه والميزة الأخيرة هي أننا في هذه المدة أجرينا تعديلًا أساسيًا في القيادة ليصبح الترتيب الجديد منسجمًا مع ما اتخذ من قرارات في مؤتمر كزابلانكا (الدار البيضاء).

فأصبحت القوات الجوية الأمريكية منها والبريطانية، القاذفات والمقاتلات تحت قيادة مارشال الجو العام تدر، وعيّن الجنرال سباتز معاونًا له، ووضعت القوات البرية في جبهة تونس تحت قيادة الجنرال ألكسندر، فتسنى له أن يوجه كل اهتمامه إلى التنظيم الفني وتنسيق التعاون بين الفرق والقطاعات والفيالق من يوم إلى يوم، إن لم يكن مقيدًا بتسلّم جيش واحد كما كانت الحالة مع الجنرال أندرسن.

في أوائل شهر آذار أسندت قيادة الفيلق الثاني إلى الجنرال باتون عوضًا عن الجنرال فريدندال، ولكن ذلك لا يعني أنني جعلته مسؤولًا عن النكسة التي أصابتنا إبان الهجوم الألماني لأن المسؤولية في التقصير وقعت علينا جميعًا، لأن معنويات الفيلق تطرق إليها الشك. فرأيت أن أدعمها بتعييني قائدًا مشهودًا له، وليس ألْيَق من الجنرال باتون لمثل هذه المهمة. ورأيت من الأنسب تعيين فريدندال لتدريب الجنود في الولايات المتحدة بعد أن اشترك في المعارك وتمرَّس بها فأرسلت توصيةً شخصية إلى الجنرال مارشال بأن يسند إليه قيادة جيش في أمريكا.

أنعشت قيادة الجنرال باتون الفيلق ضبّاطًا وجنودًا لما بدا منه من ثقة في النفس وإصرارٍ على التدريب الخشن، فأصبح يلتهب شوقًا للمعارك... والجنود بدورهم أذعنوا مختارين إلى أقسى أنواع التدريب والترويض والسرعة في العمل وما فقدناه من دبَّابات ورجال ومعدّات استعضْنا عنه بما هو أفضل، وأصلحنا المطارات الأمامية، فأخذت مقاتلاتنا تستعملها بكثرة.

كان الطقس وطبيعة الأرض أفضل مما هما عليه في الشمال، فتمكن الجيش الثامن من مواصلة زحفه غربًا من دون انقطاع حتى يتمكن من الاتصال بجناحنا الأيمن في تونس وأدركنا أن المعركة الفاصلة التي سيخوضها الجنرال مونتغمري ستكون في خط مارث، وهو مركز دفاعي طبيعي أعده الفرنسيون على أطراف تونس ليردوا جيش المحور إذا ما زحف من برقة غربا لامتلاك إفريقيا الفرنسية ولكي يسهل الجنرال ألكسندر مهمة مونتغومري أمر الفيلق الأمريكي الثاني أن يتمركز أولًا في ققصه، ثم يزحف شرقًا ليجبر رومل أن يسحب قسمًا من قواته في خط مارث لمجابهة خطر الأمريكيين، فأتت اللعبة غايتها، لأن رومل الذي لم يستطع أن يعرض مواصلاته للخطر اضطر إلى أن يوجه قسمًا من جيشه ليحمي نفسه من الهجوم الجديد.

في ليل العشرين من شهر آذار أصبح في مقدور الجنرال مونتغمري أن يهاجم خط مارث. ودارت المعركة مستمرة شديدة، ولكن مونتغمري قام بحركة موفقة في وسط المعركة، فأرسل وحدات قوية من جيشه لتقوم بحركة التفافية، وفاجأت العدو وتمكنت من طرده شمالًا، ومكّنت الحركة الالتفافية الجيش الثامن

من الاتصال بالفيلق الثاني الذي زحف شرقًا. وأخيرًا اتصلت جميع فرقنا المقاتلة ببعضها وشكَّلت خطًّا حربيًا واحدًا يحيق بقوات المحور من الجنوب والغرب، بينما يحيق البحر بها من الشمال والشرق.

قمت بزيارة للجنرال مونتغومري بعد معركة مارث ورأيت أن جيشه مؤلف من أجناس وألوان لا يكاد أن يحصيها عدد فتأكَّدت أنّ إفريقيا لم تشاهد جيشًا خليطًا مثله منذ أيام هنيبال، لأنه يتألف من إنكليز واسكتلنديين ونيوزيلنديين، وهنود وبولنديين وتشيك وفرنسيين وأستراليين وإفريقيين من الجنوب، وعرب وأمريكيين.

فقابلت بعض الطيارين الأمريكيين الذين رافقوا الزحف من العلمين، وتحدثت إليهم طويلًا. وبعد أن رجعت إلى مركز قيادتي أرسلت لهم بعض ما تمكنت من وسائل الراحة والترفيه.

حاول الجنرال ألكسندر أن يقوم بعملية لقطع الطريق على جيش رومل شمالًا فأعد هجومًا يتجه شرقًا من ممر فندق إلى البحر فاشترك الجناح الأيسر من الفيلق الثاني في العملية التي كانت معظمها إنكليزية. والفرقة الأمريكية التي اشتركت كانت قليلة التدريب لم يتعود جنودها على تحمل المعارك ومشقاتها ففشل الهجوم، ولكن عندما قامت فرقة بريطانية بالعمل نفسه نجحت بعد فوات الوقت، لأن معظم جيش العدو اجتاز منطقة الخطر شمالًا. فكان لهذا التقصير غير المقصود من فرقة أمريكية صدى غير مستحب لأن الجنرال السير كروكر قائد الفيلق البريطاني وجه انتقادًا شديدًا لتلك الفرقة أمام ممثلين عن الصحافة. فكانت هذه

الحادثة الوحيدة التي جرى فيها تبادل التهم بين أمريكيين وبريطانيين فعملت أنا والجنرال ألكسندر على لفلفة القضية ووضع حد للتهم والاختلافات التي لا يستفيد منها إلا العدو الذي من عادته أن يجعل من الحبة قبة، ليثير النزاع بين عناصر الحلفاء.

مع أن سرعة الألمان في زحفهم شمالًا جعلت هجوم الجنرال ألكسندر قليل الفائدة، فإن خط القتال قصير جدًا بعد أن تجمعت قوات المحور في بقعة واحدة.

فتمكنا من سحب الفيلق الأمريكي الثاني من خط القتال لنشغله في خط آخر.

عندما جرى البحث في إمكانيات هذا الفيلق ارتأى الجنرال ألكسندر مع عدد من أركان حربه أن يرسل إلى منطقة قسطنطينة لإتمام تدريبه، ولكن أنا والجنرال باتون، مع اعترافنا بأن بعض جنود الفيلق ما يزالون أغرارًا اعتقدنا بأن الفيلق بمجموعه خليق بأن يتسلم قطاعًا خاصًا في خط القتال لما يبدو عليه من معنويات عالية ونزوع للقتال. ولا بد أن أكثر الجنود التهبوا غيظا وحنقا لا لما تعرضوا له من خشونة وقسوة في المعاملة، بل لما سمعوه من طعن في مؤهلاتهم كجنود مقاتلين. وبعد البحث رأينا أن الأسرى الألمان كانوا مصدر الإشاعة أن الأمريكيين ليسوا خليقين بالحرب.

انفردت بالجنرال ألكسندر وألححت عليه أن يستعمل الفيلق الثاني بمجموعه كوحدة كاملة وقدمت الأسباب التي جعلتني أتخذ هذا

الموقف وهي أن معظم القوات البرية التي سيقع على عاتقها أمر مقاتلة الألمان ستكون من الأمريكيين فالحاجة إذن إلى تدريب الجنود على الاشتراك في المعارك على نطاق واسع ليس ضروريًا فحسب بل واجبًا مفروضًا لا مفرَّ منه. فاشتراك الفيلق بمقاتلة قوات المحور في تونس يجب أن يعتبر جزءًا لا يتجزأ من التمرينات المتوخَّاة، هذا فضلًا عن أن الفيلق لم يشترك في المعارك التي خاضها ككل بل كوحدات مجزأة لا تعبر عن إمكانياته. ولما كنت أرى أن معنوياته قد تحسنت كثيرًا منذ أوائل آذار، فمن حقه أن يطالب بإعطائه فرصة ليبرهن عن فعاليته كجنود وعن فعالية أسلحته الأمريكية.

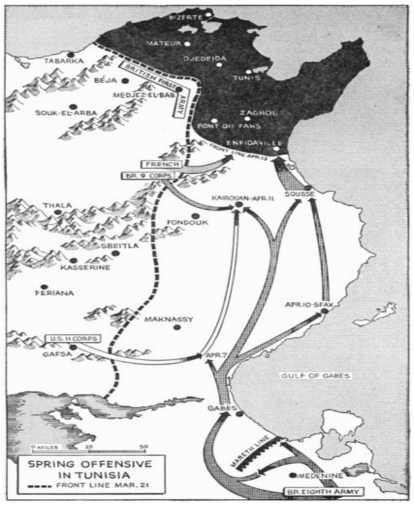

<u>هجوم الربيع في تونس</u>

النجاح يخلق الوحدة، وإذا نجح هذا الفيلق باشتراكه في المعركة فإن ذلك يؤدي إلى جعل الشعب الأمريكي بأجمعه أن يشعر بالفخر، لأن أبناءه وأسلحته ومعداته التي يرسلها تعطي ثمارًا يانعة تقابل التضحيات التي يقوم بها من أجل المجهود الحربي ووقوف الجندي الأمريكي إلى جانب الجندي البريطاني في المعركة يؤدي إلى التقارب بين الشعبين. وإذا سار النصر في ركابهما فإنهما يشعران بالفخر والاعتزاز وتزداد ثقتهما بأنفسهما ليتمكنا من خوض معارك أشد وتجارب أقسى في المستقبل.

لم يسع الجنرال ألكسندر إلا أن يوافقني على وجهة نظري. وصمم على أن يستخدم الفيلق كمجموعة واقترح بموافقتي أن ننقله من وسط الجيش الأول البريطاني ونعسكره على شاطئ تونس الشمالي مقابل بزرتا. فعمل أندرسن وباتون على إنجاز الأمر، فتم من دون اضطراب أو مضاعفات، وسارت عملية التموين بكل نظام وانسجام.

أجريت في هذه الأثناء تغييرًا آخر في قيادة الفيلق الثاني، فعينت الجنرال عمر برادلي قائدًا له لأعطي فرصة للجنرال باتون أن يرجع إلى مركز قيادة الجيش السابع ويواصل الاستعدادات اللازمة لغزو صِقِلِّية الذي سيبدأ مباشرة بعد انتهاء حملة تونس. فاستلم برادلي قيادة الفيلق في 15 نيسان سنة 1943 بعد أن أصبح معظمه في مركزه الجديد على الشاطئ الشمالي.

لما واصل الجنرال مونتغمري زحفه شمالًا اصطدم بخط أنفيدفيل وهو مركز حصين جدًا استطاع العدو أن يوقف تقدمه وهو متحصن فيه على أن الأمر قد أصبح واضحًا، وهو أنّا يجب أن نقوم بهجوم عام من كل الجبهات لنقضي على العدو. ولما تدارسنا الموضوع رأينا أن الكفة أصبحت راجحة في جانبنا من كل ناحية فقواتنا الجوية قد تزايدت بسرعة وملكت ناصية الجو حتى لم تجرؤ طائرات العدو على التحليق إلا تسلُّلًا. وهكذا قل من مدفعيتنا التي بلغت من القوة والفعالية درجة عظيمة ولما تحقق الأسطول أنه في أمن من طائرات العدو تقدم أيضًا ليضرب العدو من البحر. هذه القوات الثلاث التي تعمل بانسجام والتي تسيرها خيوط صادرة عن مكتب قائد واحد، جعلت تضرب العدو من الجو ومن البر ومن البحر بلا هوادة وانقطاع. فقطعت خطوط تموينه، ولما ظن الألمان أن الهجوم الرئيسي سيقع عليهم من الجنوب ركزوا معظم قواتهم في تلك الناحية، غير أن الجنرال ألكسندر أمر باقتطاع أقوى فرق الجيش الثاني سرًا وإرسالها إلى جبهة الجيش الأول في الغرب. وذلك لمنعة خط أنفيدفيل أولًا، وليخدع العدو ثانيًا. فتمت هذه الترتيبات في حينها ليبدأ الهجوم

العام في 5 أيار، فكانت النتائج سريعة وحاسمة، فاستطاع الفيلق الثاني الأمريكي أن يندفع في وجه مقاومة عنيفة ويحتل بزرتا في السابع من أيار وإلى الجنوب تقدم الجيش الأول البريطاني، المفروض فيه أن يتحمل العبء الأعظم من الهجوم، بقيادة الجنرال أندرسن واحتل مدينة تونس في الوقت نفسه أي في السابع من أيار.

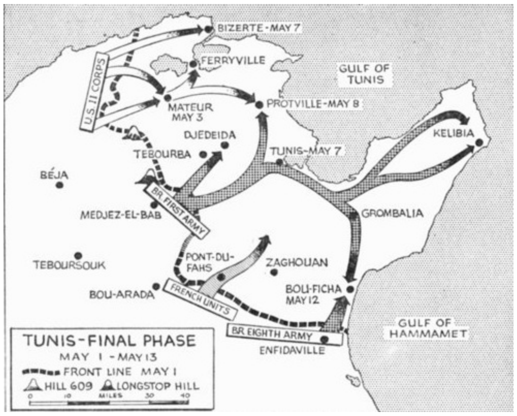

<u>حملة تونس في مرحلتها النهائية 1-13 أيار</u>

<u>خط الجهة في 1 أيار</u>

إبّان حملة تونس أبدى العدو مقاومة عنيفة في كل مكان، ولكننا صادفنا موقعين اثنين، واحدًا في طريق القوات الإنكليزية، وآخر في طريق القوات الأمريكية، تميزا على غيرهما منعة وصلابة، وخسرنا فيهما ما لم نخسره في أية بقعة أخرى في الحملة الإفريقية، وذلك لمناعة مركزهما الطبيعي وما أبداه جنود العدو من تشبث وعناد في الدفاع، وأخيرًا احتل البريطانيون الموقع الذي دعوه «الوقفة الطويلة». كما احتل الأميركيون موقع عدد 60. وبذلك برهن الجندي الأمريكي على أنه لا يقل شجاعة وإقدامًا في المعارك البرية عن غيره من خيرة جنود العالم.

حالما اخترقت قوَّاتُنا جبهة العدو أرسل الجنرال ألكسندر الوحدات المصفَّحة في الجيش الأول لاحتلال شبه جزيرة بون، وذلك لقطع الطريق على قوات العدوّ خوفًا من أن تنسحب وتتحصَّن فيها. ومنذ ذلك الحين تحوَّلت الحملة من معركةٍ حربية إلى عملية تطهير وأخذ أسرى. وفي الثاني عشر من شهر أيَّار توقَّفت كل مقاومة للعدو، وبلغ عدد الأسرى الذين وقعوا في قبضتنا خلال

أسبوع 240.000 أسير منهم 120.000 ألماني وهكذا قضي على الفرق الألمانية في إفريقيا.

أما رومل فيظهر أنه أدرك أنْ لا مفرّ من الكارثة، ولهذا فَرَّ قبل أن تحلَّ الواقعة في جيشه ونجا بجلده. وفي انتصارنا الساحق على قُوّاته قضَينا على الاعتقاد بأنَّ الجيش الألماني لا يُغلَب. أما فون أرنيم فقد أشرف على تسليم الجنود الألمان، بينما الفيلد مارشال مس القائد الأعلى الاسمي لجيش المحور أشرف بدوره على تسليم الوحدات الإيطالية. وعندما وصل فون أرنيم إلى الجزائر في طريقه إلى القصر اقترح بعض معاونيَّ علي أن أحافظ على عادة قديمة وهي السماح له بزيارتي.

عندما كانت جنود المرتزقة تقاتل بعضها طمعًا بأجر أو شهرة، لا بدافع الحقد والعداوة كانت العادة أن يقوم القائد المنتصر بإكرام خصمه، وذلك بإنزاله ضيفًا عليه لمدة شهر على أساس أن العسكريين المحترفين هم رفاق في السلاح. ويظهر أن شيئًا من هذه العادة قد بقي إلى القرن العشرين. إنما أنا لم أشعر بأي ميل لممارستها، لأن اعتقادًا نشأ في ذهني وأخذ يزداد بأن التاريخ لم يشهد حربًا عالمية اشتركت فيها أمم كثيرة في سبيل غاية واحدة، وهي الحفاظ على كرامة الإنسانية وصَونها من الذلّ والعبودية أمام عدوٍّ شرّير حقود، وعليه لم يبقَ مجالٌ لتساهل أو مجاملة لأنه لا خلاص للعالم إلا بتدمير المحور، وما الحرب ضده إلا حملة صليبية بكل ما في اللفظة من معنى الشرف والحرية والأهداف السامية.

كنتيجة لهذا المبدأ أمرت الزعيم سترونغ ضابط الاتصال في قيادتي بأن يجتمع بالقادة الأسرى ويأخذ منهم ما استطاعه من أخبار، لأن همي متجه نحو من بقي حرًا من القواد الألمان. وقد حافظت على هذا المبدأ إلى آخر الحرب، ولم أقابل أحدًا منهم إلا الجنرال يودله، وذلك عندما أتى إلى مركز قيادتي في ريمز ليوقع استسلام ألمانيا سنة 1945. ويومئذ كانت الكلمات التي وجهتها إليه تعني بأنه هو شخصيًا سيكون مسؤولًا عن تنفيذ بنود الاستسلام.

كانت نتيجة الحملة التونسية سارّة، لكن القيادة العامة التي انشغلت في تحضير ما لزم لغزو صِقِلّية لم تفسح مجالًا للاحتفالات، إنما اكتفينا باستعراض عسكري في العشرين من أيار لانتهاء إمبراطورية المحور في إفريقيا.

أدَّت ضخامة عدد الأسرى إلى تأخير الاستعدادات لغزو صِقِلّية، لأن معظم نقلياتنا الجوية والبرية عبئت لنقلهم إلى أماكن أسرهم، ولكن هيئة القيادة العليا وما تعلَّق بها من فروع تفرَّغت بكلِّيتها لوضع تخطيط للحملة تحت إشراف الجنرال ألكسندر حتى إذا تم كل شيء قمنا بالتنفيذ.

قوات أميركية تنزل في شواطئ فرنسا الشمالية عند شاطئ أوماها

هتف شعوب الأمم المتحالفة سرورًا عندما وصلها خبر النصر في تونس ورأى كل صديق وعدو في هذا النصر معني عميقًا، وهو أن الحلفاء أخيرًا بدؤوا في زحفهم.

والألمان الذين عانوا الانكسار والخذلان في معركة ستالينغراد في فصل الشتاء الماضي بدؤوا يتخلّون عن خططهم الهجومية في جبهة روسيا مكتفين بخطة الدفاع.

وبعد خذلانهم في تونس حصروا جهدهم في الدفاع عمّا في أيديهم لأن جوانح مطامعهم قد كسرت.

الفَصلُ التَّاسِعُ
غزو صِقِلِّية

اتفق المؤتمرون في الدار البيضاء أن يصار إلى فتح طرق البحر المتوسط السفن الحلفاء. وعلى هذا قرروا أن تكون خطوة الحلفاء الثانية غزو صِقِلّية لأنها تكاد أن تشطر البحر المتوسط إلى قسمين. وطالما أنها في يد المحور تستطيع طائراته أن تهاجم سفننا وتسبب لها الأضرار والخسائر. واقترح بعضهم أن يصار إلى احتلال سردينيا وكورسيكا، وعندما سئلت عن رأيي في ذلك قلت:

إذا كانت الغاية من الحملة مهاجمة البر الإيطالي فالأنسب احتلال سردينيا وكورسيكا، لأنهما تجابهان إيطاليا على طول شواطئها الغربية. فنزولنا في هاتين الجزيرتين يجبر العدو على نشر وتوزيع قواته من الطرف الجنوبي إلى أقصى الشمال في مرفأ جنوى فيمنعه ذلك عن تجميع قوة ضاربة في نقطة واحدة تستطيع أن ترد على الغزو بهجوم صاعق وتمنع حدوثه وإذا كانت الغاية فتح المتوسط فلا بد من غزو صِقِلّية. فوافقني الجنرال مارشال على رأبي لأنه خاف إذا استطعنا النزول في إيطاليا أن يحاول البعض إلغاء ما اتفقنا عليه قبلًا وهو غزو فرنسا عبر القنال الإنكليزي وشدد كما شددت على غزو صِقِلّية.

عرفنا أنه يوجد في صِقِلّية نحوا من ثلاثمائة ألف جندي، معظمهم

من الإيطاليين. ويوجد بينهم أقل من فرقتين ألمانيتين. بقيت المسألة أن نعرف إذا كان الإيطاليون متحمسين للدفاع عن وطنهم أم بقوا على ما عرفناه عنهم من قلة الاهتمام بالحرب، لأن على ذلك يتوقف تعيين الفرق التي ستشترك بعملية الغزو. وأخيرًا تم الاتفاق على أن يشترك جيش أمريكي من خمس فرق بالإضافة إلى معظم قوات الجيش الثامن البريطاني الذي زيد عليه فرقة كندية أتته من إنكلترا. ثم بجثنا نقطة النزول، وبعد الجدل وتقليب الأمر من جميع نواحيه، صممنا على أن ننزل في ثلاث أمكنة متباعدة من الجزيرة فيها جسم الإنكليز الشاطئ الشرقي ويحاولون احتلال سيراكيوز لانتزاع مرفأها بأسرع ما يمكن، وينزل الأمريكيون في الزاوية الجنوبية الشرقية، وتنزل قوة مختلطة على الشواطئ الشمالية الغربية. وتعمل هذه القوات الثلاث على الالتقاء في وسط الجزيرة، ثم التوجه إلى بوغاز مسينا، ويكون الجنرال ألكسندر القائد العام على جميع القوات البرية والذي شجعني على وضع هذه الخطة ازدياد قوات الجو والبحر عندنا والتي بفضلها أصبحنا، قادرين على تطهير سماء المنطقة من طائرات المحور، واعتمدنا أن نستعمل جنود المظلات بضخامة لم يعرفها تاريخ الحرب من قبل.

تقع إلى الجنوب من صِقِلّية جزيرة صغيرة تدعى بنتيلاريا فيها مطار صغير. فرأينا ألّا سبيل إلى غزو صِقِلّية قبل احتلال بنتيلاريا. والمهم أن شواطئها خالية من المرافئ، يصعب اقتراب السفن منها دون أن تتعرض للخطر. وبعد تداول في أمرها قررنا أن نضربها من الجو والبحر بشدة حتى تضطر حاميتها إلى

التسليم.

وبالفعل بعدما قذفناها بما لا يقل عن خمسة آلاف طن من المتفجرات رفعت الحامية الرايات البيضاء واستسلمت. عندها صممت القيادة العليا أن تبدأ غزوة صِقِلِّية في أوائل شهر حزيران. وقبل الموعد المعيَّن ذهبت والجنرال ألكسندر إلى جزيرة مالطا لنشرف على العملية من هنالك.

حسب الترتيب الذي وضعناه على الجدول قرَّرنا أن تنزل في الجزيرة الوحدات التي تحملها الطائرات أولًا، ولما كان بعضها سيمر مقابل جزيرة مالطة، صعدنا نحن على المرتفعات لنراقب مرورها وهي تتجه شمالًا. فرأيناها تتعرض لريح زعزع يدفعها بشدة ذات اليمين وذات اليسار، ولكن أكثرها ملكت زمام أمرها، وسارت حسب الخطة المرسومة وعندما غادرتنا مختفية في سيرها شمالًا أوينا إلى فراشنا نسترق بضع ساعات من النوم.

في الصباح بدأت الرسائل تصل إلينا وفيها خليط من الأخبار، بعضها سار والبعض الأخر مكدر. وإحداها ذكرت بأن بعض طائرات الانزلاق الإنكليزية قذفتها الريح بعيدًا عن أهدافها، فسقطت في البحر، وأخرى تحطمت على البر. فأشفقنا أن نكون الخسائر كثيرة، ولكن الإحصاءات التي وردتنا بعدئذ ذكرت أن الخسائر أقل مما توهمنا. وذكرت رسالة أخرى أن عملية الإنزال من البحر من الجانبين تسير بنجاح وتصادف مقاومة معتدلة.

وفي الجنوب استطاع المظليون أن ينزلوا على مسافة قليلة من المكان المعين والذي أدهشني هو التقارير التي وصلت عن نجاح

عملية النزول في القطاع الأمريكي، لأن العواصف جعلتنا نعتقد أن الأميرال كيرد أمر قوافل الهجوم في تلك الناحية سيضطر إلى تأخير النزول إلى القوارب بضع ساعات أملًا في أن يتحسن الطقس ولم يصدق الأميرال كاننغهام قائد الأسطول العام للحملة بأن النزول على البر ممكن في مثل تلك العاصفة، وسار على ظهر مدمرة سريعة يشرف بنفسه على العملية، وعندما رجع أخبرني أن الفرقة الخامسة والأربعين قامت بعملية إنزال من أمهر ما شاهد في حياته البحرية مدة خمس وأربعين سنة.

حين وصلت التقارير عن المعارك بدا أن العدو قد انخدع، لأنه ظن أن معظم نزولنا سيكون على الشاطئ الغربي لقربه من الشاطئ الإفريقي، فحشد قواته هنالك.

ولما عرف مكان الهجوم هب بسرعة كعادته ليسحقه. فقامت وحدة آلية مصفحة من مرفأ جيلا واتجهت بسرعة وبدأت تهاجم الفرقة الأولى الأمريكية، وكادت أن تنجح في طردها ورميها في البحر لولا نيران الأسطول التي انصبت عليها بشدة وضعضعت قوتها.

ولما اعتقدت أن العدو سيواصل عمليات هجومه المضاد في تلك الجبهة غادرت مالطة في تلك الليلة وذهبت على مدمرة بريطانية لاجتمع بالجنرال باتون والأميرال هويت قائدي البر والبحر في تلك الناحية. وعندما وصلت رأيت أن الألمان قد بدؤوا في التراجع ليقووا خط دفاعهم في منطقة كتانيا الحساسة. واستطعت أن أدرك وأنا في موقفي على ظهر المدمرة أن العملية تسير سيرًا

حسنًا. وكان إلى جانبي حينذاك مراسلان صحافيان، أحدهما جو غنثر صاحب المؤلفات الشهيرة. وأرسلت من هنالك برقية إلى الفرقة الكندية رحبت بانضمامها إلى جيش الحلفاء، وتمنيت لها كل نجاح. ورأيت أنه لم تحدث من قبل عملية برمائية بمثل هذه الضخامة، لأنه على مسافة أميال من كل جهة على الشاطئ كانت مئات السفن والقوارب عائمة تحمل الرجال والمعدات. وعندما التفت إلى البر رأيت صفوف الجنود تسير إلى الأمام تحت مظلة هائلة من الطائرات.

اننا بالطبع جعلنا احتلال مضيق مسينا هدفنا الرئيسي، لأن على نجاحنا في ذلك لا يتوقف وصول المدد إلى العدو في صِقِلّية فحسب، بل يمكننا من حصر قوات المحور في الجزيرة واجبارها على الاستسلام أيضًا. ويظهر أن العدو قد أدرك غايتنا تلك فقام بسباق يمنعنا فيه من الوصول فرابط في جبل أتنه المشرف على سهل كتانيه الوادع، ولما زحف الجنرال مونتغمري بسرعة شمالًا سقط معظم السهل في يديه ومرفأ سيراكيوز أيضًا. لكنه عندما اقترب من أسفل الجبل بدأت مقاومة العدو تشتد، وأخيرًا وصل إلى نقطة تحقق فيها أن تقدمه أصبح مستحيلًا، فصمم على جمع قواته ومعداته في بقعة واحدة ليتمكن من إرسال افواج قوية لتقوم بحركة التفافية من الغرب لأنه لم ير أي طريقة أخرى غير هذه تمكنه من الوصول إلى هدفه مرفأ مسينا. وفي أثناء مرور جيشه في ذلك السهل تفشي بين جنوده داء الملاريا الذي جعل يفتك بجنودنا على مجال واسع لم نصادفه في أي مكان آخر كل مدة الحرب.

في الوقت نفسه كان الجنرال بانون يتقدم بسرعة في وسط الجزيرة. ثم أرسل وحدة آلية سريعة الحركة، فاحتلت الشاطئ الغربي، وسقطت مدينة بليرمو في يدها. ثم اندفعت لاحتلال معظم شواطئ الجزيرة الشمالية، فلم يبق في يد المحور إلا مرفأ مسينا، فضعفت بذلك معنويات المعسكر الإيطالي وأخذ الجنود يستسلمون بالألوف.

ليس من شك في أن باتون طالب حرب حاد الذكاء سريع الفهم، يقدر السرعة في العمليات الحربية حق قدرها، لأن السرعة تساعد الجنود على إضعاف ما يتمتع به العدو من مميزات. وأهم من ذلك أنها تجعل الذي يقوم بها أن يستثمر نجاح العملية بعد الأخرى دون أن يترك مجالًا للعدو أن يعدل خطوطه ويجمع قواته ليقوم بالهجوم ونجاح السرعة في الخطوة الأولى يمهد الطريق إلى نجاح اسرع في الخطوة الثانية فيؤدي ذلك أخيرًا إلى تضعضع معنويات العدو فالسرعة التي لا يعتريها الكلل في ملاحقة العدو تعود على من يقوم بها بأغلى وأثمن جائزة في الحروب.

لضمان السرعة في العمل يجب على القادة والجنود أن يغتنموا الفرص ويندفعوا بتصميم وعناد. وعلى القائد الأعلى أن يعد الوحدات والجنود: لتعمل بسرعة بعد نجاح كل عملية. وهكذا لا يستطيع الجيش أن يعمل بسرعة في الحروب إلا إذا أعد القائد الجنود والمعدات والمؤن بكثرة، وعرف كيف يوزعها على الوحدات.

وإذا فشل في ذلك عرض جنوده للخطر. ولكنه إذا نجح أحرز أعظم الانتصارات بأقل ما يمكن من الإصابات، فالسرعة تتطلب تدريبًا وجسارة ومقدرة على الحركة، وثقة بالنفس، ومعنويات عالية، وقيادة ماهرة، بالإضافة إلى وسائل نقل أبدا تحت الطلب فالجنرال باتون استعمل كل تلك الحركات والاشياء الفنية بعزم لا يفل. فكان نجاحه ضربة قوية زعزعت كيان الدولة الإيطالية فتصدع بناء موسوليني، وسقط هو من الأعلى إلى الاسفل في أواخر شهر تموز.

في أواخر تموز بدأت المعسكرات الإيطالية في الجزيرة تنهار إلا ما كان منها في قبضة الألمان، فقد بقيت تقاوم. ولكن أبدى عنادًا وتشبثًا في خطوطه في جبل أثنه وقاتل بمهارة ووحشية والوحدات الآلية والمظليون الذين واجهناهم هنالك كانوا من خيرة ما واجهنا في أثناء الحرب وكل موقع غنمناه بعد أن دمرناه تدميرًا كاملًا.

ومع ذلك فإنه عندما أطبق جيش الحلفاء السابع والجيش الثامن على جبل أثنه أدرك الألمان أن اللعبة قد انتهت، ففروا هاربين وقطعوا مضيق مسينا، بينما كانت قاذفاتنا تمطرهم بالقذائف لكن ضيق المضيق ساعدهم على أن ينجوا في ساعات الظلام، وعليه استطاعت الفرقة الأمريكية الثالثة أن تدخل مدينة مسينا في السابع عشر من شهر آب ثم تبعها أفواج من الجيش الثامن وهكذا انتهت حملة صِقِلِّية.

لما بدأنا في درس عملية غزو صِقِلِّية كان الجنرال ألكسندر يرجو أن قواتنا التي ستنزل في شرقي الجزيرة تستطيع الاندفاع بسرعة

شمالًا وتحتل مسينا وتسد طريق النجاة على جيش المحور، وإذا أمكن تقوم بهجوم مباغت على البر الإيطالي.

بدأت عمليات مونتغمري على الشاطئ الشرقي تبشر بالخير، وبدا أن آمال ألكسندر ستتحقق، ولكن عندما وصل مونتغمري إلى خطوط الدفاع الطبيعية على سفوح جبل أثنه وجد أن العدو قد وضع قوات عظيمة استطاعت أن توقف زحفه شمالًا. ولم نتمكن من الوصول بعد ذلك إلى مسينا إلا بعد أن سبقنا العدو، على أن مونتغمري لم ينج من الانتقاد وعلى الاخص من قبل الصحفيين ورجال الطيران، لأنهم اتهموه بشدة الحذر فالانتقاد سهل ولكن من يقوم بهجوم فاشل تقوم حوله الضجة بأنه سفاح، ومن يتحلى بالحيطة والحذر يتهمونه بالجبن. وإن مثل هذه التهم لا تستند إلى براهين تدعمها. وفي زمن الحرب يجري الحكم على القائد بعد إحصاء سجل المعارك التي خاضها ويقابل بين ما احرزه من انتصارات وما عاناه من خسائر. فاذا رجحت كفة انتصاراته تسجل مهاراته وإصابة رأيه في الأمور. وعليه، فإن الذين يوجهون التهم إلى مونتغمري بأنه قصر في بلوغ مأربه كاملًا يجب على الأقل أن يعترفوا بأنه لم يذق مرارة انكسار كبير في أي معركة خاضها واني قد درست ما احاط بمعركة أثنه من مضاعفات بكل دقة مع كل من مونتغمري وألكسندر وتبين لي أن أي هجوم على مواقع العدو سيمني بالفشل، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما كان بين أيدينا من موارد في أواسط شهر تموز. ويجب أن نتذكر أن هنالك بون شاسع بين الحذر والجبن كما أن هنالك بون بين الشجاعة والتهور.

برزت في معركة صِقِلّية صفات الجنرال برادلي كقائد عسكري بين القواد الأمريكيين، ولذلك لما سألني الجنرال مارشال في أوخر شهر آب عمن أقترح بأن يعين قائدًا للجنود الأمريكيين في الجزر البريطانية أجبت مباشرة: «إذا أردت الصحيح يجب أن تختار برادلي، واني سأبدأ من الآن بالعمل على إنهاء مهمته معي»، وعليه غادرنا الجنرال برادلي بعد مدة وجيزة إلى إنكلترا.

لم تكن حملة صِقِلّية مجرد احتلال جزيرة، لأنه كان لها دوي عميق في جميع أنحاء إيطاليا، فاهتزت أركانها وسقط موسوليني «الفشار» عن كرسيه، وانتشرت النقمة والفوضى في الأمة الإيطالية، وبدا أن إيطاليا صممت على الوصول إلى السلام بأهون الطرق، فحل المارشال بييترو بادو ليو محل موسوليني في رئاسة الحكومة، وبدا من تصريحاته الأولى أنه مصمم على متابعة الحرب، لكننا عرفنا بأن تصريحاته جاءت لتهدئ من غضب الألمان، وليعطي الإيطاليين فرصة لينجوا من عقاب حليفتهم الشريرة.

كان أمل الإيطاليين ضعيفًا بعقد صلح انفرادي، وذلك لأن حكومة مسوليني فتحت جميع أبوابها ومغالقها أمام الألمان، فأصبح خبراؤهم ومستشاروهم في كل زاوية ودائرة، لا تخفى عليهم خافية، فاذا حاولت الحكومة الجديدة التفلت من قبضتهم أثارت غضب هتلر ودفعته إلى الحاق الضرر العظيم بالشعب الإيطالي وممتلكاته. فاحتال المارشال بادوليو على المشكلة بأن أرسل إلى لشبونة عاصمة البرتغال من يفاوضنا سرًا. فأرسلت ضابطين لي ملء الثقة بهما من أركان حربي وهما رئيس أركان حربي

الجنرال سميث، ورئيس قلم الاستخبارات في قيادتي الجنرال كنت بترونغ لينوبا عني في إجراء الترتيبات لاستسلام القوات الإيطالية من دون قيد أو شرط.

وبدأت عندئذ سلسلة من المفاوضات والاتصالات السرية ورحلات الوكلاء الخفية من الجانبين، وجرت عدة اجتماعات في الزوايا البعيدة عن الأنظار، وجرى من العقد والمفاجئات فيها ما يشبه الاساطير الخيالية، وذلك لما أحاطنا من مؤامرات متنوعة، وكلما أحبطنا واحدة حيكت الثانية، وذلك نتيجة الميوعة الموقف وتغير الاحداث. ومن هذه المؤامرات واحدة جرى الاتفاق بموجبها على أن تنزل قوة كبيرة من جيشنا من الجو في ضواحي روما. وبعد أن هيأنا كل شيء، طلبت الحكومة الإيطالية منا أن نوقف العملية. ولا أزال أجهل السبب الذي دعا الإيطاليين منا أن نوقف العملية. ولا أزال أجهل السبب الذي دعا الإيطاليين إلى أن ينقضوا الاتفاقية، أهو خسوف المسؤولين هنالك، أو لأن الألمان اكتشفوا بطريقة ما بعض ما يحاك وراء ظهورهم.

على أثر ذلك أرسلنا الجنرال ماكسول تيلر الذي أصبح فيما بعد قائد فرقة المئة والحادية من المظليين سرًا إلى روما. فتعرض لأخطار هو ومن صحبه مما يضيف فصلًا جديدًا على هذه الرواية المثيرة والمجازفات التي مر فيها لم يحدث لها مثيل مع أي رسول من قبلي، لأنه تحمل مسؤوليات جسيمة، ونفذها بكل حذر وحسن تدبير، بينما كان في كل لحظة معرضًا لاكتشاف أمره وادانته بالموت.

ان الإيطاليين أرادوا الاستسلام، ولكنهم أرادوا ألّا يجري ذلك ويعلن إلا بعد أن تنزل قوات ضخمة من جيوش الحلفاء في إيطاليا، حتى تستطيع الحكومة نفسها النجاة من نقمة القوات الألمانية. ولذلك طالبوا بأن نطلعهم بالتفصيل على ما بيناه من خطط فأبينا عليهم ذلك خوفا من الخيانة أضف إلى ذلك أننا كنا أعجز من أن ننزل في بلادهم القوات التي اقترحوا إنزالها كضمانة لسلامتهم. فلم تتصور السلطات العسكرية الإيطالية أنّا نستطيع أن نعمل شيئًا بأقل من خمس عشرة فرقة، بينما نحن صممنا على ألّا ننزل إلى البر الإيطالي أكثر من خمس فرق.

بينما كانت تلك المفاوضات تجري، إستطاع مونتغمري أن يتسلل مع فرقتين عبر مضيق مسينا في إحدى الليالي دون أن يلقى أي مقاومة، وهكذا أصبح غزو الحلفاء للقارة الأوروبية أمرًا واقعًا. جرى ذلك في الثالث من شهر ايلول أي بعد عشرة أيام مما قدرت أنا سابقًا، ولكن التحضير لعملية هجوم برمائية يستهلك الوقت بسرعة، مع أنه لو أسرعنا أكثر من ذلك لما واجهنا مشكلة ساليرنو، على أن ما حققناه كان يدعو إلى التفاؤل لأن ذلك سمح لنا أن نستعمل الواعين التي تتل مونتغمري فرقه عليها في الهجوم الكبير الذي وضعنا له الخطة. فبدأ يزحف بين رأس إيطاليا الجنوبي شمالًا، بينما جعلت قوات العدو تضع العراقيل في سبيل تقدمة وهي ترقب بحذر المكان الذي اخترناه للغزوة الكبرى.

بعد طرد موسوليني أوقفنا غاراتنا على إيطاليا برهة من الزمن، وأعلنا أنّا نريد أن نعطي فرصة للحكومة الإيطالية الجديدة أن تتجنب التدمير الذي ينتظر بلادها، وذلك بقبولها الرضوخ

لشروطنا والاستسلام من دون تأخير فأثار إعلاننا هذا الاحتجاج في لندن التي ذكرتنا بأن القائد الأعلى لحملة ما في العصر الحديث لا يبعد أكثر من سفر ساعة عن عواصم الرأي العام، وأي رحمة يبديها نحو العدو تنير الشعوب ضد. والحقيقة أننا لم نتوان عن قذف إيطاليا إلا لإنشغال طائراتنا بنقل الجنود والمعدات استعدادًا لغزوها ولم يكن إعلاننا إلا من قبيل الباس الضرورة ثوب الفضيلة لأننا حالما استرجعنا حريتنا للعمل جددنا حملاتنا الجوية بنشاط وفعالية.

من المقرر أنه كان لا مهرب من غزوة كبرى لإيطاليا، ولم نجد في كل الشاطئ الإيطالي الواقع بين روما والرأس الجنوبي أفضل من ساليرنو وأمر غزونا لساليرنو شيء يتوقعه العدو لأنه واقعي وممكن، وإذا توقعه يستطيع أن يجمع قواته ليصدنا، وإذا رمينا بأبصارنا إلى أبعد من ذلك شمالًا يصبح من المستحيل على مقاتلاتنا أن تحمي ناقلات الجنود والأسطول فقررنا إذن بحكم الضرورة النزول في ساليرنو.

كانت المفاوضات لا تزال جارية بيننا وبين الحكومة الإيطالية بشأن التسليم بصورة معقدة، لأنها تناولت مستقبل الأسطول الإيطالي وما تبقى من قواتها الجوية، ومصير جيوشها البرية المنتشرة في بلادها وفي كل شبه جزيرة البلقان، كما تناولت إمكانية رد الفعل الألماني عندما يعلم استسلام حليفتها. وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن نعلن أنا وبادوليو استسلام إيطاليا في مساء الثامن من أيلول. وقد اخترت ذلك التاريخ لأننا صممنا النزول في ساليرنو في منتصف ليل ذلك اليوم ولتفرغي للعمليات

الحربية وكلت رئيس أركان قيادتي بتلك المفاوضات الطويلة المنهكة.

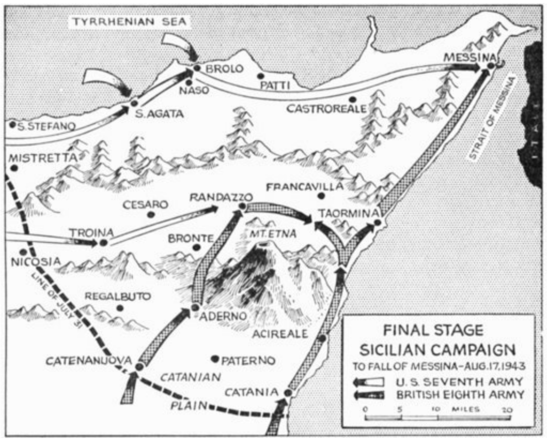

جرى كل شيء طبيعيا، حتى ظهر الثامن من أيلول حين استلمت رسالة سرية من بادوليو يخبرني فيها بأنه غير قراره على أساس أن السرعة بإعلان استسلام بلاده يعطي فرصة للألمان بأن يقبضوا عليها بيد من حديد، وينزلوا قصاصهم الشديد في كل شخص تحوم حوله الشبهات فرددت على رسالته فورًا بأنني صممت على أن أعلن اتفاقي معه على استسلام إيطاليا وإذا هو تردد بدوره يترك إيطاليا وحيدة ضعيفة في الساحة تتحمل غضب الألمان كما تتحمل غضبنا، وبالفعل أعلنت استسلام إيطاليا في الساعة السادسة والنصف من ذلك المساء. ووضعت بادوليو أمام الأمر الواقع فاضطر هو بعد ساعة ونصف من ذلك أن يعلن بصوت خائف مرتجف ما أعلنته أنا.

لم يغير ذلك الإعلان شيئًا في خططنا، لأنّا علمنا من قبل بأن المعسكر الإيطالي في ساليرنو قد أبدل بقوات ألمانية قوية جدًا. وأنبأنا قلم استخباراتنا أن نزولنا سيصادف مقاومة عنيفة تبلغ

الذروة بعد اليوم الرابع من نزولنا.

تم العزم على الغزو بقوة أربع فرق بالإضافة إلى فرقتين لا تزالان بعيدتين في الجنوب، لبلاد فيها أكثر من خمس عشرة فرقة ألمانية ولم نجرؤ على مثل هذه المجازفة إلا لتأكدنا بأنّا نستطيع الحاق فرق أخرى بها، ولإيماننا بأن سلاحنا الجوي يستطيع أن يضرب كل شبر من الأرض التي يعسكر فيها العدو، ويمهد الطريق أمام هجوم فرقنا. هذا بالإضافة إلى الأسطول البحري الذي يرافق سفن الإنزال ويقف دائمًا على قدم الاستعداد ليدك بمدفعيته الحصون ويسبب الدمار للقوات التي تجابهنا.

سارت عملية الهجوم وما عقبها من نشاط في القتال حسب ما تنبأ قلم استخباراتنا. فبدأ القتال حادًا وقصيرًا أول ما وصلنا الشاطئ، ولكن قواتنا استطاعت أن تصل اليابسة رغم كل مقاومة، وبعد خمسة أيام استطاع الألمان أن يحشدوا قوة عظيمة ويقوموا بمجهود عام لرمينا في البحر وبدأت اذاعات الألمان تسخر من عملنا وتتهكم على ما ارتكبناه من مغامرات فاشلة، وتتنبأ بأن مصير حملتنا على ساليرنو الدمار والهلاك.

كان هجوم الألمان في الثالث عشر من الشهر عنيفا جدًا، فحمي القتال إلى درجة رهيبة واشتد ضغطهم في الوسط، وفتحوا فيه فجوة كبري، وتقدموا إلى أن أصبحوا على مسافة ثلاثة أميال من البحر. فاكفهر الجو وساد العبوس وأخذت الحوادث تنذر بشر مستطير، وعلى الأخص عندما فوجئت الفرقة السادسة والثلاثون الأمريكية بضربة من ناحية لم تتوقعها، وأصيبت بخسائر فادحة

قبل أن تستطيع لملمة نفسها وامتلاك روعها. وبدا في وقت ما بأن قواتنا الغازية ستنشطر إلى شطرين، حتى أن الجنرال كلارك فكر بنقل مركز قيادته إلى البحر ثانية ليستطيع أن يشرف على سير المعركة من الجناحين المشطورين، وابرق يأخذ رأينا في ذلك ففسر البعض برقيته بأنه ينوي إنهاء الغزوة والإقرار بالفشل، على أن حقيقة الأمر أنه لم يدر أبدا في خلد كلارك ولا في خلد الجنرال ماكريزي قائد القوات البريطانية أن ينسحبا وبدأت بعد ذلك تصل تقارير تشرح الكثير عن الهجوم الألماني، فصدرت عندئذ الأوامر إلى مارشال الجو تدر أن يركز قوته الجوية، ويأمر كل آلة تستطيع الطيران أن تقوم بضرب شديد على النقط الحساسية في التجمعات الألمانية. فوجه سلاح الطيران ضربات اليمة في الوقت المناسب على المكان المناسب، فأصابت من الألمان مقتلًا في الرابع عشر من الشهر فضعضعت الجيش ودمرت مواصلاته واحرقت مؤنه، فدبت الفوضى في صفوف الألمان ولم يستطيعوا أن يقوموا بهجوم يهدد مركزنا. فتنفست جنودنا الصعداء، وملكت روعها وبدأت بالزحف ثانية غير أن حدة القتال لم تخف لأنه بعد أن ثبتنا اقدمنا في ساليرنو توجهت أبصارنا إلى هدفين رئيسيين. الأول احتلال نابولي الاهمية مرفأها لأسطولنا وبحريتنا. وثانيا الاستيلاء على مطار فوجيا لنتخذ منه قاعدة لضرب أواسط أوروبا التي لم يستطع طيراننا أن يصيبها بسوء من قواعده في الجزر البريطانية وإفريقيا.

بعد انتهاء حملة صِقِلِّية تحققنا أنه لا بد من الاستيلاء على مطار ما في إيطاليا ليسهل علينا مهمة احتلال ساليرنو. وبعد أن رأينا

العدو يجمع قواته هناك صممنا أن نحتل مطار فوجيا الواقع عند كعب قدم إيطاليا الشرقي في جوار تورنتو ولكن المشكلة هي أننا بعد نجاحنا في صِقِلّية غادرت جبهة المتوسط أربع فرق أمريكية وثلاث فرق إنكليزية إلى بريطانيا لتشترك في غزو فرنسا حسب ما سبق ووضعنا من خطط، فلم يبق لدينا إلا فرقة واحدة لم تشترك في ساليرنو ولا مع قوات مونتغومري في الجنوب فصممنا أن نستعملها في غزو تورنتو عند أخمص قدم إيطاليا وتعهد الأميرال كاننغهام كعادته بالإبحار نحو المرفأ الإيطالي غير هياب ولا وجل من ألغام ولا مفاجئات فسار وقبل أن يدخل الميناء النقي بمعظم الأسطول الإيطالي، وكانت ساعة تكهرب الجو فيها فاحتار الأسطول الإيطالي بين السكوت والمقاومة ولم يكن قد تلقى الأوامر بالإستسلام، وأخيرا رأى أن ينسحب، فدخل كننغهام بأعصاب هادئة وأنزل فرقة المظليين على البر دون أي مقاومة فأصبح لنا بذلك ثلاث جبهات في إيطاليا.

خفف نزولنا في ساليرنو الضغط من أمام مونتغومري. فتقدمت جنوده بسرعة حتى تمكن في السادس عشر من الشهر أن يتصل جناحه الايسر بميمنة جيش ماكلارك قرب خليج ساليرنو بينما اتصل جناحه الايمن بفرقة المظليين البريطانية، واندمج معها ونجح في الاستيلاء على مطار فوجيا في الوقت نفسه.

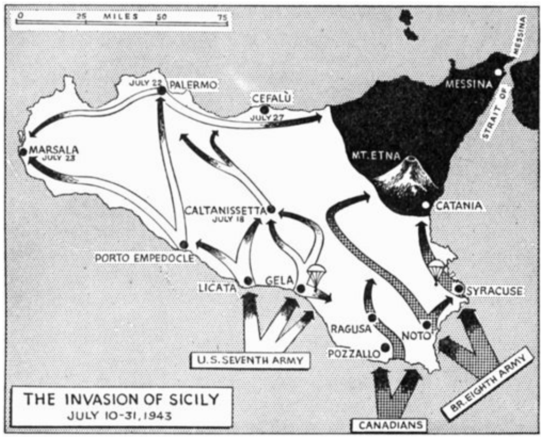

وبعد استسلام إيطاليا نشأت حالة جديدة في القسم الشرقي من البحر المتوسط أثارت اهتمامنا، وخلقت نقاشًا بين نظريتين مختلفتين لم يبت بصحة أي منهما حتى الآن. وهي أنه وجد في جزر الدودكنيز الواقعة على مقربة من المياه التركية معسكرات إيطالية. فبعد استسلام إيطاليا رأينا أن تلك المعسكرات أصبحت من ضمن الجيش الإيطالي الذي أعلن استسلامه، ففكر الحلفاء بالاتصال بهم ليروا إذا كانوا مستعدين أن يدافعوا عن الجزر التي في حوزتهم فتبين أنهم بعيدين عن أي نوايا حربية ولا يهمهم من يصبح سيدًا للجزر فارتأى رئيس وزراء بريطانيا أن يرسل جزء من قواتنا لحمايتها خوفًا من أن تقع في أيدي الألمان فقاومت أنا ذلك الرأي لأني احتاج في الجبهة الإيطالية إلى كل جندي وكل طائرة وبندقية واعتقدت أن الأهمية الاستراتيجية لتلك الجزر لا تضارع جبهة إيطاليا، ولا يجوز أن نضعف ذواتنا هنا للاستيلاء على جزر نائية لا تنفع ولا تضر، ولكن رئيس الوزراء البريطاني ألح بوجوب احتلال الجزر فارتؤي أخيرًا أن يعقد مؤتمر في تونس بيني وبين الجنرال ميتلاند ويلسن قائد عام القوات البريطانية في الشرق الأوسط الذي يقول بصحة رأي

المستر تشرشل.

عقد المؤتمر وشرحت وجهة نظري التي لم يستطع أن يناقشني في صحتها أحد وبناء على ذلك أبيت أن أقتطع من قواتي جنودًا ولا طائرات للاستيلاء على الجزر فاغتنم العدو هذه الفرصة واحتلها هو ولا أزال أعتقد حتى الأن أن احتلال الألمان للجزر لم يفدهم شيئًا، ولو احتللناها نحن لخسرنا قسمًا من جنودنا نحن بأشد الحاجة إليه في معركة حياة أو موت.

قام في وجهنا منذ استيلائنا على صِقِلِّية مشكلة أخرى، وهي إقامة إدارة حكومية مدنية لتستلم زمام الأمر من يد المسؤولين العسكريين. ولما كانت حكومتانا قد سبق واحتاطتا للامر دربت كل منهما عددًا من الفنيين في الإدارة إذ فتحت المدارس الخاصة لذلك. وعندما بدأنا نستولي على المناطق الألمانية أخذ هؤلاء الإداريون يتسلمون شؤون الحكومة فيما وراء صفوفنا. ولا بد من القول أن نجاحهم أو فشلهم يؤثر على عملياتنا الحربية لأنهم إذا عرفوا كيف يستميلون الناس ويقنعونهم بأن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة فإنهم يضمنون لنا سلامة المواصلات وإذا فشلوا واستفزوا الاهلين فقد يركن هؤلاء إلى عمليات التخريب والتدمير واغتيال الجنود وغير ذلك مما يخلق الفوضى والتشويش ولا يسعني إلا أن اثني على الجهود التي أبداها هؤلاء الفنيون الذين أصبح لهم شأن عظيم بعد أن احتللنا ألمانيا.

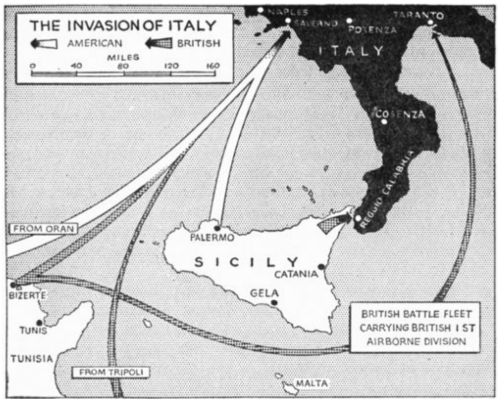
THE INVASION OF ITALY
AMERICAN
BRITISH
MILES
0 40 80 120 160
NAPLES
SALERNO
POTENZA
TARANTO
ITALY
COSENZA
REGGIO CALABRIA
FROM ORAN
PALERMO
SICILY
CATANIA
GELA
BIZERTE
TUNIS
TUNISIA
FROM TRIPOLI
MALTA
BRITISH BATTLE FLEET
CARRYING BRITISH 1 ST
AIRBORNE DIVISION

غزو إيطاليا

الفَصلُ العَاشِرُ

مؤتمر القاهرة

وصلتنا الأخبار ونحن لا نزال في إبان معركة ساليرنو بأن الرئيسين روزفلت وتشرشل قد صمما على عقد مؤتمر مع اركان حربيهما هذه المرة في القاهرة خارج منطقة صلاحياتنا، ولكن طلب إلينا أن نعمل على تأمين مرور الوفود، بالإضافة إلى استقبالهم وتقديم المسكن وما شاكل من حقوق الضيافة. وبدأت جماعات من البوليس السري تفد علينا لتؤمن حياة الرئيس بتحريها كل الأشخاص والأمكنة التي قد يمر فيها، فبدأت أولًا بدرس الأحوال الشخصية لكل موظف في دائرتي.

تسربت المعلومات بطريقة مبهمة عن مؤتمر القاهرة وأخذت الصحف تردد بعض النقط التي ستبحث فيه، والذي جعلنا أن نقف مدهوشين هو أن أكثر ما جاء في الصحف كان مطابقًا للواقع، الأمر الذي جعل الدوائر المسؤولة في واشنطن ولندن أن تقترح على الرئيسين بعد أن تركا عاصمتيهما متوجهين إلى البحر المتوسط أن يغير مكان الاجتماع إلى مالطة أو الخرطوم، خوفًا على حياتهما من عملاء المحور فأبرقت أنا عندئذ إلى الرئيس انصحه بأن يعقد المؤتمر في الوقت والمكان المتفق عليهما، لأن المحافظة على حياتهما لا تتوقف على المكان بل على ما يتخذه المسؤولون من احتياطات وحراسة وإذا كانت إمكانيات أمريكا وبريطانيا اعجز من أن تؤمن الحراسة على حياتهما، رغم ما

اتخذ من حذر وحيطة، فلا كان المؤتمر سبق المستر تشرشل الرئيس روزفلت في الوصول إلى منطقتنا.

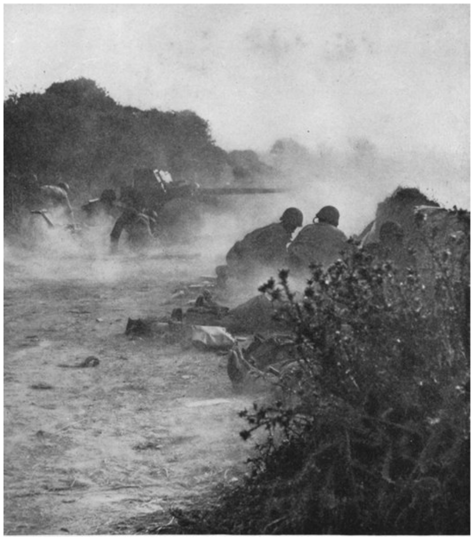

فريق من القوات الاميركية ضد المدرعات يطلقون النار من مخبئهم على قلعة فوغافيل

واجتمعت به مطولًا في مالطة وبعد البحث وافقني على أن يعقد المؤتمر في القاهرة حسب الاتفاق، وأبرق للرئيس الأمريكي بهذا الخصوص، ولما صاحب رئيس الوزراء عدد من مستشاريه العسكريين تدارست معهم عددًا من المواضيع التي تتناول الحالة الحربية في الحاضر والمستقبل.

كان المستر تشرشل على سجيته حاضر النكتة ظريف المعشر، واني اقولها بصراحة اني لم اجتمع على أية وليمة بشخص يلذ حديثه للسامعين ويثير فيهم الاهتمام والشوق إلى الاستماع كرئيس الوزراء فهو يتنقل في تعليقاته عن الحوادث إلى الاشخاص ويجرح ويؤلم بتهكمه ويمدح ويطري كيف شاء وفي كلا الحالين ظرف وفتنة، ومما ذكر في تلك العشية أنه ينتظر وصول الرئيس بكن شوق وأمل، كيف لا وهو يستمد منه الإلهام في معالجته المشكلات الحربية وما يعقبها من تطورات بعد الصلح وتوقف

أخيرًا عند الموضوع الذي يحلو له، وهو مهاجمة ألمانيا من أضعف النقط وتوجيه الضربة إلى معدتها حيث لا درع ولا تحصينات، ومازالت اليد على المحراث فمواصلة الهجوم من الجنوب اضمن، لأن هتلر أقام جهازًا دفاعيًا في الشمال يصعب التغلب عليه وكم مرة سمعته يردد كلما ذكرت أمامه خطة الغزو من الشمال، «لنحذر من أن تصطبغ أمواج الاطلسي بدماء الشبيبة الأمريكية والإنكليزية، أو تغص الشواطئ بما يتراكم عليها من أجسادهم».

كلما سمعت السيد تشرشل يتحمس لغزو أوروبا من الجنوب، ويصاب بالبرد إذا ذكر الغزو من الشمال، يدور بخلدي أن هنالك سببين يجعلانه يطري الأولى ويزهد في الثانية وينهى عنها، فهو ينظر إلى الأمور بعين السياسي ويرى أن الهجوم من الجنوب يبقي البلقان في حظيرة الغرب لئلا تبتلعه روسيا. وأنا كجندي أنظر إلى الأمور بعين العسكري الذي يريد أن يسحق خصمه بأقرب الطرق، والسبب الثاني هو اثبات صواب نظريته بأن الهجوم على غليبولي في الحرب العالمية لم يفشل لخطأ في الاستراتيجية انما الخطأ في طريقة التنفيذ وليبرر نفسه يريد أن تغزى أوروبا من الجنوب، وإذا نجحت العملية صحت خطته في الحرب الأولى وتخلص مما وجه إليه من انتقادات.

في قصر الفرسان القدماء في مالطا علق مستر تشرشل على صدري وصدر الجنرال ألكسندر وسامين خصيصا لنا بانعام من الملك فشكرناه على ذلك وعلق أحد الحضور بقوله إنه لو صدر مثل هذا الأنعام في القديم لخرج الفرسان بعرض عظيم ولجرت

حفلة مبارزة وسباق وانتهت بالشراب والعربدة.

دعيت بعد مدة وجيزة للذهاب إلى وهران لاستقبال الرئيس روزفلت ولما وصل على ظهر سفينة نقلناه بطائرة إلى قصر على الشاطئ التونسي يدعي الدار البيضاء.

وكان الرئيس يومئذ يتمتع بصحة جيدة وحالة من التفاؤل والثقة بالمستقبل فصرف هنالك يوما تفقد فيه ساحات المعارك التي خضناها في تلك الناحية. وكان يتحدث عن الحروب القديمة وتطرق إلى ذكر معركة زاما التي حدثت بين هنيبال والرومان وانتهينا إلى الاتفاق على أنها حدثت في إحدى تلك السهول وليس في منطقة جبلية لا تستطيع الفيلة أن تلعب دورًا مهمًا فيها. وكان حديث الرئيس عن التاريخ يضفي على الموقف جوًا من الأنس والسرور وبينما كنا نتحدث التفت إليّ بغتة وقال: «لو عوض أحد عليك رهانًا منذ سنة بأن الرئيس روزفلت سيأتي لنتناول الغداء على قارعة الطريق في تونس، فماذا كنت تفعل؟» وبالطبع ما لم يصدر ذلك السؤال عنه إلا تنويهًا بما يشعر به من السرور لما رافق خطواتنا من نجاح، ثم نوه بأنه يشعر بالخيبة لأن الانتخابات في الولايات المتحدة حدثت قبل غزو إفريقيا وانتقل إلى الحديث عن دارلان وبواسون وجيرو ثم إلى إيطاليا وموسوليني، واطلعني عما أصابه من قلق في أثناء معركة كسارين وتحدث أيضًا عما يقوم بينه وبين المستر تشرشل من خلافات في وجهة النظر، وأردف يقول: لا يمكننا قط أن نعثر على حليف أفضل وأصلب من ذلك «الثوري الرجعي» وبينما كان الأنس باديًا على الرئيس في حركاته وسكناته تقدم أحد أفراد البوليس السري وقال: يا

سيدي الرئيس أطلت المكوث هنا أكثر مما أرغب، يجب أن تنصرف الأن، فابتسم عندئذ وقال: ما اسعدك يا أيك بقلة الاسياد الذين يتحكمون في حركاتك وسكناتك.

عارض البوليس في تجول الرئيس في ساحات المعارك خوفًا عليه من طارئ يحدث، أما أنا فقد تأكدت أنه بعيد عن كل خطر لأنه لم يعلن عن زيارته إلى هذا المكان، ولو فعل لما كان مستبعدًا أن يترصده أحد ليفتك به.

لأنقذ الجنرال مارشال والأميرال كينغ من الرسميات المتحتمة عليهما وهما في حاشية الرئيس دعوتهما لضيافتي في دارتي الصغيرة، فسري عنهما. وفي أثناء الحديث أخبرني الأميرال كينغ أنه كان قد تم الاتفاق على تعيين قائد بريطاني للغزوة المتوقعة لفرنسا، ولكن لما ظهر للرئيس روزفلت أن معظم القوات التي ستقوم بها هي من الأمريكيين، أبلغ رئيس الوزراء أن الرأي العام الأمريكي يحتج إذا كانت الحملة أمريكية في معظمها ولكن قيادتها في يد إنكليزي، فلذلك هو لا يقبل إلا بتعيين قائد أمريكي، فقبل المستر تشرشل على مضض لأنه سبق ووعد ألن بروك بالقيادة. وبناء على ذلك فستصبح القيادة في البحر المتوسط بيد أحد القواد الإنكليز، لأن معظم الجنود هنا من البريطانيين. ومضى كنغ قائلًا: أن الرئيس ينوي أن يعين الجنرال مارشال قائدًا لغزو أوروبا، ولكنه هو (كينغ) عارض في ذلك لأن انشغال مارشال في القيادة بعيدًا عن الجبهة الداخلية في أمريكا وعن هيئة قيادة الحلفاء العليا تكون له نتائج وخيمة.

بدا من الجنرال مارشال صمت وحيرة بينما كان الأميرال كينغ يتكلم، وخصوصًا عندما ذكر أن غياب الجنرال مارشال عن المسرح الداخلي يهون إذا حللت أنت يا أيك مكانه. فتذكرت عندئذ ما لمح المستر تشرشل في مالطة إلى أنني سأغادر جبهة المتوسط بعد قليل إلى أمريكا.

لا بد من القول أن المستر تشرشل امتعض من فشله في تعيين صديقه بروك قائدًا للحملة، لكنه أبدى تفاؤله في تعيين الجنرال مارشال، لأن ذلك يؤكد لنا أن الحكومة الأمريكية سترمي بكل ثقلها وإمكانياتها في هذا المشروع، فيعجل ذلك في عملية القضاء على المحور. وأكد لي سروره بما تم في المتوسط من نتائج مفرحة، ولكن من الإنصاف أن يعين من الآن وصاعدًا قائد بريطاني في هذه الجبهة ما دامت أمريكا ستتسلم القيادة في العملية الكبرى عبر القنال. في صباح اليوم التالي لحديث كينغ إجتمعت بالرئيس روزفلت، فطرق موضوع الغزوة الكبرى، وأظهر بوضوح أن الرأي العام الأمريكي يعلق عليها أهمية عظيمة ثم أردف بأنه يصعب عليه الاستغناء عن الجنرال مارشال الذي يتمتع بشعبية عظيمة في أمريكا، هذا بالإضافة إلى ما يتحلى به من سداد رأي وختم بقوله: من السخف أن نلعب بالنار ونقوض أركان فريق تجلت مهارته في لعبة، لنقيم مكانه فريقًا نجهل إمكانياته فلم أزد ببنت شفة على القول بأني سأبذل كل جهدي في أي مكان ترغبه حكومتي.

في اليوم التالي غادرنا الرئيس وحاشيته إلى القاهرة بعد أن ترك لي كلمة بأن ألحق به إلى هنالك في ظرف يومين أو ثلاثة، ومعي

هيئة أركان حربي ما عدا ألكسندر الذي أصيب بالمرض. وبناء عليه ذهبنا إلى القاهرة لنشرح وجهة نظرنا في حملة البحر المتوسط.

في مثل هذه الاسفار كنت أصطحب معي نفرًا من حاشيتي لأوفر لهم بعض وسائل الترفيه بعد ما تعرضوا له من ضغط في العمل، وهذا ما فعلته في هذه الرحلة إلى القاهرة.

تبين في أثناء المؤتمر أن وجهات النظر متفقة بين جميع الفرقاء إلا على نقطة واحدة وهي أن الإنكليز قالوا بوجوب استغلال الحملة الإيطالية إلى أبعد مدى ولو أدى ذلك إلى تأخير غزو فرنسا من الشمال فرفض الأمريكيون البحث في أي شيء يؤدي إلى اضعاف أو تأخير الغزوة الكبرى، على أنهم مستعدون أن يتعاونوا مع الإنكليز ما أمكن في المتوسط، ولكن ليس على حساب ما هو أهم، وقال الإنكليز إنه إذا شدد الحلفاء النكير على إيطاليا ودعموا قواتهم بالرجال والمعدات كما يلزم فإن غزو فرنسا عبر القنال يصبح ثانويًا لأن ألمانيا قد تنهار تحت الضربات المسددة إليها من الجنوب.

ارتأى رئيس الوزراء وبعض مستشاريه العسكريين أن لا لزوم للتعرض لأخطار حملة برمائية ثانية طالما أن أقدامنا قد أصبحت ثابتة في البر الأوروبي وإذا واصلنا إرسال الجيوش والطائرات والمدرعات إلى إيطاليا فإننا نستطيع غزو يوغوسلافيا واحتلال كريت وجزر الدوديكانيز وبلاد اليونان دون أن نصاب بخسائر كبيرة فعارضناهم في ذلك لاعتقادنا أن طبيعة الأرض لا تساعد

على استعمال آلة حربنا مركزة إلا في الشمال، على أني لم أسمع مستر تشرشل يصرح بأنه عدل عن غزو فرنسا عبر القنال، لكنه شدد على القول أنه إذا اشتد ضغطنا على ألمانيا من الجنوب فإنها تضطر إلى سحب بعض فرقها من شواطئ الاطلسي، فتسهل علينا عملية الغزو فانحاز إليه بعض المؤتمرين من الأمريكيين.

كان القرار الذي قدمته هيئة أركان حرب جيوش الحلفاء إلى مؤتمر القاهرة أن حملة إيطاليا قد حققت الغاية التي أتت من أجلها، وذلك باحتلال مطار فوجيا ومرفأ نابولي، لأنه من المطار تستطيع طائراتنا ضرب أواسط أوروبا، وبواسطة مرفأ نابولي نستطيع تموين جيوشنا هنالك واتفقنا على أن الحملة الإيطالية تستطيع مؤازرة حملة الشمال إذا تمكنت من التقدم إلى سهول نهر البو وأخذت تهدد ألمانيا بالوصول إلى النمسا من الشمال الشرقي، والوصول إلى القطاع الجنوبي الشرقي من فرنسا عبر الجبال ولكن التقدم إلى البو بالقوات الموجودة لدينا في شتاء سنة 1943 و1944 مستحيل، وإن كان لا بد منه فيجب الانتظار إلى صيف سنة 1944 حين يصل المدد الكافي.

أبديت رأيًا صريحا بأنه يجب ألّا نتعهد بالقيام بأي نشاط في المتوسط على حساب غزو أوروبا من الشمال، لكن يجب أن نحتفظ بقوة كافية هنا تستطيع إشغال عدة فرق نازية. فوافق المؤتمر على رأيي هذا وواصلت السفن نقل الجنود وشحن المعدات إلى إنكلترا، على أن المستر تشرشل ألح علينا أن نحتل روما لا لشيء سوى الأثر السيكولوجي على شعوب الأمم المختلفة.

سنحت لي الفرصة أن أجتمع بالرئيس روزفلت مرة ثانية. فأنعم علي في حفلة رسمية بوسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ثم انزوينا جانبًا واستعرضنا الحوادث وتركز حديثه هذه المرة حول الترتيبات التي يجب أن نتخذها بعد الحرب وأبديت له رأيي بأن بعد استسلام ألمانيا مباشرة يجب أن يتخلى الجيش عن كل نشاط في أوروبا ويسلم البلاد إلى إدارة مدنية من الحلفاء. وعندما تعرض للشؤون الداخلية في أميركا قال بأنه مع شدة شوقه للرجوع إلى حياته العادية، يود أن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية ليستطيع أن يحقق ما يدور في مخيلته من ترتيبات وتنظيمات.

دعاني الجنرال مارشال في إحدى الأمسيات إلى مأدبة عشاء مع عدد من أعضاء المؤتمر وكان الطعام شهيًا مؤلفًا من ديوك حبش، وعندما انصرف الضيوف سمعت أحدهم يقول للجنرال مارشال «شكرًا جزيلًا على وليمة عيد الشكر هذه». فالتفت حولي مبغوتًا وقلت: «أرأيتم ما تفعله الحرب بالإنسان؟ لم يدر في خلدي قط أننا اليوم في عيد الشكر».

منحني القائد العام فرصة يومين، فاغتنمتها لزيارة الأقصر لأشاهد آثار مدينة مصر القديمة العظيمة، ومن هنالك ركبت جوًا إلى القدس وبيت لحم، فارتاحت نفسي لزيارة تلك الأمكنة التاريخية، وانشغلت بها عن العمليات الحربية والواجبات العسكرية.

الفَصلُ الحَادي عَشَر

إيطاليا

انتهي مؤتمر القاهرة ورجعت أنا إلى مقر قيادتي، بينما ذهب الرئيسان لعقد مؤتمر مع ستالين في طهران، ووجدت أن أهمية إفريقيا الشمالية قد تضاءلت بالنسبة للحرب في إيطاليا، لأننا استولينا على موانئ فيها تستطيع السفن أن تأتي إليها مباشرة دون أن تعرج على الموانئ الإفريقية. ورأيت أن أنقل مركز القيادة إلى ضاحية نابولي.

وصلني خبر وأنا في إيطاليا بأن الرئيس في طريقه إلى الولايات المتحدة سيمر بمنطقتنا، فذهبت إلى تونس لاستقباله وقبل أن يصل استلمت برقية من الجنرال مارشال تشير إلى أن الترتيبات الجديدة اقتضت نقلي من المتوسط لكنه لم يعط التفاصيل ولما وصل الرئيس روزفلت أخبرني مباشرة عندما جلست إلى جانبه في السيارة: «ما رأيك يا أيك، ستصبح القائد العام للغزوة الكبرى» ولأن الوقت لم يتسع للتحدث مطولًا عن القيادة الجديدة اكتفيت بالقول: «اني أقدر يا سيدي أهمية هذا المنصب وما يترتب عليه من قرارات، فأرجو الله أن يساعدني لأكون عند حسن ظنك».

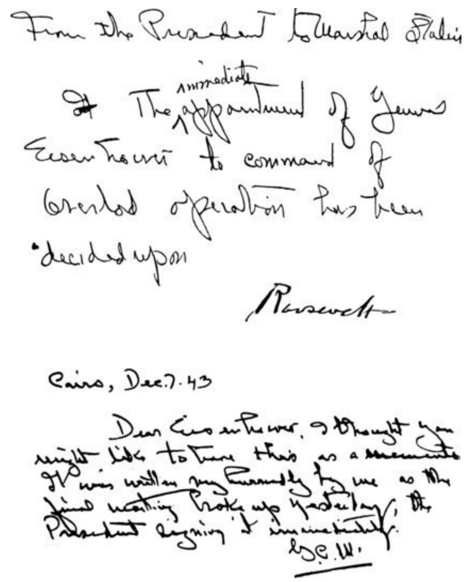

From the President to Marshal Stalin
The immediate appointment of General Eisenhower to command of Overlord operation has been decided upon
Roosevelt

Cairo, Dec. 7. 43
Dear Eisenhower, I thought you might like to have this as a memento. It was written very hurriedly by me as the final meeting broke up yesterday, the President signing it immediately.
G.C.M.

فيما تبقى من النهار أجرينا ترتيبات ليتمكن الرئيس من زيارة مالطة وصِقِلّية لكي ينعم على الأولى بوسام، وكان اللورد غورت يومئذ حاكمًا لها، لدفاعها المجيد ضد المحور في سنتي 1941 و1942 ويتفقد في الثانية مطارًا حديثًا أنشأه الأمريكيون، ولينعم على الجنرال كلارك بوسام وبالفعل قام بالمهمتين ولكن طائرته أصيبت ببعض الخلل في مالطا، فاضطر إلى أن يصرف ليلة هنالك فبدأ الاضطراب على وجوه حرسه من البوليس السري، بسبب هذا التأخر، أما هو فهمس في أذني أن ذلك العطل جاءه نعمه لأنه يود أن يصرف هذه الليلة قريبًا من المسرح الحربي وتمنى أن يحدث عطب آخر في إفريقيا ليصرف ليلة أخرى لأن البوليس السري لا يدعه يتأخر في هذه الأنحاء من دون سبب وكانت ملاحظتي أنني ظننت أن رئيس الولايات المتحدة مطلق الحرية في اختيار مكان وزمن سفره، فأجاب: «ما أصعب أن تناقش وتقنع حرسي من رجال البوليس».

سنحت الفرصة للرئيس أن يحدثني عن قيادتي الجديدة، فقال إنه

في البدء أفتكر بتعيين الجنرال مارشال قائدًا للغزوة الكبرى، على أن آخذ أنا مكانه في واشنطن، ولكن صعب عليه أن يتخلى عن وجود مارشال إلى قربه نظرًا لما يتمتع به من نفوذ في أمريكا، ونظرًا لما يصدر عنه من سداد رأي في هيئة أركان حرب الحلفاء العليا لأن وجود مارشال هنالك يجعله أن يشعر بأن كل قرار يتخذ هو عين الصواب. وأردف أن مارشال نفسه اقترح تعييني في المنصب الجديد، وإن الإنكليز الذين وافقوا على تعيين مارشال قائدًا للغزوة لم يعترضوا على تعييني وأضاف بأنه لم يصمم بعد على إعلان تعييني في منصبي الجديد ولذلك يفضل أن يبقى أمره سرًا حتى يختار هو الوقت لإعلانه.

والمسألة الثانية أنه لم يتوفق بعد لإيجاد اسم فخم يطلقه على مركزي، لأن ما يحيط بالاسم من أبهة له مفعول خاص في النفوس. وبعد أن رحل الرئيس حل الجنرال مارشال ضيفًا علينا وأخبرني بالشيء الذي لم يخرج عما أخبرني به الرئيس.

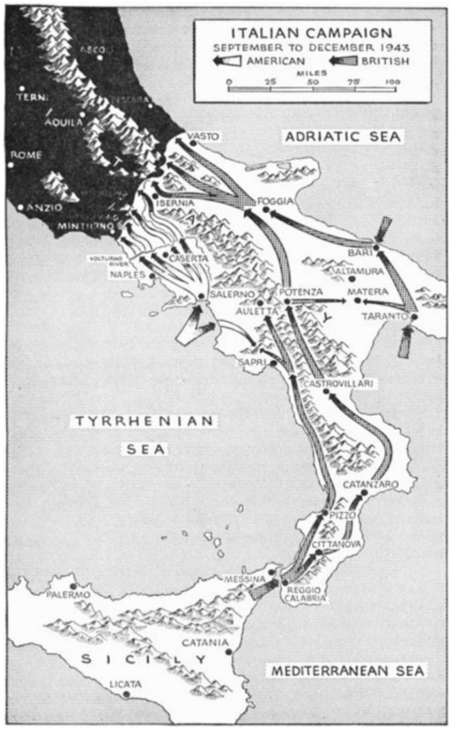

علمتنا الحملة في المتوسط أن الوحدة في القيادة والتعاون بين العناصر وتنسيق عمل قوي البر والبحر والجو، هذه الثلاث هي مفتاح النجاح في جميع الأعمال وعلى الأخص العمليات الحربية. وبناء على ذلك عندما بدأت اختار المساعدين لي في قيادتي الجديدة، وضعت نصب عيني انتقاء الأشخاص الذين يدركون أهمية الوحدة والتنسيق والتعاون، لكي لا أضطر إلى إجراء عملية تبديل وتعديل في القيادات في أثناء المعارك كما حدث لي في إفريقيا فسرني أن احصل على مارشال الجو تدر كمساعد لي في الغزوة الكبرى، لأنه استطاع في مسرح البحر المتوسط أن يكسب ثقة واحترام جميع الذين تعاونوا معه، وذلك لم ابدأ منه من مهارة في قيادة الجو وجرأة في تطبيق ما وضع من خطط وخولتني السلطات العليا أن اصطحب الجنرال سميث رئيسًا لأركان حربي أيضًا في إنكلترا، لأني لولاه لما استطعت تنظيم هيئة أركان

حربي لنتمكن من القيام بالعمليات الحربية العظمى وافتكرت في البدء أن اصطحب الجنرال الكسندر ليكون قائدًا للقوات الأمريكية التي ستشترك في الغزو وشعرت بالارتياح لذلك لما نشأ بيني وبينه من صلات وثيقة، ولأني أعجبت بما يتحلى به من الصفات العسكرية المحترمة، واعتبرته جندي بريطانيا الأول، ولأن الأميريين جميعهم أحبوه وأعجبوا به.

كان قرار المستر تشرشل الأخير أن يبقى ألكسندر قائدًا لحملة إيطاليا التي يعتقد بمعظم تأثيرها على عملية الغزوة الكبرى والتي توقع أن يحصل بعضها على نتائج حاسمة. وبناء عليه عين الجنرال مونتغمري قائدًا للقوات البريطانية في العملية الجديدة فقبلت، ويمتاز الجنرال مونتغمري بصفتين مهمتين لا يعلو عليه بهما أحد. أولاهما إنه يستطيع أن يثير حماس رجاله ويكسب إخلاصهم وإعجابهم به أو ثانيتهما مقدرته الفنية في التحضير والإدارة للمعارك، لأنه يدرس مواقع العدو وإمكانياته درسًا جيدًا حتى يستطيع بعد ذلك أن ينقض عليه بسلاح المدفعية والمصفحات والطائرات والمشيئة ليضمن النصر المحقق.

سرني أيضا أن احصل على خدمات الأميرال رمزي كرئيس للقوات البحرية لأن كاننغهام غادرنا ليصبح القائد العام للبحرية الإنكليزية يتحلى رمزي بالشجاعة وسعة الحيلة والنشاط الهائل والإخلاص في العمل وسهولة المعشر فلا عجب إذ ارتاحت نفسي إليه.

سمعنا بأن الرئيس روزفلت سيلقي خطابًا مهمًا في ليلة عيد

الميلاد، فأصغينا في الوقت المعين، وإذا به يعلن تعييني قائدًا عامًا للغزوة الكبرى، ويذكر اللقب الذي أطلقه علي وهو: «القائد الأعلى لحملة قوى الحلفاء» فبدا اللقب مهيبًا ومؤثرًا في النفس، فعلق أحد مساعدي على ذلك بأن مهمته ستكون في الأسبوع القادم طبع ونشر الأوراق والبطاقات التي تحمل اسمي الفخم الجديد.

عندما اقترب اليوم الذي سأغادر فيه المتوسط إلى لندن شعرت بالغم والكدر لأني سأفارق ضباطًا وجنودًا نشأت بيني وبينهم صلات ودية. ولما اتجهت أفكاري إلى ما سيحدث، عرفت أن الجنرال ولسن الذي كان قائدًا للقوات البريطانية سيصبح القائد العام لحملة إيطاليا ويحل مكاني وهنا فكرت في مَن مِن القواد الأمريكيين يجب أن يعين مساعدًا له بالإضافة إلى قيادته الجيش الأمريكي في هذا المسرح، لأن الناحية الإدارية المتعلقة بقوات ضخمة تواجه مشكلات التموين والترقية، والعقوبات وتعيين القواد والمراسلات بالقيادة العليا وما أشبه. وهنا بدأت أفكر بما يلزمنا من قواد أمريكيين في بريطانيا وفي إيطاليا. وكنت متفقا مع الجنرال مارشال على أن يعين كل رجل في المكان الذي يناسبه ليقوم بأكبر قسط ممكن في متابعة الحرب، عندئذ دونت ما جال في خاطري وأرسلت في 23 كانون الأول سنة 1943 هذا التحرير:

«لا أرى من ضرورة لتعيين قواد للجيوش البريطانية والأمريكية في أول مرحلة، لأنه قد يؤخر أجراء مثل هذا التعاون المطلوب بين قوات البر والجو. وعندما يصبح تعيين القواد ضروريًا، أود تعيين القائد الذي اشترك في المعارك وذاق طعم الحرب الفعلية.

ولا أرى من هذه الناحية أفضل من تعيين الجنرال برادلي قائدًا عامًا للجيوش الأمريكية في الغزوة الكبرى على أن يكون الجنرال باتون قائدًا لاحد الجيوش والجنرال همدجز سمبسن قائد لجيش آخر، وعلى الأخص يجب أن يعين برادلي قائدًا أعلى للقوات الأمريكية عند بدء الهجوم وأتمنى أن يعين الجنرال دفرس قائدًا للقوات الأمريكية في المتوسط، وأن يبقى الجنرال كلارك في الاحتياط ليقود الحملة التي ستقوم بغزو فرنسا من الجنوب».

نشأ احترامي لمواهب برادلي العسكرية عندما كنت لا أزال في أمريكا، وما زالت مقدرته في البحر المتوسط بادية أمامي حتى ارتفع تقديري له. وفي إفريقيا عينته في قسم دعوناه «عيون وآذان» وأعطيته سلطة التجول حيثما شاء بين الجنود في المنطقة الأمريكية، ليطلعني على كل ما يسمعه ويراقبه، وذلك ليس لما يربطني به من صداقة، بل لعلمي أنه شديد الملاحظة، لبق في تصرفاته، لطيف المعاملة ثم عينته مساعدًا لقائد الفيلق الثاني في طبسا، ثم أصبح قائدًا للفيلق وأظهر حنكة في قيادته لإصابة حكمه في الرجال ومواهبهم ولعدله في معاملتهم، هذا بالإضافة إلى رصانته ورباطة جأشه، فأحببت أن أجدد صلاته بي في الغزوة الكبرى.

خوفًا من أن يحدث احتكاك وتحاسد بين برادلي وباتون إذا ما عينت الأول قائدًا عامًا للجيوش، والثاني قائد جيش فقط، دعوت باتون وأطلعته على ما أنوي فعله وأخبرته بأني أقدر مواهبه كقائد الجيش وقد يكون في ذلك أعظم جندي في أمريكا، وإنما المصلحة تقضي بتعيين برادلي قائدًا عامًا. فأدرك غايتي وقال إنه لا يطمع

في وظيفة أعلى من قيادة جيش وأبدى ارتياحه إلى ذلك وبعد حصولي على هذين القائدين القديرين المجربين للغزوة الكبرى رأيت أنني أستطيع الاستغناء عن الجنرال دفرس الذي كان قائدا لقوات الأمريكيين في بريطانيا. وبما أنه على جانب عظيم من المقدرة الإدارية، ولعدم تمرسه في المعارك رأيت أن يعين قائدًا أعلى للقوات الأمريكية في المتوسط، على أن يبقى كلارك القائد العملي للجيش.

اتفقنا ونحن في القاهرة على أن يعين الجنرال سباتس قائدًا عامًا للقاذفات الأمريكية في كل من جبهة المتوسط وجبهة بريطانيا، ولما كان المجهود الأكبر ضد ألمانيا من ذلك الحين فصاعدًا سيصبح في بريطانيا، فقد رغبت في أن أصطحبه معي إلى هنالك. وأجرينا ترتيبات لكي يذهب الجنرال إيكر من بريطانيا إلى المتوسط ليصبح قائدًا عامًا للقوى الجوية فيه وعينا بدلًا منه الجنرال دولتل كرئيس لقوات الجو الأمريكية الثامنة.

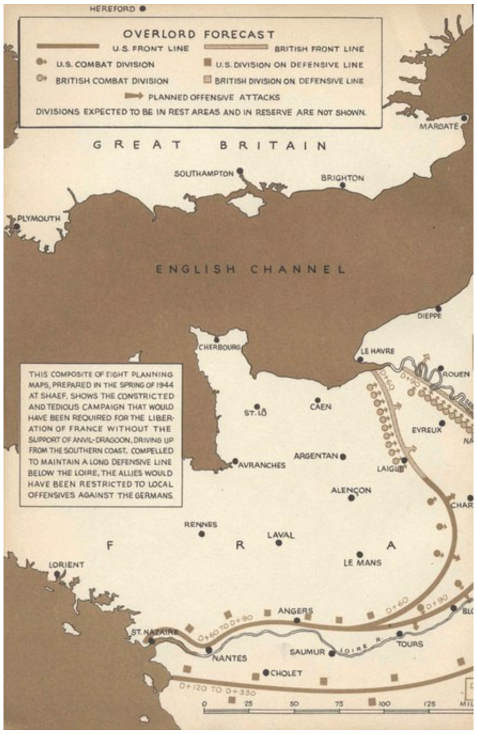

<u>التوزيع الرئيسي لقوات الحلفاء</u>

بينما كنت أجري كل تلك التغييرات والترتيبات لأغادر إفريقيا إلى إنكلترا في العاشر من شهر كانون الثاني تسلمت تلغرافًا من الجنرال مارشال يدعوني فيه سريعًا إلى واشنطن لأجتمع به وبالرئيس روزفلت مدة قصيرة قبل أن أنتقل إلى مركزي الجديد فاحتججت على ذلك، لأن الوقت لا يسمح لي، وطالبت أن تؤجل زيارتي إلى ما بعد مكوثي مدة في لندن واطلاعي على الأحوال هنالك. ولكن الجنرال مارشال أبي قائلًا: «عين من تشاء محلك في إدارة الحرب لمدة عشرين دقيقة وأسرع إلى واشنطن». والحقيقة أن مركزي كان تابعًا لسلطة القيادة المشتركة للحلفاء وليس للجنرال مارشال وحده ومع كل هذا رأيت أن وراء دعوة الجنرال مارشال لي أمر مهم فأخبرت الجانب البريطاني عما جرى، وذهبت إلى الولايات المتحدة، ورجعت بعد أسبوع إلى

إفريقيا لأنجز القضية المتعلقة بتعيين الجنرال دفرس قائدًا عامًا للقوات الأمريكية هنالك.

رأيت أن أرسل أحد مساعدي إلى لندن ليحمل بعض التعليمات والتوجيهات التي يجب أن تتخذ هنالك قبل وصولي. ولحسن الحظ وجدت أن الجنرال مونتغومري يرغب في الذهاب إلى إنكلترا في الحال فأرسلته. وقبل أن يذهب دعوته وأخبرته أنه قبل بضعة أسابيع أتاني الجنرال وليم تشيمبر من القواد الأمريكيين يحمل مخططًا لعملية الغزو عبر القنال، وبأني اعترضت فنيًا عليه، لأنه يقول بإجراء هجوم على جبهة ضيقة بقوة لا تزيد على ثلاث فرق، على أن تكون خمس فرق فقط في الطريق عندما يبدأ الهجوم. فمثل هذه العملية الضيقة لا يسمح باحتلال وسريع لمدينة شاربورغ ولا يساعد على بناء قوة كبيرة تستطيع شق طريقها بسرعة في فرنسا وكلفته أن يقوم مقامي في لندن ويعمل على تغيير المخطط الذي لم يرضني.

إبان انشغالي بتسليم القيادة إلى خلفي أصيب المستر تشرشل وهو في تونس بمرض شديد، ولما بدا عليه بعض التحسن سيسمح له بأن يذهب للإقامة في مراكش بضعة أسابيع للنقاهة فأرسل يطلبني لأجتمع به، فذهبت في الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول، ووجدته نشيطًا في تفكيره قويًا في معنوياته، رغم ما يتهدد صحته من مرض ورأيت أن الأمر الذي يشغله كثيرًا هو وجوب تقوية هجوم الحلفاء في إيطاليا. ورجاني أن أبقي الجنرال سميث في جبهة المتوسط، لكني لم أوافقه على ذلك، لأن العلاقة بين القائد ورئيس مساعديه هي شيء شخصي وتتغير بتغيير الأشخاص.

وإذا كان سميث يناسبني فقد لا يناسب خلفي ولا أرى حكمة في أن أحرم من خدماته، ولا يستفيد منها رئيسه الجديد. هذا ناهيك عن أن الجنرال ولسن قد يكون عنده شخص آخر يعينه رئيسًا لأركان حربه، ولا يقبل أن يفرض عليه مساعد آخر. وأخيرًا شدد علي أن أبذل جهدي في سبيل تقوية الهجوم على إيطاليا لاحتلالها بأسرع وقت ثم ودعته متمنيًا له الشفاء العاجل وبعد أن ودعت الذين ساعدوني في إفريقيا وإيطاليا، وزعت منشورًا على الجنود متمنيًا أن التقي بهم مرة ثانية في قلب وطن العدو.

قبل أن أختم هذا الفصل أود أن أذكر شيئًا عن رحلتي إلى أمريكا. ففي الطريق لم يحدث ما يعكر صفو الرحلة سوى بعض طلقات من مدفع مضاد وجهته بطارية برتغالية على طائراتنا من جزر الأزور، وعندما وصلت اجتمعت بهيئة أركان حرب وزارة الدفاع ومن ثم بالرئيس روزفلت الذي كان يعاني مرض الإنفلونزا. ولكنه احتفظ بمرحه وأبقاني إلى جانبه أكثر من ساعة يبحث معي مئات القضايا والعمليات، ما مضى وما سيأتي فأدهشني بسعة اطلاعه على جغرافية العالم، لأن البقع المجهولة في زوايا الكون البعيدة ترتسم بكل دقة على خارطة عقله ثم أوجز لي ما ينوي أن يجريه من ترتيبات في ألمانيا بعد احتلالها وبكل وضوح أخبرني بأنه يريد أن يحتفظ بالجزء الشمالي الغربي من ألمانيا لكي تحتله القوات الأمريكية وأصغى جيدًا عندما احتججت على تقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال، لما يعتري ذلك من مصاعب في التفاهم مع القيادات المختلفة التابعة لأربعة أمم وألححت أن تسلم المناطق المحتلة إلى سلطات مدنية. فبدا أنه تأثر بما قلت، ولكنه لم يفه بما

يمكن أن يصبح عهدًا عليه. إلا أن الرئيس لم يحدثني بشيء عن مخططه المتعلق بسياسة أمريكا الداخلية، وهكذا فعل ابنه إليوث فتجنب ذكر سياسة أمريكا الداخلية وإنما ذكر أنه الوحيد الذي خرج على تقاليد العائلة وبأنه رجعي في تفكيره.

وقبل أن أودعه قلت: من كل قلبي أتمنى لك شفاء سريعًا مما تعاني فأجاب مباشرة: أنني لم أشعر منذ سنين بالقوة التي أشعر بها الآن. ولكني في الفراش لأن الأطباء أشاروا علي بذلك خوفًا من نكسة، وخرجت ولم تقع عيني عليه أبدًا بعد تلك الزيارة.

تسنى لي وأنا في زيارتي القصيرة أن أذهب بصحبة زوجتي لزيارة ابننا وبعد ذلك قمنا بزيارة خاطفة لوالدتي وأخوتي، وزيارة آل زوجتي، فأنعشتنا تلك الزيارات العائلية. وفي تلك الساعة كنت أجهل الوقت الذي يمر قبل أن أتمكن من المجيء إلى أميركا ثانية كما كنت أجهل متى تضع الحرب أوزارها.

الفَصلُ الثّانِي عَشر
تخطيط الغزوة الكبرى

وصلت لندن في الخامس عشر من شهر كانون الثاني سنة 1944 لأقوم بتنظيم وإعداد أعظم قوة استطاعت الدولتان المتحالفتان حشده. وبدأت في تحضير الغزوة التي لو قوبلت بالغزوة التي سبقتها منذ سنة ونصف لرأينا أن النظام سيطر فيها بدل الفوضى، والرجاء والثقة حلا محل الخوف والشك وأحاط بي معاوني مارشال الجو السر آرثر تدر والجنرال عمر برادلي والجنرال السير برنارد مونتغمري، والجنرال سباتس والأميرال السير برترام رمزي وكلهم قد تعود الحرب وخبر المعارك وتمرس في القيادة، وعرف قيمة إدماج العناصر المختلفة لتصبح وحدة فعالة وعينا مارشال الجو السير ترافورد ملوري الذي اكتسب خبرة واسعة في معارك الجو التي حدثت في سماء بريطانيا قائدًا عامًا لسلاح الحلفاء الجوي واطلقنا عليه لقب «رئيس القيادة الجوية». لكنه لم يتمرن على العمليات الجوية وهي تعمل متعاونة مع القوات البرية وعزمت على اتخاذ مركز قيادتي في ضواحي العاصمة البريطانية رغم كل احتجاج، ولما فعلت أطلقت عليه اسم «المركز الأعلى لحملة قوات الحلفاء» واختصرناه بلفظة «شاف».

قسم من (182000) أسيرا الماني أسروا في منطقة الرور

اكتسب فريقنا بعد مدة وجيزة عضوًا مهمًا بوصول جورج باتون الذي طلبت أنا نقله من المتوسط وكثيرًا ما صرف الأمسيات معي في مكتبي نسهر معًا إلى سماعات الصباح، وذلك لأن حديثه كان يثير في الحماس والإلهام. وفي إحدى الجلسات أبديت له ملاحظة بأن يتجنب المؤتمرات الصحفية والبيانات الشعبية لعلمي أنه عبقري في إعطاء التصاريح الطنانة التي لا تفشل في إثارة الرعب والهلع في سامعيه. وقد تمرن طويلًا على إنشاء ملكة فيه تساعده على صعق أصدقائه ومعاشريه بألفاظ تنفجر كالقنابل. وفي خطاب وجهه إلى إحدى الفرق الأمريكية بعد وصوله المملكة المتحدة بقليل سبب أكثر من موجة استياء ودهشة وتعليقات صحفية.

فأفهمته أني لا أستطيع أن أحتفظ به لكي يقوم بدور فعال في الحرب إلا إذا ساعدني باحتفاظه بالسكوت فوعدني بذلك.

رأينا من البدء وضع خطة طويلة المدى نعمل بموجبها في غزونا للقارة الأوروبية ذلك لأن الأوامر التي صدرت إلينا من مركز القيادة المشتركة كانت بسيطة ومختصرة، تطلب إلينا النزول على

شواطئ فرنسا لنعمل على تدمير الجيش الألماني وما يلي أهم ما جاء في الأمر. «إنكم ستعملون على غزو أوروبا بالتعاون مع حلفائنا. وعليكم أن تقوموا بعمليات تهدف إلى التغلغل في قلب ألمانيا وتدمير قواها المسلحة». ففكرة تدمير قوى العدو كانت أبدأ المبدأ الذي يقود خطواتنا. أما النقط الجغرافية التي اعتبرناها قلب ألمانيا بالنسبة لأهميتها للعدو فهي الأمكنة التي تجهزه بالأعتدة والمؤن وليس من نقطة في غرب ألمانيا أهم من وادي الرور المركز الرئيسي لصناعة الذخائر وتموين آلة الحرب الألمانية بالأسلحة والنقطة الثانية هي حوض السار.

من الطرق الطبيعية لاجتياز نهر الرين بقوات كبيرة واحدة تقع شمالي وادي الرور، وأخرى تمر في منطقة فرانكفورت، وأما الثالثة ففي الجنوب في منطقة ستراسبورغ. وكان الطريق الشمالي في نظرنا هو الأنسب، وذلك الثلاثة أسباب رئيسية، أولها أن طبيعة الأرض الواقعة شمالي وادي الرور قرب نهر الرين تصلح جدًا للأعمال الهجومية. وثانيها أننا إذا سرنا فيها نصل حوض الرور مباشرة بعد قطعنا لنهر الرين، وبذلك نحرم الجيش الألماني من أهم معامل تسلحه والسبب الثالث هو أن هذه الطريق الشمالية تقع قريبًا من البحر. وإذا احتللنا مرفأ أنتورب الذي هو من أعظم مرافئ أوروبا الغربية تستطيع سفننا أن توصل المؤن والمعدات بسهولة أكثر ولا يخفى أن القائد يهتم كثيرًا بطرق المواصلات وسرعة التموين.

كان الهدف في زحفنا على ألمانيا هو الاشتباك بمعظم الجيش الألماني والعمل على تحطيمه وإذا اكتفينا باختراق الجبهة

والتغلغل في البلاد في خط ضيق فلن نصل إلى ذلك الهدف فرأينا أن القيادة الألمانية ستركز معظم قواتها في الأمكنة الضرورية لبقائها. وعزمنا على وضع خطة لشن هجوم على تلك الأمكنة بجميع قواتنا البرية والجوية وضربها بشدة حتى نبيد جيش العدو.

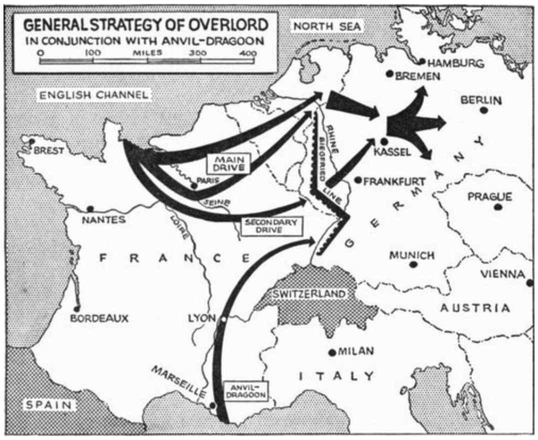

<u>الاستراتيجية العامة للغزوة الكبرى</u>

قر قرارنا أن نقوم بمهاجمة ألمانيا على جبهة عريضة ما أمكن، على أن تتركز أضخم قواتنا الضاربة على الميسرة مكتسحة أمامها جيش العدو ومطهرة شواطئ فرنسا الشمالية وشواطئ بلجيكا لأننا بذلك نستولي على الموانئ المهمة التموين جيوشنا، ونقضي على ما يمكن أن ينشئه العدو من قواعد لأسلحة سرية يعتزم أن يضرب بها بريطانيا، حسب ما تواتر من إخباريات وردت من عملائنا التابعين لقلم الاستخبارات. هذا بالإضافة إلى توجيه قوات ضاربة أخرى لاحتلال وادي السمار الغني بمنتوجات الفحم والحديد الضروريين للصناعة الحربية. فرسمنا خطة على أن تلتقي ميمنتنا هنالك بجيش الحلفاء الذي سيغزو الشواطئ الجنوبية من فرنسا ويزحف شمالًا في وادي نهر الرون، فيؤدي ذلك الاتصال بين أجزاء جيوشنا إلى تحرير فرنسا، ويبقى أمامنا خط مواصلات عظيم يستطيع أن يتلقى بسهولة وصول الجنود والمعدات الأمريكية الضخمة التي ستصل باطراد هذا ناهيك عن حصره لكل جنود الألمان الذين يبقون غربي نقطة الاتصال، فتحرم ألمانيا من جهودهم في الحرب. فإذا

حالف التوفيق هذه الخطة فإننا نتقدم إلى الأمام لسحق العدو الذي سيتمركز على نهر الرين وخط سيغفريد ليحمي حدوده.

توقعنا في شهر أيار سنة 1944 أن يكون لدينا في فرنسا ثمانية وستون فرقة قبل أن تصل إلى نهر الرين. هذا بالإضافة إلى الفرق التي ستزحف من جنوبي فرنسا، فرأينا أن طبيعة الأرض والمواصلات لا تساعد على استعمال أكثر من خمس وثلاثين فرقة تزحف من أميان شرقا إلى لياج في بلجيكا فإلى وادي الرور في ألمانيا وما يبقى يوزع على الجبهة الممتدة من البلجيك شمالًا إلى سويسرا جنوبًا على أن يتمركز الجزء الأعظم في الميمنة المتجهة إلى اليسار ونبذل الجهد في أن نشتبك بجيوش العدو غربي الرين ونبيدها، وذلك لقصر خطوط مواصلاتنا لأنه إذا تمكن العدو من الانسحاب إلى ما وراء الرين والاتجاه شرقًا، نتجت عن ذلك عقبتان: العقبة الأولى هي نهر الرين لأن أمر اجتيازه مشكلة في ذاتها. والعقبة الثانية طول خطوط المواصلات علينا بعد البحث والتعديل والتغيير تم الاتفاق على الخطة الآتية:

أولًا: النزول على شاطئ نورماندي في فرنسا.

ثانيًا: تجميع قواتنا ومواردنا لكي نتمكن من خوض معركة حاسمة في منطقة نورماندي وبريتاني، ومن ثم نشق خطوط العدو وننطلق إلى ما وراء الطوق الذي يضر به حولنا على أن تجري عمليات النزول في المرحلتين الأوليين تحت قيادة مونتغمري الفنية.

ثالثًا: مطاردة العدو على جبهة عريضة بمجموعتين من الجيوش،

وتركيز معظم القوة في الميسرة لتستطيع الاستيلاء على المرافئ، والوصول إلى حدود ألمانيا وتهديد وادي الرور، بينما تسير ميمنتنا نحو الشرق الجنوبي لتتصل بالقوات الزاحفة من جنوبي فرنسا.

رابعًا: تجميع الجنود والمعدات على حدود ألمانيا الغربية بعد أن تقع موانئ بلجيكا وفرنسا في أيدينا، والقيام بهجوم عام مركز، تشترك فيه قوات المشاة والمصفحات والمدفعية والطائرات لتعمل على إبادة قوات ألمانيا غربي نهر الرين. وفي الوقت نفسه تعمل على احتلال رؤوس جسور عبر النهر.

خامسًا: شن هجوم مزدوج كفكي كماشة على حوض الرور من أجل تطويق وإبادة القوات العظيمة التي حشدتها ألمانيا لحماية تلك المنطقة الحساسة ومن ثم احتلال جميع الأراضي الألمانية وإنهاء الحرب.

إن هذه الخطة العامة التي رسمها قادة الحلفاء قبل يوم الغزو بقيت رائدًا لنا كل مدة المعركة، منذ بدء الهجوم حتى استسلم العدو.

عندما وصلت القضية إلى تعيين الوقت الذي يبدأ الهجوم فيه، بدأت المعضلة لأن ذلك يتوقف على الطقس وما يحدث من عواصف وهيجان قد يؤخر العملية.

ففي مؤتمر طهران وعد كل من الرئيس روزفلت ورئيس وزراء بريطانيا المستر تشرشل بأن يبدأ الهجوم في أيار مع إمكانية التأجيل بضعة أيام إذا اضطرتنا الأحوال الطبيعية إلى ذلك. وجدنا نحن القادة العسكريون أنه من الضروري أن نبدأ عملية الغزو

بأقرب ما أمكن من الوقت، لعدة أسباب: أولها أننا في البدء باكرًا نتيح لأنفسنا فصلًا طويلًا من السنة تصلح فيه الحملات العسكرية الكبرى على مدى واسع قبل حلول فصل الشتاء.

ثانيًا: نعطي بذلك أقل فرصة للألمان لأن يقووا خطوط دفاعهم الإحباط الغزو فبناء على ذلك اخترنا أوائل أيار لأن في ذلك الحين يرتفع المد في القنال الإنكليزي ويمكن قوارب النزول من الوصول بسهولة إلى البر الفرنسي دون أن تتعرض للاصطدام بصخور الشاطئ ثالثًا: لأنه بدأت الأخبار تصلنا عن إنشاء الألمان لأسلحة سرية بعيدة المدى ذات قوة تدميرية هائلة، فكلما أسرعنا بالغزو منعنا الألمان من استعمال ذلك السلاح.

بدأ يصل في الربيع عدد من الضباط من واشنطن إلى مركز قيادتي ليطلعني على آخر المعلومات التي تتناول آخر ما توصل إليه الألمان من إنشاء أسلحة جديدة، بما فيها أسلحة جرثومية وذرية. وكانت هذه التقارير سرية جدًا تصلني شفهيًا. ومما أخبرني أحدهم أن العلماء الأمريكيين قد أحرزوا تقدمًا ملحوظًا في هذين النوعين من السلاح ومما وصلوا إليه من معلومات استنتجوا عن طريق التخمين العلمي إلى أية درجة توصل الألمان، وقد ساعدت المعلومات الواردة من عملائنا في أوروبا تدعيم المعلومات الواردة من أمريكا ثم أن الصور التي التقطتها طائراتنا أشارت إلى أن العدو يجري بعض إنشاءات لقواعد غريبة في شكلها قد تكون هي نفسها السلاح الجديد.

عملت أمريكا وبريطانيا على تعبئة أكبر الأدمغة العلمية في

البلدين لتساعدنا على تقدير آخر ما توصل إليه الألمان والأمكنة التي يتخذونها مراكز لبحوثهم واكتشافاتهم، لكي نوجه قاذفاتنا لتضرب وتدمر كل بقعة قد ينشأ الخطر منها علينا لأن عملاءنا في ألمانيا لم يستطيعوا في البدء أن يعرفوا أي شيء عن الأسلحة الجديدة ولا عن أمكنة صنعها. ولكن قبل أن نبدأ الغزو أرسل الخبراء من علمائنا تقديرات دقيقة عن مكان وصفات وإمكانيات الأسلحة الألمانية الجديدة.

لما اقترب أوائل شهر أيار وجدنا أنفسنا مضطرين إلى تأخير الغزوة إلى أوائل حزيران، وذلك لأن الخطة التي وضعها الجنرال فريدريك مورغان تقضي ببدء الغزو بثلاث فرق. أما أنا فرأيت أن جبهة الغزو يجب أن تكون عريضة ويلزمها خمس فرق وبدا أن الاستعداد لجعل الغزو يبدأ بخمس فرق يتطلب شهرًا كاملًا. وثانيًا لأن عملية الغزو لا تكون ناجحة إلا باستعمال أكبر عدد من القاذفات لندمر خطوط الدفاع الأولية، وتفاجئ ما يرسله العدو من إمدادات بضربات مبيدة وتقصف خطوط مواصلاته لأن على ذلك يتوقف الكثير. ففي شهر أيار تكون الغيوم كثيفة، تحول دون استعمال القاذفات في الأغراض التي ذكرتها. فالأنسب إذن تأجيل الغزو إلى أن يصبح الطقس أكثر صفاء، ويتيح الفرصة أمام طيراننا الضخم أن يستعمل نيرانه ضد العدو إلى أقصى حد.

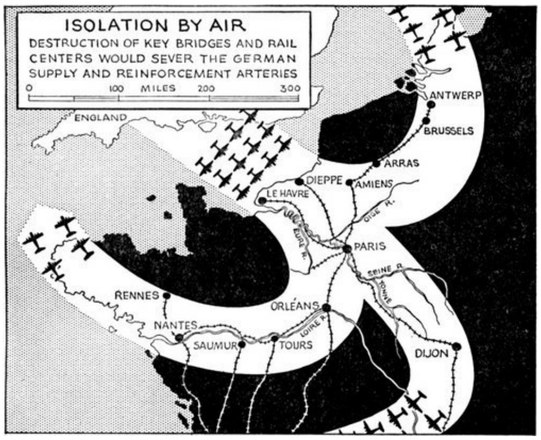

العزل الجوي

وبالإضافة إلى وضعنا الخطط للقيام بهجومنا وكيفية تنفيذه صممنا على اتخاذ الإجراءات التي تخدع العدو، وذلك بإيهامه بأننا سننزل في الشاطئ الذي اتفقنا ألّا ننزل فيه فبالطبع أن أهون السبل لغزو فرنسا من بريطانيا هو الهجوم على أقرب الشواطئ. أولًا لقصر المسافة. وثانيًا لصلاحية الموانئ والشواطئ للنزول. وإن العدو قد أدرك ذلك فقوي تحصيناته هنالك وجمع أكثر قواته، حتى أصبح نجاح أي هجوم مستحيلًا دون أن نمنى بخسائر فادحة قد تشل الغزوة، وتقضي عليها قبل أن تتبلور فاخترنا النزول على شواطئ نورماندي وبريتاني، وعملنا على إيهامهم بالنزول في منطقة كاليه ودانكرك. وذلك بإيصال معلومات خاطئة لعملائه عندنا وتسهيل الأمر عليهم لأن يبعثوا بها إلى مركز القيادة الألمانية.

كان قد سبق ووضعت أنا والجنرال مارشال خطة لبدء غزو فرنسا من الجنوب عندما نبدأ بغزونا لها من الشمال. ولكن وجدنا منذ شهر شباط إنه لن يصبح لدينا الجيش والمعدات الكافيين

لعملية الغزو في الوقت المعين. لأن الولايات المتحدة باشرت بعمليات واسعة النطاق في الشرق الأقصى ضد اليابان، مما يعمل على تأخير السفن والطائرات من الوصول إلى المتوسط. فكتب الجنرال مونتغمري في 21 شباط يطلب إلى حذف عملية الغزو من الجنوب، وتركيز كل ما لدينا من قوات في الغزوة الكبري فأبيت عليه ذلك ولكن رأينا أن نؤجل عملية الجنوب إلى ما بعد عملية الشمال، لأن الظروف قد تساعدنا على إرسال بعض سفن النقل من القنال إلى المتوسط وعلى هذا تم الاتفاق.

قامت في وجه استعمال قاذفاتنا مشكلة سياسية حساسة، لأن النقط الحساسة في مواصلات العدو في فرنسا تقع ضمن مناطق كثيفة السكان وإذا صممنا على تنفيذ خطتنا فإننا نقضي على حياة أكثر من ثمانين ألف فرنسي على أقل تقدير وأي قائد يعلم أن مثل هذا العدد الضخم من الأبرياء سيذهب ضحية عملية هجومية ضد عدو يكرهه الطرفان، ويقدم عليها. وقد بعث المستر تشرشل إليّ برسالة بهذا الخصوص يرجوني فيها ألّا ألجأ إلى أي نشاط يؤدي إلى الهلاك عدد كبير من الفرنسيين، ليس ذلك لمبادئ إنسانية فحسب بل لأن الشعب الفرنسي يجب أن يعامل معاملة الصديق لنكتسب وده وإخلاصه في إبان الحرب وما بعدها.

شككت أنا وقواد سلاح الجو التابعين لقيادتي في صحة تقدير الإصابات الآنفة الذكر لاعتقادنا أن باستطاعتنا تدمير مواصلات العدو بتضحيات أقل بكثير لا سيما إذا ما استعملنا أجهزة الإذاعة عندنا ووزعنا المنشورات بواسطة الطائرات إلى السكان لكي يبتعدوا عن مناطق الخطر قبل وقوع الغارات. والذي جعلنا نتأكد

من إيصال المناشير إلى السكان في وقت قصير قبل الغارات هو سيطرة قواتنا الجوية على سماء العدو، حتى أصبح لا يستطيع الصمود في وجه مقاتلاتنا. واغتنمنا فرصة توجيه إذاعاتنا وتوزيع منشوراتنا لخدع العدو فكررنا توجيهها إلى سكان منطقة كاليه كما كررنا غاراتنا بقوات هائلة لنجعل العدو يعتقد أن هذه المنطقة هي هدف غزوتنا.

طال النقاش حول الغارات وما ينتج عنها من إصابات، حتى اقتنع رئيس الوزراء بصحة خطتنا ووافق على تنفيذها لا سيما وأنه رأى الجنرال بيير كونغ قائد القوات الفرنسية يوافق عليها. ولما تمت التجربة وحدثت الغارات تبين أن وجهة نظرنا كانت مصيبة، وزيادة على ذلك تقبلت الأمة بالفرنسية ما كتب عليها من تضحيات قليلة دون أن تبطن حقد الحلفاء. وبالإضافة إلى غاراتنا على مواصلات العدو في فرنسا واصلنا دق منشآت النفط والمعامل في ألمانيا نفسها. كما واصلت طائراتنا تحدي سلاح الجو الألماني بأن يشترك في معارك معها بقصد إنهاكه وإنقاص فعاليته عندما يبدأ الهجوم.

عمل قادة سلاح الجو وسلاح المشاة على وضع الترتيبات لتعاون السلاحين معًا. وألغينا القول: «مساندة قوى البر» وأحللنا محلها عبارة «القوى البر جوية» لأن تداخل القوتين في قوة واحدة هو صفة فنية لكل معركة حديثة، إذ يتوجب على القوات البرية أن تحتل قواعد للطائرات قريبة من خط القتال، حتى تستطيع الطائرات أن تقدم الحماية عندما تزحف الأولى على العدو. وقد جرى في كثير من الأوقات الحرجة أن اشتركت طائراتنا بما يزيد

على العشرة ألاف غارة في اليوم الواحد لتساهم بمعركة برية.

من المسلم به أن وضع خطة الهجوم فني تجعل القائد أن يقيم الاعتبار اللازم لإيصال المدد والمؤن، وحفظ خط الرجعة، وإحلال وحدات مكان أخرى.

كان الاعتقاد قبل الحرب الأخيرة، أن القيام بهجوم برمائي كبير مستحيل إلا إذا استطاع المهاجم الاستيلاء على مرفأ صالح في بضعة أيام، ولكن ما ادخله الحلفاء من أدوات حديثة فنية قلب الأوضاع انقلابا ثوريا، لأنهم صنعوا المرافئ العوامة، المتنقلة والمصفحات الطائفة التي يصل بها الجندي إلى خطوط العدو دون أن يتعرض للرصاص، وغيرها من المبتكرات التي لم تخطر بال القيادة الألمانية لما وضعت خطط دفاعها. فكان لهذه الأدوات المستحدثة أثر فعال في سحق العدو.

على أن امتلاك الجهاز الذي يمكن الإنسان من إنزال معداته على الشواطئ المفتوحة بكميات ضخمة لا ينفي ضرورة الموانئ الطبيعية. وخصوصًا في بحر عرضة للعواصف الهوجاء كالقنال الإنكليزي، فلا بد من العمل إذن على الاستيلاء على مرفأ كبير يسهل عملية إيصال الرجال والمعدات.

إن أول مرة سمعت فيها عن فكرة إنشاء ميناء اصطناعي على شاطئ نورماندي كانت في ربيع سنة 1942. وذلك حين قال الأميرال مونتباتن: «إذا كان لا بدّ من الموانئ فيجب أن نصنعها أجزاء أجزاء ثم نضمها معًا قطعة واحدة». فساد عندئذ الهرج والمرج بين الحضور، ولكن ما بدا في الوهلة الأولى ضربًا من

الخيال أصبح بعد سنتين حقيقة مجسمة. وقد صنعنا نوعين من الموانئ، النوع الأول دعوناه «الأوز» وهو عبارة عن إغراق عدد من السفن الواحدة بجانب الأخرى حتى تؤلف ملجأ أمينًا للسفن الصغرى قرب الشاطئ حيث يجري تفريقها من دون خطر، إلا إذا كان الهيجان شديدًا جدًا. وأما النوع الثاني فدعوناه «الكبش» وهو عبارة عن ميناء كامل مصنوع من الباطون المسلح تصف قطعه الضخمة الواحدة بجانب الثانية حتى تؤلف حاجزًا منيعا ضد الأمواج وقد استعمل البريطانيون «كبشبا» واستعمل الجيش الأمريكي كبشًا آخر حينما جرى الغزو وكلا النوعين من الموانئ من بنات أفكار وصنع البريطانيين.

لقد علمنا الاختبار في البحر المتوسط أن كل فرقة تستهلك مازنته سبعة أطنان من المؤن والذخائر كل يوم وهي في ساحة المعركة. فتحتم علينا إعداد الترتيبات لإيصال هذه الكمية لكل فرقة. هذا بالإضافة إلى ما توجب من إعداد احتياط من الجنود والذخائر بأعداد وكميات كبيرة. تمكنا في الوقت المناسب من القيام بهجوم للتغلغل في جبهة العدو والانطلاق منها في الأراضي الفرنسية كما توجب علينا أن نحضر الأدوات الهندسية الضخمة لإصلاح الموانئ التي نحتلها، ولإصلاح خطوط السكك الحديدية والجسور والطرق، وإنشاء المطارات، وفوق كل ذلك توجب إعداد الوسائل لحمل الجرحى بسرعة ونقلهم من الشواطئ إلى المستشفيات التي أعددناها في إنكلترا.

كان معاوني المختصان بإعداد المؤن الجنرال السر همفري غيل والجنرال كروفورد. وكلاهما خبير فني في هذا الحقل وقد قاما

بإعداد كل ما يلزم بمؤازرة عدد كبير من المعاونين فجاء ما أعداه ما كفانا شر الحاجة.

لما كان البريطانيون قد أوجسوا خيفة من قيام الألمان بهجوم على شواطئهم الجنوبية أعدوا خط دفاع قوي هنالك، جهزوه بأعشاش الرشاشات وأسوار من الحجر ضخمة والأسلاك الشائكة المعقدة وبثوا الألغام وأقاموا الحواجز الفولاذية تحت المياه اليابسة وحفروا الخنادق المضادة للدبابات فافترضنا أن الألمان قد لجؤوا إلى مثل هذه الأجهزة الدفاعية ضد هجومنا عليهم فانصرف البريطانيون لاستنباط أجهزة يسهل عليها تحطيم هذه العقبات واجروا في ذلك عدة اختبارات كأنهم يقومون بمعركة فعلية.

إليك مثلًا شيقًا من هذه التجارب التي التجأنا إليها في استعمال طوربيد بنغلور لا غريب في هذا الطوربيد إلا أنه أنبوب طويل محشو بالمتفجرات يدس في حقل من الألغام وعندما ينطلق يفجر كل الألغام المنصوبة في خط طوله ويفتح طريقا ضيقًا في حقل الألغام تخترقه الجنود أثناء زحفها، وكان هذا السلاح معروفا في الحروب غير أن البريطانيين وجدوا له طريقة جديدة للاستعمال وذلك أنهم التجؤوا إلى تغطية ذبابة شيرمان بعدد من الأنابيب يحتوي كل منها على طوربيد بنغلور فاذا وجهت إلى الأمام أصبحت كالمدافع وعندما تتقدم الدبابة تنطلق الطوربيدات من الأنابيب بالدور وتفجر الألغام قبل أن تصل إليها دبابة بعشرين قدمًا وبهذه الطريقة تستطيع أن تطهر ممرًا لا يقل طوله عن الخمسين مترًا وأجرينا تجارب كثيرة كهذه لنبطل مفعول الخنادق والحواجز وغيرها من العقبات.

ومن الأمور التي يجب أن يوجه إليها القواد الكبار اهتمامًا خاصًا هو إبقاء معنويات الجيوش عالية وكثيرًا ما يجب أن يوجه هذا الاهتمام نحو غاية خاصة ومثال على ذلك أن أحد المعلمين قدر الإصابات التي ستمنى بها القوات المهاجمة لخطوط دفاع العدو على شواطئ فرنسا بثمانين إلى تسعين بالمئة، فانتشر هذا التعليق بسرعة وسبب هلعًا بين الجنود وقلقًا للقيادة، فاغتنمها الجنرال برادلي فرصة ليتجول بين الجنود ويخبرهم أن هذا التقدير باطل من أساسه ولا يقوم إلا على المبالغة وجهل مطلق في الفنون المغربية. وأكد لهم أن الإصابات لن تزيد على معدل الخسائر في أي معركة شديدة أخرى، فتبنينا تقديره ووزعناه في المناشير ونشرناه في الصحف كي لا يتطرق الخوف الزائد ويزعزع ثقة الجنود.

انتشر النشاط في كل دوائرنا الحربية ودرست قوات الجو خطوط دفاع العدو وجربت أنجع الطرق لإبادتها، كما وضعت الخطة للدور الذي يجب أن تلعبه في المرحلة الأولى وفي المراحل التي تلي وجمعنا ما أمكن من المعلومات عن قوات العدو من مصادر مختلفة، ولما كانت البحرية ستقوم بدور الحراسة وكنس الألغام ودك حصون الشاطئ وإقامة الموانئ الاصطناعية وإصلاح المرافئ المدمرة، وإبقاء خطوط التموين نشيطة عاملة عبر القنال فقد قامت بتمارين خاصة مرارًا وتكرارًا لكي تنجز ما ترتب عليها من تبعات من دون خطأ ولا زلل وأجرينا تجارب عديدة لإنزال الجنود والمعدات من السفن والقوارب.

ووضعنا الخطط لإخفاء الجنود والمعسكرات عن أعين العدو، ولم

نبق شيئًا إلا وقتلناه درسًا بينما اغتنم القواد كل فرصة لزيارة الجنود ومراقبتهم وأنا نفسي قمت بين أول شباط وأول حزيران بزيارة ست وعشرين فرقة، وأربعة وعشرين مطارًا، وخمس سفن حربية، بالإضافة للزيارات التي قمت بها للمستشفيات والمستودعات والمخازن. ولم تقل زيارات برادلي ومونتغمري وسباتز وتدر عن هذا العدد.

لا شك في أن الجنود يودون أن يروا الرجال الذين يتولون قيادتهم يهتمون بهم، ولذلك يجب على القواد ألّا يحبسوا نفوسهم في مكاتبهم كل الوقت، بل يجب أن يظهروا ذواتهم أمام الجنود ويتحدثوا إليهم ويختلطوا بهم ما أمكن، لأنهم بذلك يرفعون معنوياتهم لأن المعنويات هي فوق كل اعتبار عند احتدام المعارك.

عندما اقترب الوقت لنقل مراكز قياداتنا إلى الشواطئ، بدت أجزاء إنكلترا الجنوبية كمعسكر واحد وقد أوقفت بريطانيا، بطلب منا، كل مواصلاتها بين هذه المنطقة وسائر مناطقها، كما وقفت كل اتصال بين أيرلندا الحرة وسائر الجزر البريطانية خوفًا من تسلل الجواسيس وقد التجأت الحكومة إلى طريقة استبدادية، إذ أوقفت كل الاتصالات الدبلوماسية مع الخارج، خوفًا من أن يتسرب من إحدى السفارات ما يفيد العدو عما يجري في إنكلترا. وأثارت بذلك غضب واحتجاج الدول وصادرت جميع سفنها وقاطراتها وما نفتقر إليه من وسائل نقلها ووضعت الكل تحت تصرفنا والمهم أن الشعب البريطاني لم يتذمر ولم يحتج على ما اتخذ من إجراءات تحد من حريته، وتحرمه من رفاهيته ووسائل

تنقله، بل قبل التضحيات بكل سرور لأنه عرف أن المعركة فاصلة والعاقل من يضحي بهناء بضعة أشهر ويتحمل المشقات والمصاعب بصبر كي يعيش حرًا طليقًا مدى الحياة.

أضحت القيادة العامة في الحرب الحديثة مضطرة أن تدرس أحوال الجو وطبيعة الأرض ونفسية العدو وإمكانياته، وما قد يطرأ من مفاجئات طبيعية ومضاعفات، ولا سيّما أنّ الغزوة برمائية عبر قنال عرضة للعواصف ويقوي فيه المد والجزر المتسبب عن التجاذب بين المياه والقمر والشمس، ومن المسلم به أن ربابنة الملاحة يستطيعون التنبؤ سلفًا بارتفاع المد وانخفاض الجزر من اطلاعهم على مركز القمر والشمس، ولهذا فإننا بعد أن أجلنا البدء بالغزو من أوائل أيار بتنا نحسب متى تكون وضعية الشمس والقمر مناسبة ثانية للبدء بالهجوم؟ فوجدنا أن ذلك يحدث في 5 و6 و7 من شهر حزيران لأننا في ذلك التاريخ نستطيع أن نجتاز القنال ليلا تحت جنح الظلام، ولا علم العدو شيئًا عن وجهة سير قوافلنا البحرية وفي الوقت نفسه تصل الطائرات ناقلات الجنود عندما يكون القمر مشرقًا حتى يبصروا طريقهم في النزول والتمركز، بعد أن تكون قاذفاتنا قد ضربت تحصينات العدو بشدة ودكت معاقله وأذهلت رجاله في آخر أربعين دقيقة من نور النهار.

لا تستطيع القيادة في الحرب الحديثة أن تترك شيئا للمناسبات، بل عليها أن تتحسب للطوارئ ونوقت كل أمر يتعلق بوصول جنود المظلات وطائرات الانزلاق والذين تنقلهم السفن حتى تكون عملياتهم منسجمة مع بعضها. هذا مع وجوب تعيين الوقت الذي

تكون فيه حالة المد موافقة لنزول الجنود والمعدات من السفن والقوارب إلى البر في اللحظة التي لا تزال فيها قوات دفاع العدو مذهولة مما عانته من قصف قاذفاتنا وأسطولنا البحري، فلا تمني إلا بأقل ما يمكن من خسائر.

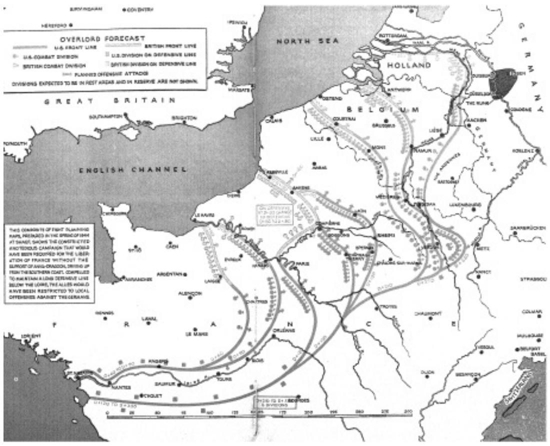

أوروبا المحتلة

ذكرت قبلًا أننا اخترنا منطقتي نورماندي وشبه جزيرة كونتنتان كهدف أول لغزوتنا لأنهما بعيدتان نسبيًا عن إنكلترا ولا يتوقع العدو أن نغزوهما ولهذا لم يعبئ فيهما من القوي ما عبأه في منطقة كاليه. ورأينا أن ينزل الجيش البريطاني في نورماندي والجيش الأمريكي على يمينه عند قاعدة شبه جزيرة كونتنتان على أن تتجه ميمنته شمالًا لاحتلال مرفأ شاربورغ، بينما يتقدم قلبه وميسرته نحو الغرب الجنوبي لقطع شبه الجزيرة وقطع مواصلات العدو المحصورة فيها. لكن رأينا أن طبيعة الأرض التي اخترناها لبدء نزول القوات الأمريكية على جانب عظيم من الصعوبة لأن وراء الشاطئ منخفضا تسللت إليه مياه البحر وحولته مستنقعًا يصعب اجتيازه إلا على ممرات أقيمت خصيصًا لتلك الغاية، ولم يعمل العدو على إزالتها. فإذا احتل جنودنا الشاطئ وأرادوا التقدم استطاع العدو أن يرابط عند تلك الممرات ويمنعها فنضطر إلى أن ننحصر في منطقة ضيقة لا يمكن توسيعها، ونبقى هدفًا لنيران العدو الذي قد يتمكن من طرحنا في

البحر ثانية، فتفشل الغزوة وتزهق الأرواح عبثا، ولنتلافى مثل ذلك المصير المشؤوم وضعت خطة لإنزال فرقتين من جنود المظلات وراء المستنقع لتحمي الممرات وتؤمن تقدم قواتنا الزاحفة من البحر إلى هنا بدأت المسألة طبيعية وبسيطة، ولكنها بالفعل معقدة كل التعقيد. لأن طبيعة الأرض وراء المستنقعات صعبة، كثيرة الصخور والمنحدرات والعقبات الطبيعية والاصطناعية مما يعرض عددًا كبيرًا من الجنود للموت والتحطيم، ومن يبقى حيًا تحصده نيران قوات العدو المتحركة والمعسكرة في تلك الناحية.

تناقشنا في الموضوع مطولًا، فوافق على رأيي كل من الجنرال برادلي والجنرال ماثيور يدجوي قائد القوات الأمريكية التي تحملها الطائرات، وجرى إدخال مشروع فرقتين من الجو في صلب خطتنا الرئيسية، ولكن قبل بدء الهجوم بمدة قصيرة، بعث المشروع ثانية واعترض الكثيرون عليه.

في الثلاثين من شهر أيار دخل عليّ مارشال الجو القوات الحلفاء واحتج على ما أعددته من مذبحة لجنود فرقتين من أفضل جنودنا، لأن الخطة التي وضعتها لإنزال فرقتين من الجو وراء خط في أرض صعبة ستؤدي إلى إهلاك سنتين إلى ثمانين بالمئة من الجنود بواسطة نيران العدو والعقبات الطبيعية. ولا يستطيع ما تبقى سالمًا أن ينفذ ما أسند إليه من مهمات ورجاني أن أعيد النظر في ذلك القرار.

لما كان قد أدركنا الوقت ولا مجال لطرح الموضوع على لجنة

خاصة تتناقش فيه وتعطي قرارها، ولما تصورت نفسي جالسًا في مكتبي ارسم خطة تؤدي إلى أهلاك عشرات الألوف من خيرة شبابنا عبثًا، طلبت إليه أن يسلمني تقريره خطيًا ولما فعل سجلت اعتراضه رسميًا حتى إذا حدث وفشل المشروع بالصورة التي ارتادها، لا يكون مسؤولًا أمام الرأي العام ثم انزويت في غرفتي لأفكر في القضية مليا وتوصلت أخيرًا إلى ما يلي من نتائج:

أولًا: إذا ألغيت عملية النزول من الطائرات فلا بدّ لي من إلغاء النزول على قاعدة شبه الجزيرة خوفًا من تعريض الجنود الغازية من البحرية لكارثة أعم وأشمل من الكارثة التي تنتظر فرقتي الجو.

ثانيًا: إذا ألغيت عملية النزول على قاعدة شبه الجزيرة، أكون قد حكمت على فشل قضية درستها ووثقت بصحة نجاحها مدة سنتين، فأقضي بذلك على ما يمكن من نجاحات في أمكنة أخرى لأن إشغال العدو هنا يخفف الضغط على القوات الغازية في غير جبهة ومن دونها لا نستطيع احتلال شاربورغ وهي مسألة حيوية لنا وأخيرًا قد احكم بإلغائها على فشل الغزوة كلها.

ثالثًا: إن تقديرات مالوري هي تخمينية لا أكثر ولا أقل، ولكن اختباراتنا في صِقِلّية وإيطاليا تجعلنا ألّا نذهب إلى الدرجة التي ذهب إليها من التشاؤم، ولا سيَّما وإن برادلي وريدجوي الخبيرين في مثل هذه القضية قد وافقا على خطتي وتحمسًا لها عندئذ اتصلت بمالوري وأخبرته تلفونيًا بأنني صممت على الاحتفاظ بالمشروع حسب الخطة الموضوعة ولما جرى الهجوم ونجحت

الخطة كان مالوري أول من اتصل بي وهنأني وقدم اعتذاره لأنه سبب لي كثيرًا من القلق.

بينما كانت القيادة تخطط وتدرس وتسجل وتعيد النظر، جعل عدد من رجال السياسة والجيش يأتي ويعقد المؤتمرات معنا ويشترك في المباحثات وإبداء الرأي واطلاعنا على ما يجري في أمريكا من إعداد سفن وأسلحة ورجال ومؤن وغيرها مما يبشر بالخير، بالإضافة إلى ما تقوم به بريطانيا من مجهودات وكثيرًا ما اجتمعت بالمستر إيدن والمستر بفن وبأركان قيادة الجيش البريطاني وغيرهم من الساسة وممن اجتمعت بهم الجنرال ديغول الذي جاء خصيصًا من إفريقيا ليبحث في أمر غزو فر نسا. وكانت هذه الاجتماعات تتناول بالبحث كل موضوع ما يختص بالحرب وما يلي الحرب من تخطيط الاحتلال ألمانيا والنمسا وسائر البلدان التي يسيطر عليها المحور.

<u>قسم من أسراب من القاذفات الأمريكية التي أغارت على مدينة بريمن الألمانية</u>

في كل هذه المدة ازداد اتصالي برئيس الوزراء لأنه استطاع أن يمدنا بالرأي والعمل وكنت إذا زرته لغاية تتعلق بعملية الغزو أصرف مدة ساعة في الطريق بين الجنائن والبساتين، أتمتع بلذة فائقة في الهواء الطلق وبالمناظر الجميلة، فأزداد نشاطًا، لأنه يسكن في قصر تشكرز الذي أقام به كروموبل قديمًا، وهو يقع في بقعة هادئة خارج المدينة.

كان المستر تشرشل يطلب من ضيوفه أن يصلوا إلى قصره عند الأصيل، حتى يتمكنوا بعد العشاء من مشاهدة بعض الأفلام في الساعة العاشرة والنصف مساء وبعد ذلك يبتدئ المؤتمر للدرس والعمل فنبقى في الاجتماع إلى الثالثة صباحًا. واعتاد المستر إيدن وبعض أركان قيادة الجيش البريطاني أن يحضروا دائمًا فنشأت صداقة بيني وبين عدد كبير من قادة بريطانيا.

حدث في أحد المؤتمرات أن قائدًا بريطانيا وهو يتحدث عن الجنود أطلق عليهم لفظة «جثث» فوبخه المستر تشرشل على استعمال مثل هذه اللفظة لأنه ليس من الإنسانية واللياقة أن يتكلم

أحد عن الجنود بمثل هذه الخسة وقد شعرت بمثل ما شعر به رئيس الوزراء، لكنني حزنت على ذلك القائد الذي أثار غضب المستر تشرشل عليه وهو لا يدري.

وجد في قصر تشكرز سجل كما هي العادة في أكثر بيوت البريطانيين يتحتم على كل زائر تسجيل اسمه فيه، حدث في إحدى الزيارات أني خرجت مسرعًا دون أن أسجل اسمي، ولكنني لم أكد أجلس في مقعد السيارة حتى رأيت الخادم يلحقني بالسجل ويقول: «يا سيدي لقد نسيت تسجيل اسمك، فاعتذرت عن قصوري وسجلته». ثم سرت مسرعًا.

قام الألمان بغارات شديدة على معسكراتنا في شهر شباط سنة 19 وفي أحد الأيام زارني المستر تشرشل وطلب إليّ أن أنتقل إلى ملجأ أعده لي خاصة، يحتوي على جميع وسائل الراحة فسألته إذا كان هو يقيم في ملجأ فأجاب بالنفي، فقلت له: «أن حياتي ليست أعز من حياتك أيها الرئيس ولعلمي أنك تذهب في أثناء الغارة لتتفقد أحوال ابنتك التي تعمل في إحدي البطاريات المقاومة للطائرات، فإنني لن أختبئ في ملجأ».

اعتاد المستر تشرشل أن يبدي رأيه في الغزوة الكبرى وظهر أنه أصبح أكثر تفاؤلًا بشأنها من السابق. لكن يظهر أنه لم يعط مجالًا لأماله أن نقوي على شكوكه، وفي أكثر من مرة قال: «أيها الجنرال، إذا استطعت أن تحتل بالستة والثلاثين فرقة التي تحت إمرتك شبه جزيرتي بريتانيو كونتنتان بما في ذلك مرفأ شاربورغ قبل حلول فصل الشتاء الآتي فإنك تكون قد قمت بعمل عظيم وإذا

استطعت احتلال مرفأ الهافر وتحرير باريس الجميلة من أيدي العدو، أؤكد لك أنك تكون قد أحرزت أعظم نصر عرفه التاريخ الحديث» واعتدت أن أجيبه «يا حضرة الرئيس، أؤكد لك أننا سنكون واقفين على حدود ألمانيا الغربية قبل بدء فصل الشتاء، واعلم أنه ليس فقط لدينا هذه الستة والثلاثون فرقة، بل لدينا أيضا عشر فرق أخرى ستغزو فرنسا من الجنوب. هذا بالإضافة إلى الأربعين فرقة التي ستأتي مباشرة من أميركا وتنزل في مرافئ فرنسا» فيجيب: «إنها لمزية حسنة أن يكون القائد متفائلًا ولكني لا أتصور أنك تستطيع احتلال مساحة من فرنسا تتسع لمثل هذا العدد من الفرق قبل حلول الشتاء. احتل باريس والهافر فقط ولن تجد من يجرؤ على مطالبتك بأكثر».

استطاع الجنرال مونتغومري بالتعاون مع قادة الجو والبحر أن يقدم في السابع من شهر نيسان صورة كاملة مفصلة عن خطة هجوم قوات البر على شواطئ فرنسا. فعقد مؤتمر ضخم في مدرسة القديس بولس في لندن، وأمضينا يومًا كاملًا في عرض الخطة وفحصها، والبحث في طرق تنفيذها.

اقتضت الخطة أن تبحر الجنود جنوبا نحو شواطئ فرنسا، على أن يكون الأميركيون في الميمنة، والبريطانيون والكنديون في الميسرة، فتنزل الميسرة على شواطئ بريتاني قرب مصب نهر أورن، بينما تنزل الميمنة في شاطئ يوته على قاعدة شبه جزيرة شاربورغ. وبذلك يبلغ اتساع الجبهة ستين ميلًا وبما أن رغبتنا هي احتلال قواعد مقاتلاتنا في فرنسا، ومساحات تستطيع دباباتنا أن تعمل فيها بكثرة جعلنا خطتنا أن يحتل الجيش البريطاني الثاني

السهول الواقعة وراء مدينة كان. بينما يقوم الأميركيون إلى اليمين بالتقدم جنوبًا على موازاة الزحف البريطاني وتقوم قوات أخرى بالزحف شمالًا لاحتلال مدينة شاربورغ، وقدرنا أن الألمان الذين لهم قوات كبيرة في منطقة كاليه سيقومون بهجوم قوي على منطقتنا، وانهم سيتشبثون على الأخص بشاربورغ ويمنعون مرفأها علينا، ولكن اتكالنا على عنصر المفاجأة وعلى ضخامة قواتنا الجوية جعلتنا أن نتفاءل خيرًا بالنتائج مهما كانت العقبات صعبة، فجعلنا نضع التقديرات لتقدمنا في ظرف الأيام والأسابيع التي تلي عملية النزول في اليوم الأول. وحينما بدأت العمليات تبين أن تقديراتنا كانت أكثر تفاؤلًا مما استطعنا تحقيقه في المرحلة الأولى والثانية، ولكن بعد تسعين يومًا من بدء الهجوم ظهر أن ما حققناه من تقدم زاد على ما قدرناه.

في الخامس عشر من شهر أيار دعت رئاسة قيادة حملة الحلفاء لعقد المؤتمر الأخير في مدرسة القديس بولس، ولم يبق ضابط من رؤساء أركان الجيش البريطاني في البلاد إلا وحضره، كما حضره ملك بريطانيا والوزراء والجنرال سطمس رئيس حكومة جنوبي إفريقيا وغيره من قادة الحلفاء. ولم أحضر مؤتمرًا كل مدة الحرب اجتمع فيه أصحاب جلالة وسمو وفخامة وغيرها من الألقاب الشريفة كهذا المؤتمر. وكانت الغاية من عقده إعادة النظر في بعض القرارات التي اتخذت في المؤتمر السابق وإفهام كل قائد الدور الذي يجب أن يلعبه، والتعليمات التي يجب أن يوجهها إلى الوحدة أو الوحدات التابعة لقيادته، على أن يجري كل شيء بسرية تامة.

وتمنى لنا في هذا المؤتمر أن نسمع كلمة من صاحب الجلالة ملك بريطانيا ومن رئيس وزرائه، فأدلى هذا الأخير بخطاب حماسي من خطبه المعروفة في محدث الحلفاء على الحرب، وأدهش الكثيرين ولا سيَّما الأمريكيين منا بنوع خاص عندما قال إنه يعلق آمالا كبارا على الغزوة الكبرى التي ستؤدي إلى تحطيم ألمانيا.

فاستنتجنا أن ما خامره من شك في نجاح الحملة في السابق حتى أنه بذل الجهد الكبير ليؤخرهما، قد تلاشى. وأصبح يعتقد كما نعتقد نحن بأن في هذه الغزوة الطريق القويم إلى النصر. وقد نجح المؤتمر كل النجاح لأنه أنعش ثقة كل قائد من قادة السياسية والحرب. ولا شك في أن ثقة القادة بالمشروع تتوزع على سائر الجنود والشعب.

في الوقت الذي انتقلت قيادة العمليات الحربية إلى مدينة بورتسموث شعرت أنه لم يبق أمامنا إلا تعيين اليوم لبدء الغزو. وبينما كنت أفكر في ذلك زارني الجنرال ديغول ليباحثني في عدة قضايا. فنشأ خلاف بيني وبينه على تعيين اليوم والساعة، وعلى طبيعة ما يجب أن يعلن على الشعب الفرنسي عندما نضع أرجلنا في بلاده. لأنه أراد أن نعلن بكل وضوح أنه هو سيصبح حاكم فرنسا الفعلي، ومن حقه وحده أن يصدر الأوامر إلى الفرنسيين عن كيفية تعاونهم مع جيش الحلفاء فلم أستطع مجاراته في رأيه.

أبى الرئيس روزفلت أن يعترف بالجنرال ديغول كحاكم لفرنسا، لاعتبار أن الشعب الفرنسي هو مصدر السلطة في بلاده، ولا حق للحلفاء أن يفرضوا عليها حاكمًا معينا وأوصى بأن نعلن بأننا

مستعدون لأن نتعاون مع أية هيئة فرنسية تساهم معنا في القضاء على القوات الألمانية ولا مانع عندنا من أن تنتخب تلك الهيئة الجنرال ديغول رئيسًا لها لكنه يعارض بشدة أن نفرضه فرضًا على الشعب الفرنسي.

وقعت رئاسة قيادة الحلفاء في حيرة، بين ما أصدرته حكومتا الحلفاء من تعليمات وبين ما طالب الجنرال ديغول به، لأننا كنا في أمس الحاجة إلى معاونة الأنصار في فرنسا والذين يكثر عددهم في بريتاني ونورماندي خاصة ولا ندري أية نسبة منهم تناصر ديغول فخشينا أن يؤدي إغضابنا إياه إلى حرماننا من مؤازرة أنصاره، وفي الآخر صممنا أن نعترف بالجنرال ديغول كقائد عام للفرنسيين الذين يشتركون معنا في عملية الغزو ونترك أمر حكومة فرنسا إلى ما بعد تحرير البلاد فنبيح الحرية للفرنسيين أن يختاروا الحكومة التي يريدون، فاحتج ديغول على ذلك، ولكنه صمم على مؤازرتنا بكل ما أعطي من جهد فارتحنا لذلك.

تمت الاستعدادات، ووضعنا لكل شيء حسابه، ولم يبق أمامنا سوى عقبة واحدة وهي الطقس، هل يصفو الجو ويهدأ البحر في مدة الأيام الثلاثة أي الخامس والسادس والسابع من شهر حزيران، ويسهل أمامنا أمر الشروع بالغزو أم يكفهر الجو وتعصف العواصف ويثور البحر ويتحالف بذلك مع العدو! نعم إن الطقس ككائن لا يعقل من طبيعته الحياد، ولكن إذا اضطرب البحر وعلت الأمواج تصبح ألمانيا في مأمن من شرنا ولا تحسب حسابًا لغزونا المناطق التي تحتلها والذي يحز في النفس أن لا

سلطة لنا عليه وبعد أن تمت استعداداتنا وأصبحت جيوشنا على أتم الأهبة للانطلاق في أعظم حملة برمائية عرفها التاريخ، هل يسمح لنا الطقس ذلك الكائن غير الواعي أن ننطلق! هنا علامة سؤال كبري. وإذا تأخرنا عن السابع من حزيران يتحتم علينا أن ننتظر مدة خمسة عشر يومًا بعد ذلك التاريخ حتى تعود الشمس والقمر وحالة المد إلى الوضع الذي يناسب عملية الغزو ولكن إلا يؤدي التأخير إلى انحطاط معنويات نحو مليوني جندي، وشعوب الحلفاء عامة؟

اعتدنا أن نجتمع في اليوم مرتين باللجنة المؤلفة من علماء الظواهر الجوية مرة في الساعة التاسعة والنصف مساءً، والأخرى في الرابعة صباحًا، وتتألف اللجنة من خبراء بريطانيين وأمريكيين برئاسة ربان سكوتلندي ماهر وجرى درس وتحليل كل ظاهرة جوية باعتناء وعندما اقتربت الساعة الحرجة أخذ التوتر يزداد، لأن التنبؤات أخذت تنذر بحلول العواصف.

صممنا في مؤتمرنا الأخير أن يبدأ الهجوم في الخامس من الشهر وفي الرابعة من صباح 4 حزيران بدأت الوحدات تصعد إلى السفن وعندما اجتمع القواد في فجر ذلك اليوم، بدأت التقارير المخيبة للآمال تصل، لأنها أنبأت عن وجود غيوم منخفضة، ورياح عالية، وأمواج صاخبة تجعل الوصول إلى البر محفوفا بالأخطار الجسيمة فأشار الخبراء بأن مساندة قوى الجو مستحيلة ومدفعية الأسطول ضعيفة، والتحكم بإدارة القوارب الصغيرة والمواعين صعب للغاية، ولكن الأميرال رمزي قال أن امتلاك زمام المواعين البحرية ممكن ولكن إصابة الهدف بالمدفعية

مستحيلة، وبذلك اتخذ لنفسه موقفًا حياديًا ولكن الجنرال مونتغمري الذي تقع على كتفيه أكثر من غيره مسؤولية ما يحدث من أضرار بسبب التأخر قال مباشرة الهجوم فعارضه تدر، فبقي الفصل بين الرأيين في يدي.

عندما درست المسألة ووازنت بين العوامل المشجعة والمضادة أصدرت أوامري بتأخير الهجوم وأبرقت إلى السفن أن ترجع إلى مرافئها، فاصطدمت عندئذ بمشكلة أخرى وهي إذا هدأ الجو في اليوم التالي، فهل تستطيع هذه السفن أن تعبئ وقودها وتكون على أهمية الاستعداد للملاحة ثانية في مدى ساعات قليلة؛ وقد وصلتني الأخبار أن البحر قد اشتد هيجانه في الناحية الغربية حتى صعب على الربابنة أمر امتلاك زمام السفن.

في صباح اليوم التالي كان المعسكر يصطك ويرتجف من أساساته أمام الرياح الشديدة. وأخذ المطر ينهمر بغزارة كأنه أعمدة رفيعة أسفلها على الأرض ورؤوسها في الغيوم، مما جعلنا أن نصرف النظر عن البحث في أية عملية وحينما اجتمعنا عند الرابعة بلجنة الخبراء كان تقرير ستاك بأن حالة الجو على شواطئ فرنسا جاءت كما تنبأ من الصخب والهيجان، حتي لو أننا واصلنا عملية الهجوم لابتلينا بأكبر نكبة. وأردف أن الدلائل تشير إلى أن الهيجان سيهدأ في اليوم المقبل مدة ست وثلاثين ساعة تفصل بين عاصفة متلاشية وأخرى مقبلة.

لم يكن التقرير مشجعًا فقد نرسل الموجات الأولى ثم تحول العواصف دون إلحاقها بموجات أخرى، فينقض عليها العدو

ويبيدها. ولكني رأيت أن الضرر الذي سينتج عن تأخير الغزوة مدة أسبوعين على أقل تقدير يبرر مجازفتنا بالهجوم المباشر ولما كانت الساعة لا تزال الرابعة والنصف من صباح الخامس من شهر حزيران، أصدرت أوامري بسرعة بأن يبدأ الهجوم في السادس من حزيران ولم يعارضني أحد من الحضور، بل رأيت أنه قد سرى عن الجميع ومن دون أية كلمة انصرف كل واحد إلى مركز قيادته ليصدر أوامره إلى الجيوش بأن تتحرك.

رفعت إليّ عدة طلبات يتمنى أصحابها أن أسمح لهم بالصعود إلى بعض سفن الحراسة ليتمكنوا من مشاهدة عملية الغزو عن كثب فلم أمانع في استجابة طلب أكثرهم وبين الذين رفض طلبهم كان رئيس الوزراء الذي صعب عليه أن يبقى منزويا في بيته يتسقط الأخبار بكل ضجر وتوتر، بينما يمكنه أن يرافق الحملة ويشاهد هو بنفسه كل حركة، قلت له أن سلامته ضرورية جدًا من أجل المجهود الحربي وإذا تعرض صدفة لإصابة طائشة، تكون النتائج وخيمة جدًا. ولذلك أرفض طلبه بكل تصميم فأثار عندئذ القضية على الصعيد الحقوقي وقال إني لم أصبح القائد الأعلى للحملة إلا بفضل السلطة التي وهبتني إيّاها الحكومتان، إنما ذلك لا يعني أنه أصبح من صلاحيتي التدخل بشئون المنظمات البريطانية، ولما وافقت على ذلك قال «بما أنه لا يحق لك يا جنرالي العزيز أن تقرر ممن يتألف رجال سفينة من سفن صاحب الجلالة فاني سأصعد إحدى السفن كواحد من بحارتها وأذهب دون أن يكون لك سلطة على منعي».

عندئذ أجبته بقوة مشيرًا إلى أنه يعمل على زيادة متاعبي في

محاولته اللف والدوران ضد أوامري وبينما اعترفت بقصوري عن منعه قانونيًا، أتتني النجدة من ناحية لم أكن أتوقعها، وذلك أن جلالة الملك حينما اطلع على ما ينوي رئيس الوزراء فعله، وبما أنه لا يريد أن يتدخل بشؤونه، أرسل كلمة إلى المستر تشرشل يقول فيها: «إذا كنت يا حضرة الرئيس تشعر بأنه من الضروري أن ترافق الحملة فأنا ملك بريطانيا أشعر أيضًا بأنه من واجبي أن أذهب على رأس الحملة مع جنودي».

وهكذا انحلت القضية وانطوي خبرها.

مع ذلك شعرت مع رئيس الوزراء لأني كذلك تحملت صعوبة الانتظار الذي له بداية وليس له نهاية، وخصوصًا عند قائد أصدر أوامره بالهجوم وجلس يضرب أخماسًا بأسداس إلى أن ترده التقارير الأولى عما حدث. فأشغلت نفسي بزيارة الجنود الذين سيشتركون في الهجوم، وعند المساء قمت برحلة إلى معسكر فرقة الطيران الأمريكية المئة والواحدة التي حمي النقاش بشأن مساهمتها في الحملة من قبل قائد الطيران العام ووجدت رجالها في حالة جيدة، وعندما رأوني قالوا مرحين بأنه لا يحق لي أن أنزعج طالما الفرقة المئة والواحدة قد أخذت على نفسها ألّا ترجع حتى تصيب من العدو مقتلًا. وبقيت في صحبتهم حتى حملت الطائرات آخر رجل منهم، حوالي منتصف الليل. وبعد أن مكثت في الرحلة نحوا من ساعتين رجعت إلى مركزي ولم يطل بي الوقت حتى بدأت التقارير تصلني.

الفَصلُ الثّالِثُ عَشَر

النزول في فرنسا

الغزو لشواطئ فرنسا

«أيها الجنود، يا رجال البر والبحر والجو» إنكم على وشك أن تقوموا بحملة مقدسة، صرفنا الكثير من الجهد والوقت في سبيل الاستعداد لها. إن أنظار العالم متجهة إليكم، وآمال الشعوب المحبة للحرية في كل مكان ترافقكم أن مهمتكم عظيمة بقدر ما هي شاقة، غايتها سحق آلة الحرب الألمانية والقضاء على جبروت النازيين وإنقاذ العالم من قسوتهم وطغيانهم.

إنكم ستواجهون حسن التدريب متمرسًا بالحرب، كامل العدد والعدد، يعرف كيف يقاوم بعناد ويقاتل بشراسة.

لا خوف ولا وجل، فاليوم غير البارحة، وسنة 1944 غير سنة 19 بالأمس سيطرت ألمانيا لأنها تهيأت للحرب، بينما كان غيرها يتهيأ للسلم أما اليوم فقد أصاب الحلفاء جيشها بجراحات أليمة وهزائم كبري، وأنزل سلاح جوننا من الخسائر بجهاز صناعتها ومواصلاتها ما قلل من مقدرتها الإنتاجية وأضعف تحركاتها الحربية، بينما زودتنا جبهاتنا الداخلية بأسلحة أقوى من أسلحتها، ومعدات أفتك وأوفر بما لا يقاس، ووضعت بين أيدينا من الرجال المدربين على القتال ما لا يحصى، مما جعل المد أن ينقلب لصالحنا، لقد بدأ الأحرار زحفهم.

أما أنا فلي ملء الثقة بشجاعتكم وإقدامكم وإخلاصكم لواجباتكم ومهارتكم في الحرب، ولذلك لا أقبل منكم أقل من النصر كاملًا.

«سيروا محروسين وليسدد الله خطاكم ويبارك عملكم لتؤدوا المهمة التي اختاركم القدر لتأديتها» كان أول تقرير وصلني من الوحدات التي نقلها سلاح الجو مشجعًا، وعندما تقدم الصباح ظهر أن عملية النزول إلى البر تجري بنجاح وقد ذهب مونتغمري في مدمرة ليزور الشواطئ وليجد مكانًا ينشئ فيه مركز قيادته فوعدته بأن أزوره في اليوم التالي. أما الهجوم الذي اشتركت فيه القوات التي نزلت من الجو والقوات التي صعدت من البحر عند قاعدة شبه جزيرة شاربورغ فقد كان مطمئنًا، على أن القتال كان يدور بشدة متناهية.

قمت برحلتي إلى الشاطئ الفرنسي على مدمرة، وعندما وصلت وجدت أن الفرقة الأولى والفرقة التاسعة والعشرين التي تهاجم بقعة أوماها قد استطاعت طرد العدو وأخذت تتقدم بسرعة، على أنه بقيت بعض الجيوب المنعزلة والتي أخذت تبدي مقاومة شديدة، وتوجه نيران مدفعيتها إلى شواطئنا وسفننا، واجتمعت بالجنرال برادلي ووجدته كعادته كبير القلق واثقًا بالنتائج وبالفعل كانت المقاومة التي صادفناها على شاطئ أوماها قد بلغت المستوى الذي توقعناه، وتبين أن الألمان لم يتوقعوا أن نقوم بهجومنا في مثل هذا الطقس السيِّئ، ولذلك كان الهجوم مفاجأة لهم، فلم يبدوا مقاومة شديدة في البدء. وفي قطاع أوماها كانت فرقة العدو الثلاثمئة والثانية والخمسين تقوم بمناورة وتمارين دفاعية ولذلك استطاعت أن تقاوم بشدة.

قمت بجولة على الشواطئ أثناء النهار، واغتنمت فرصة لأجتمع بكبار القادة، ومنهم مونتغمري وعند المساء لما كنا نتقدم مسرعين بقرب الشاطئ أصيبت الطرادة بعطب شديد، وتوقفت عن العمل فاضطررت إلى أن أتخذ سفينة أخرى وأرجع إلى بورتسموث ببريطانيا.

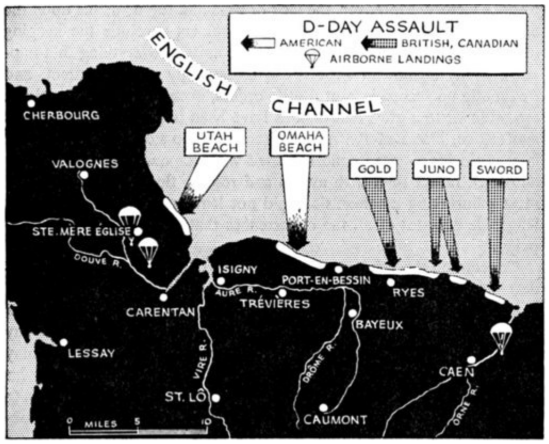

<u>يوم الهجوم</u>

أن المدة الواقعة بين بدء الهجوم في 1 حزيران و20 تموز دعوناهما معركة الشواطئ وكانت مرحلة من الزمن لم يتوقف فيها القتال الشديد برهة واحدة. مع أننا لم نحرز تقدمًا محسوسًا سوى احتلال مدينة شاربورغ، ولكنها قررت مصير المراحل التي أعقبتها في احتلالنا لفرنسا وبلجيكا والنزاع الذي حمي هنالك توقف عليه الكثير من النتائج المادية والمعنوية التي حسنت مركزنا إلى نهاية الحرب.

لما عرف مونتغمري بأن رومل خصمه في الصحراء يتولى عملية الدفاع تنبأ بأن عمليات العدو ستتصف بالهجوم العنيف المتواصل، وبأنه سيرمي بكل فرقة أو فوج أو سرية في متناول يده وشطب من دفتر حساباته أن العدو تحت قيادة رومل يمكن أن يختار موقعًا طبيعيًا حصينًا ويقيم فيه خط دفاعه ليقاوم بهدوء وصبر حتى يعبئ جميع قواته ويقوم علينا بهجوم عام محاولًا أن يقذف بنا في البحر: فصح كل حرف من نبوءة مونتغمري.

منذ يوم نزولنا لم تهدأ المعركة إلا في بقع منعزلة، ولذلك لم تشبه

بشيء حرب الخنادق التي جرت في الحرب العالمية الأولى: أما مونتغمري فتنبأ بأن احتلال شاربورغ سيكون أمرًا متعبًا، ولكنه اعتمد على عنصري السرعة والجرأة ليحرز نصرًا حاسمًا في مدة عشرة أيام. وعلى الجبهة الشرقية لم تسقط مدينة كان في أيدينا كما كنا نرجو. ولذلك لم نتمكن من احتلال السهول الواقعة وراءها لنتمكن من استعمال دباباتنا بأعدادها الضخمة، لأن رومل قام بدفاع مستميت.

اضطر العدو منذ البدء أن يسحب كل جنوده المعسكرة في شبه جزيرة بريتاني ليدعم بها فرقه التي تقاتل على الشواطئ ثم جلب فرقًا أخرى من جنوبي فرنسا ومن الأراضي المنخفضة. فلم يبق عنده قوات احتياطية كبيرة في شمالي غرب أوروبا إلا في منطقة كاليه. وحتى يتمكن من حفظ المواصلات بين قواته هنالك وبين المنطقة التي نقاتله فيها، اضطر أن يدافع عن كان بشدة وإذا احتللنا تلك المدينة نشطر قواته إلى شطرين، ولا يتمكن من الاتصال بعدئذ إلا إذا انسحب مسافة طويلة إلى الوراء ولهذا السبب فقط ركز اقوى فرقة في المدينة، وبذل المستحيل ليبقيها في يده.

انفجرت أول قنبلة ألمانية مجنحة (ف 1 V1) في لندن في الثاني عشر من شهر حزيران سنة 1944، وهذه القنبلة أشبه بطائرة صغيرة من دون سائق تطير بسرعة عظيمة في اتجاه معين وتحتوي على كمية كبيرة من المتفجرات، وتنفجر عندما تصطدم بهدفها، وتحدث دويا هائلًا، أما القذيفة المجنحة (ف رقم 2 V2) فلم تستعمل إلا في أوائل آب وهي أشبه بصاروخ يقذف في الهواء

ثم يسقط بسرعة، ولا يعرف عنها شيء إلا بعد أن تنفجر، ولا يصدر عنها صوت عندما تطير. لا شك في أن الغارات التي قمنا بها على منشآت العدو أخرت كثيرًا إنتاج الأسلحة الألمانية السرية، لإننا كلما وردنا خبر من جواسيسنا عن مكان يقوم فيه الألمان ببحوث عملية، أرسلنا مجموعات كبيرة من قاذفاتنا لندكه، بلغنا مرة أنهم منصرفون لإنتاج سلاح ذري في تروندهايم في النرويج فقصفناه بشدة، كما قصفنا الأمكنة التي أظهرت الصور التي التقطتها طائراتنا أن الألمان يقيمون فيها منشآت غريبة الشكل في الأجزاء الواقعة في الشمال الغربي من أوروبا. ولو استطاع الألمان إنجاز واستعمال أسلحتهم السرية قبل غزونا لأوروبا لجعلوا مهمتنا صعبة، وعلى الأخص لو وجهوا القنابل المجنحة والصواريخ إلى منطقة بورتسموث في إنكلترا من قبل ستة أشهر لأفسدوا كل خططنا لكن لا شك في أن غاراتنا على مراكزهم قللت كثيرًا من مفعولها، ووفرت على البريطانيين الهلع والاضطراب.

حدث أن الهيجان اشتد والعواصف اندفعت كالبراكين في التاسع عشر من شهر حزيران، وبقيت مدة أربعة أيام، فأوقفت إرسال كل مدد، وعطبت وأغرقت نحوا من ثلاثمئة قطعة بحرية، وحطمت ميناء كيش الأمريكي فوقعنا في أثنائها بمصيبة كبرى، ولو قام العدو بهجوم شديد على مراكزنا لاستطاع أن يرمينا ثانية في البحر، ولذلك بقيت قواتنا محصورة في أمكنة ضيقة على الشواطئ ولم تحرز أي تقدم، إلى أن سقطت مدينة شاربورغ في 29 حزيران على أننا لم نستطع أن نحتل مكانًا يتسع لإيواء المؤن

والمعدات في شمالي فرنسا إلا في أواخر الشهر.

إن الصراع الذي حدث طيلة شهر تموز على طول الجبهة كان من أشد وأدمي صراع جرى في هذه الحرب وقد أظهر كل ضابط وجندي من الشجاعة والإقدام ما هو حري بأن يسجل بماء الذهب وبعد أواسط الشهر استطاع الجيش الأمريكي الأول أن يخترق جبهة العدو غربًا. وفي الخامس والعشرين منه وصل البحر من جهة الغرب، وهكذا تم تطهير شبه جزرية كونتنتان. أما مونتغمري الذي كان ما يزال يواجه مقاومة شديدة في مدينة كان، فقد نقل معظم قواته إلى الميمنة وقام بحركة التفافية على المدينة. وفي الوقت نفسه أمر الجنرال برادلي كل القوات الأمريكية التي استطاع الحصول عليها بأن تتجه من أفرانش الواقعة على الطرف الغربي الجنوبي من قاعدة كونتنتان شرقًا وتفاجئ القوات الألمانية التي تقاوم الجيش البريطاني في منطقة كان من الخلف.

عندما رأى العدو أن هجوم الجيش الأمريكي بدأ يتعاظم في زحفه نحو الجنوب صمم أن يتخذ إجراءات سريعة، فجمع ما تمكن من فرقه المصفحة وقام بهجوم معاكس غربًا ليقطع الطريق التي تدفق منها الجيش الأمريكي، ولو نجح في خطته لجعل مركزنا في غاية من الخطورة ولأن ممر قواتنا كان ما يزال ضيقًا قام الألمان بمحاولتهم وإن كان في ذلك مجازفة كبرى، فأصبحت القضية مغامرة كبرى، إذا نجحوا كان كسبهم عظيمًا، وإن فشلوا أصيبوا بالخسائر الفادحة، وعلى ذلك بدأ هجومهم في السابع من شهر آب متجهين غربًا نحو أفرانش.

اكتشف طيراننا محاولة العدو وجعل يمطره بالقنابل من كل نوع، فاستطاعت القوة الأمريكية الجوية التاسعة وسلاح الجو البريطاني أن يدمرا المئات من الدبابات والعربات. ولأول مرة استعملت طائرات طبفون البريطانية الصواريخ، فكانت تطير على علو منخفض وتنزل بمصفحات الألمان خسائر فادحة وبذلك أنقذت مشاتنا من خطر محتوم.

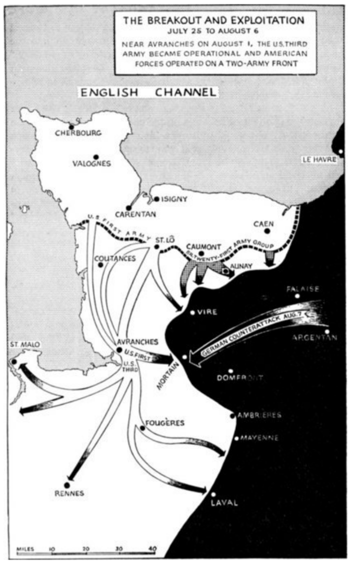

<u>الاندفاع واستثمار الوضع الجديد من 25 تموز إلى 6 آب</u>

عندما شعرت أنا وبرادلي بأن الألمان يحصرون هجومهم قمنا بدرس الحالة من جميع وجوهها، ووجدنا أن القوات التي لدينا في المنطقة تستطيع، لو اخترنا، أن تصد العدو وتمنعه من التقدم قيراطًا واحدا، ورأينا أننا إذا صممنا على إيقافه عند مورتان نؤخر إرسال الفرق التي قررنا سابقًا إرسالها إلى مؤخرته وبذلك نضيع الفرصة السانحة لتحطيمه، وزيادة على ذلك كان الطقس قد تحسن جدا وأصبح من السهل علينا أن نرسل ألفي طن من المؤن جوًا إلى القوات التي قد يتمكن الألمان من قطع مواصلاتها معنا، وعندما أكدت لبرادلي أني مستعد لأن أمده بما يحتاج إليه جوًا، صمم، فورًا على أن يبقى في مورتان أقل ما يمكن من قواته، ويوجه بسرعة كل ما تبقى جنوبا وشرقًا ليطوق رأس الحربة الألماني. وكنت في مركز قيادته عندما اتصل تلفونيًا بمونتغومري وشرح له الأمر ومع أن هذا قال بالاحتفاظ بمورتان وافق إجمالًا على الخطة التي رأي من ورائها كسبًا كبيرًا، وترك لبرادلي أن

يفعل ما بدا له، ثم أصدر أوامره إلى جميع القوات بأن تركز كل ثقلها على إنجاح هذه الخطة.

هنالك عامل آخر جعلنا نقوم بهذه الخطة الجريئة، وهو ثقتي أنا وبرادلي بكفاءة قوادنا. ففي باتون، الذي سلمناه قيادة الجيش الثالث بعد فتحنا للثغرة في جبهة العدو، وجدنا قائدًا ماهرًا يعرف كيف يستغل تفوق وحداته المتحركة إلى أبعد مدى، فوجهناه إلى الميمن، بينما سلمنا قيادات ميسرتنا إلى الجنرال الصلب العود هودجيز ليشدد ضغطه على الألمان، وكلا القائدين حاد البصيرة سديد الرأي يجد علاجًا لكل مشكلة دون أن يرجع إلينا في الرأي.

جاءت الحوادث لتبرهن أن ثقة برادلي بمقدرته على الاحتفاظ بمورتان كانت في محلها بعد أن أرسل معظم قواته إلى مؤخرة العدو والقضية ليست هنا بل في إصابة الحكم في حالة دقيقة يتوقف عليها النصر أو الفشل، فلو استطاعت دبابات العدو ومشاته أن تخترق جبهتنا في مورتان لأصبح موقفنا خطيرًا للغاية، مع العلم أنّا كنا نستطيع أن نمون قواتنا المقطوعة بواسطة الطائرات، حتى نقوم فيما بعد بهجوم معاكس وتعود المياه إلى مجاريها أعني أنه لو تمكن العدو من قطع مواصلاتنا في مورتان لكان لنجاحه رنة كبرى في الأوساط العالمية، ولما كنا أحرزنا النصر الذي أحرزناه.

أوعز الجنرال برادلي إلى الجنرال باتون بأن يرسل الفيلق الخامس عشر نحو بلدة لافال ثم يتجه شمالًا إلى أرجانان، وأن يزحف الفيلق الثاني عشر شرقًا إلى أورلينز، وفيالق أخرى إلى

الأمكنة المعينة لها، بينما أمر مونتغمري الجيش الكندي بأن يشدد ضغطه جنوبًا على فليز ويجعل منه الاتصال بالفيلق الأمريكي المتقدم من أرجانتان ليقفل الطوق على قوات العدو المحصورة غربًا، على أن يتقدم الجيش الأمريكي الأول من الغرب شرقًا، والجيش البريطاني الثاني جنوبًا حتى يتساوى الضغط العظيم من جميع الجهات على جيش العدو ويسحقه حقًا. وأمرت قوات الجو بأن تضرب المواصلات على نهر السين من باريس جنوبا حتى الهافر شمالًا لكيلا يصل العدو أي مدد ولا يتمكن من التقهقر قبل أن يطبق الطوق عليه جيدًا.

قاربت فرقة المصفحات الأمريكية الخامسة مشارف أرجنتان في ليل الثالث عشر من شهر آب ثم تبعتها الفرقة المصفحة الفرنسية الثانية بقيادة الجنرال لكلير، ولحقت بهما الفرقتان الأميركيتان التاسعة والسبعون والتسعون لتشد أزرهما، بينما كان الألمان ما يزالون يقاتلون جنوبي كان في أمنع خطوط دفاع واجهناها في هذه الحملة. فلم يستطع الكنديون أن يحتلوا فاليز إلا في السادس عشر من آب.

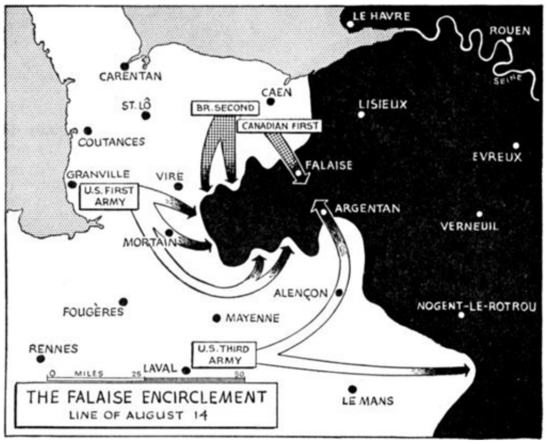
LE HAVRE
ROUEN
SEINE
CARENTAN
CAEN
ST. LÔ
BR. SECOND
LISIEUX
CANADIAN FIRST
COUTANCES
FALAISE
EVREUX
GRANVILLE
VIRE
U.S. FIRST ARMY
ARGENTAN
VERNEUIL
MORTAIN
ALENÇON
FOUGÈRES
MAYENNE
NOGENT-LE-ROTROU
RENNES
U.S. THIRD ARMY
0 MILES 25 50
LAVAL
THE FALAISE ENCIRCLEMENT
LINE OF AUGUST 14
LE MANS

تطويق فاليز

مشاة الفوج الثالث الأمريكي يتقدمون بحذر في مدينة زوابروخن الألمانية المشتعلة للتفتيش عن القناصة الألمان

وجهت في الثالث عشر من شهر آب رسالة شخصية إلى جميع ضباط الجيش، ومما ذكرت فيها:

«لا يمكننا أن نغتنم هذه الفرصة التي بين أيدينا إلا ببذل أقصى ما يمكن من الحماس والتصميم والعمل السريع، واني أتوجه شخصيًا إلى كل منكم أن يكون عند حسن ظني، وأرجو من كل طيار أن يجعل همه الوحيد قصف العدو ليلًا ونهارًا حتى لا يعطيه فرصة للقتال ولا للهرب وأرجو من كل بحار ألّا يدع مجالًا للعدو أن يهرب أو أن يستلم المدد من أي نوع بحرًا. كما اني أتوجه إلى كل جندي أن يتقدم إلى الأمام نحو هدفه وألّا يعطي فرصة لأحد من رجال العدو أن يحيا إلا إذا استسلم، لا ترجع خطوة واحدة عن الأرض التي غنمتها ولا تسمح لعدو أن يجد مفرًا من خطوطك».

لما كانت معظم قواتنا تقوم بهجومها على العدو من خط يشبه نصف دائرة عظيمة، وتتجه نحو مركز واحد، أصبح من الصعب علينا أن نعين المكان الذي يجب أن تقف عنده كل وحدة من وحداتنا خوفًا من أن تصلي بنيرانها قوات حليفة تقترب نحوها من

الجهة المقابلة.

كان على قوات برادلي الزاحفة من أقصى الغرب أن تقطع مسافة أعظم من المسافة التي يقطعها الجيش البريطاني والجيش الكندي، ولكن هذين الاخيرين واجها مراكز دفاعية قوية أعدها العدو من قبل، فلم يستطيعا أن يشقا طريقهما إلا على حطام معاقل الألمان وجثثهم ومع أن الجنرال مونتغومري حاول أن يبقى على اتصال بجميع قوات الجبهة، فإن سرعة تقدم القوات الأمريكية ضيقت عليه ذلك فاختلط الحابل بالنابل، وكثيرًا ما توقفت وحدات الحلفاء عن العمل خوفًا من أن تضرب بعضها وتمكنت بعض القوات الألمانية المتحركة من أن تتسلل هاربة وتنجو بنفسها، ولولا ذلك لتحولت المعركة إلى عملية افناء أو أسر تامين، لا مجال لعدو أن ينجو من أحدهما.

كنت في مركز قيادة الجنرال برادلي حينما بدأت الرسائل ترد من بعض قواد الوحدات الأمريكية المتقدمة محتجة على ما صدر من أوامر بوقوفها، لأن ذلك أتاح للألمان فرصة النجاة فوافقت على رأي برادلي معتقدًا أن توقف العمليات الحربية من قبل بعض وحداتنا واتاحة الفرصة أمام بعض الألمان أن يهربوا أفضل من أن تتحول المعركة إلى كارثة فيقتل الأصدقاء أصدقاءهم خطأ.

قاوم العدو بشراسة تجاه الكارثة التي تواجهه، وبذل المستحيل ليبقي فوهة الجيب مفتوحة ليتمكن من النجاة وقد ركز القواد الألمان همهم على تخليص وحداتهم المصفحة وتوقفت بعض فرقهم أن تفر إلى ما وراء نهر السين ولكن على حساب كل

معداتهم التي خلفوها وراءهم. وكانت حصيلة المعركة أنّا أسرنا ثماني فرق مشاة من الألمان، وفرقتين من المصفحات كاملتين. لا شك في أن أعظم مقتلة حدثت في فاليز وما جاورها، فالأزقة والطرق والحقول والساحات كانت تغص بالمعدات المحطمة وبجثث الرجال والحيوانات، مما جعل المرور من أصعب الأمور حتى على الراجل، وقد زرت تلك الساحة بعد انتهاء المعركة بثمان وأربعين ساعة ماشيًا، ووقع بصري على مناظر لا يستطيع وصفها إلا دانتي ولكي يدرك القارئ بعض ما شاهدت ليتصور أن رجلًا صمم أن يسير مسافة مئات الأمتار دون أن تلامس قدماه الأرض، فجال يخطو من جثة إلى أخرى مدة من الزمن.

ما فتئت قواتنا تطارد فلول العدو شرقًا حتى قطع نهر السين. وبينما كانت جنود برادلي تتجه نحو باريس، ارتد الفيلق الثامن الذي يقوده الجنرال مدلتون إلى الغرب ليحتل شبه جزيرة بريتني، ولما كنا نعتقد بالاستفادة من مرفأي كيبورن وبرست أوصيناه بأن يطهرهما من العدو، لكن المقاومة التي صادفها هنالك جعلتنا أن نأمره بعدم التفريط بأرواح الجنود بل يكتفي بضرب نطاق من الحصار حتى يستسلم المعسكر صاغرًا وذلك لأنه بعد منتصف آب ظهر لنا أننا سنتمكن عما قريب من احتلال مرافئ أفضل من برست.

قمت بزيارة للجنرال مدلتون، وهو يحاصر الألمان، لا تفقد الجهاز الدفاعي الذي يجب أن ندكه، فوجدت أنه يقوم بهجمات متتابعة بكل مهارة، الغاية منها تقليل عدد الإصابات بيننا وحشر العدو في مساحة أصغر فأصغر، ثم تقوم الطائرات بين الهجوم

والآخر بقصف مواقع الألمان، وهكذا دواليك آنا هجوم من البر وآنا هجوم من الجو حتى ينهك قوات العدو المؤلفة من جنود الصاعقة شديدة التعصف لنازيتها بقيادة الجنرال رماكي، فلم تسقط برست في أيدينا إلا في التاسع عشر من شهر أيلول لتعصب النازيين الذين استماتوا في دفاعهم ولعدم رغبتنا في موقع كتب مصيره إن عاجلًا أو آجلًا. فوجدنا المرفأ مدمرًا تدميرًا هائلًا جعلنا نضرب صفحًا عن استعماله كل مدة الحرب.

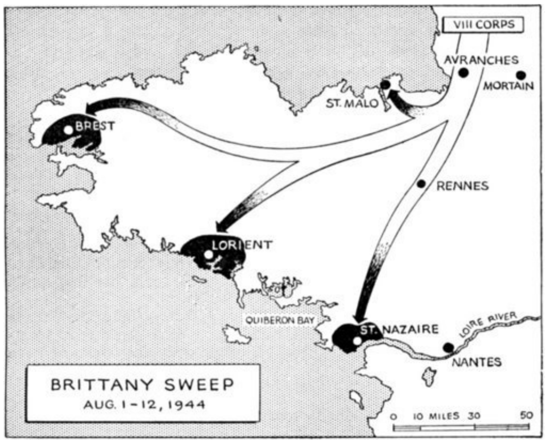

اكتساح بريتني من 1-12 آب 1944

بعد تطويقنا واسرنا لمعظم قوات الألمان غربي نهر السين، أصبح انكسار الألمان في غربي أوروبا أمرًا مفروغًا منه، وباتت القضية قضية وقت ليس إلا، ولكن الخطر الذي ذر قرنه فجأة هو أن شعبينا وحكومتينا أغرقا في التفاؤل حتى خشيت أن يؤدي ذلك إلى تراخيهما في الاستعداد.

ولذلك دعوت في الخامس عشر من شهر آب مؤتمر صحفي صرحت فيه بأن الصعوبة الكبرى لا تزال أمامنا على خطي سيغفريد والرين وقد حذرت رؤسائي من أنه ما يزال لدي الألمان قوات هائلة ولذلك يجب أن يبقى الإنتاج الحربي في بلدينا بالغًا أقصى مداه خوفًا من أن نصاب بنكسة لا يعرف وخامة عاقبتها، لأن الجيش الألماني سيخوضها حربًا يائسة إلا هوادة فيها ولن يستسلم إلا تحت ضربات صاعقة متكررة تدمر قواه وتشل حركاته.

الفَصُل الرابعُ عَشَر
المطاردة ومعركة التموين

أبقى العدو جيشه الخامس عشر متمركزًا في منطقة كاليه في إبان معركة الشواطئ، لاعتقاده بأننا سنقوم بغزوها ولذلك رفض أن يستعمل أي قسم منه في مساعدة جيشه في نورماندي ونحن بدورنا لم نبق وسيلة إلا واستعملناها لنخدعه، ونزيده يقينًا بأن ما ذهب إليه هو الحقيقة بعينها. ومن الطرق التي التجأنا إليها تسمية قواد وهميين لجيوش وهمية، أعلنا بأنها لا تزال في بريطانيا. فجعل عملاؤه يرسلون التقارير بذلك. فاستنتجت القيادة الألمانية إن تلك الجيوش تنتظر دورها لتقوم بغزو جبهة كاليه.

بعد اللتيا واللتي بدأت الحقائق تظهر واضحة أمام العدو، واطلعنا نحن بدورنا على ما ادرك، وذلك لأن قلم الاستخبارات في كل جيش محارب يحصر همه في اكتشاف الوحدات التي يتألف منها جيش خصمه ومنذ أواخر تموز بدأت التقارير تصلنا بأن بعض فرق الجيش الخامس عشر الألماني جعلت تجتاز نهر السين لتشترك في معركة نورماندي، ولكنها لم تصل إلا بعد فوات الأوان لأنه لم يدخل جندي منها إلى هذه الجبهة إلا وأصبح طعمة للنيران دون أن يحدث أي تأثير في مصير المعركة. ففي ذلك الانكسار الساحق الذي عاناه الألمان في جبهة نورماندي، أسرت عدة فرق جيء بها من جنوبي فرنسا، ومن بريتاني ومن جبهة كاليه، ومن ألمانيا نفسها. ولما فشلت كل تلك القوى في المعركة،

ووقعت في الأسر، بات العدو أضعف من أن يقيم جبهة صامدة في وجهنا. فجعل يقاوم مقاومة متقطعة ثم يركن إلى الفرار.

عندما اتسعت جبهة القتال في أوائل آب أجرينا تقسيم قواتنا إلى أربع وحدات. الوحدة الأولى وتتألف من الجيش الأمريكي الثالث بقيادة الجنرال با تون واتخذت مركزها في الميمنة والوحدة الثانية تتألف من جيش الولايات المتحدة الأول بقيادة الجنرال هدجز، وكان مركزها جنبًا إلى جنب مع يسار الجيش الثالث. وقد عينا الجنرال عمر برادلي قائدًا عامًا عليها، والوحدتان الثالثة والرابعة تتألفان من الجيش البريطاني الحادي والعشرين بقيادة الجنرال دمبسي. وقد اتخذت الوسط مركزًا لها بينما الجيش الكندي الأول كان بقيادة الجنرال كريرار، وكان مركزه في أقصى اليسار. وعين الجنرال مونتغمري قائدًا أعلى لهذين الجيشين. والقوة الجوية البريطانية التي تساند مجموعة جيوش مونتغمري البرية وضعت تحت قيادة مارشال الجو كوننغهام بينما ساندت قوة الجو التاسعة الأمريكية بقيادة الجنرال فاندنبرغ مجموعة جيوش برادلي. وكان الجنرال وايلاند، والجنرال كيزادا، يعاونان الجنرال فاندنبرغ في الجو.

وكانت مهمة قوات الطيران أن تقوم بالهجوم الذي يأمر به قواد البر، على أن مجموعة كل القوات الجوية البريطانية والامير كية كانت تابعة لأمر مارشال الجو مالوري ولذلك أصبح في مقدور القيادة العليا لحملة الحلفاء أن تطلب من مالوري أن يوجه تلك المجموعة الجوية بكاملها إلى أية نقطة ترغب. وإليك مثلًا عن تعاون تلك القوات عندما قام الألمان بهجومهم على مورتان في

قطاع برادلي خف سلاح الجو البريطاني إلى نجدته، وبلغ من حسن ترتيب قوات الجو أن القاذفات كانت تساند قوات البر بدقة، بينما كانت المقاتلات تعمل على حماية القاذفات كما تعمل على حماية جنود البر.

بلغت قوات الحلفاء في فرنسا في أواخر آب عشرين فرقة أمريكية واثنتي عشرة فرقة إنكليزية، وثلاث فرق كندية. وفرقة فرنسية وأخرى بولونية على أنه لم يبق لبريطانيا أي فرقة في بلادها ولكنه بقي لاميركا ست فرق فيها، ثلاث من الفرق التي تنقلها الطائرات. وبلغت قوة سلاحنا الجوي 4035 قاذفة و1720 قاذفة خفيفة ومتوسطة، وحاملة طوربيد وخمسة آلاف مقاتلة أضف إليها ألفي طائرة لنقل الجنود.

لا شك في أنه مهما كانت المجازفة التي يقوم بها جيش ضد عدو مضعضع منكسر خطيرة فإن لها ما يبررها، فنحن قد قمنا بحركات بعيدة في الجرأة، وكان الغرض منها أشغال العدو وضربه بسرعة، ومطاردته ومفاجأته والانقضاض عليه من الجو، وتطويقه من البر والهائه من ناحية لنباغته من ناحية أخرى. وقد تعرضنا لأكثر من خطر في سبيل نصر حاسم ولكن بعد أن نلنا من العدو المبتغى وأجبرناه على الفرار ورحنا نطارده، واجهتنا قضية التموين وكان لا بد من حلها.

ان الفرقة الواحدة، كما اسلفت، تستهلك إذا اشتركت في المعارك نحوا من سبعمائة طن من المؤن، يكون اكثرها ذخيرة إذا كانت الجبهة ثابتة، وزيوت وشحوم إذا كانت متحركة، وبعد أن بلغت

قواتنا ستًا وثلاثين فرقة في أوروبا، أصبح معدل استهلاكها اليومي أكثر من عشرين الف طن من المؤن، علينا أن نحملها من الشواطئ إلى الداخل على مسافات بعيدة، الجسور فيها معطلة والطرق مدمرة، والمرافئ خربة لا تساند على إنجاز عمليات التفريغ بسرعة أضف إلى ذلك إرسال المعدات لإصلاح المطارات والطرق وبناء الجسور. وكلما ابتعدت وحداتنا من الشاطئ افتقرنا إلى عدد أكبر من الشاحنات، لأن الوقت الذي تستغرقه الشاحنة ذهابًا وايابًا إلى جوار باريس هو اضعاف ما تستغرقه في جبهة نورماندي وبالاختصار إن كل ميل نزحفه إلى الأمام يضاعف صعوبة تموينا.

بعد أن أبدى العدو مقاومة شديدة في الشواطئ وخُذل، توقعنا أن يصمد على ضفاف السين لأن ذلك النهر يمنحه خطا دفاعيًا قويا. فلم نعر قضية التموين ألاهمية الكافية لأن السين قريب من الشواطئ. ولكن بعد أن رأيناه يسرع بفراره إلى ما هو أبعد من السين، واضطرت قواتنا أن تطارده مجتازة بعض الأحيان مئة كيلو متر في اليوم الواحد، ظهر أن مشكلة التموين تكاد تكون معركة في ذاتها لا بد من الانتصار فيها.

بعد التفكير وجدت أنه لا بدّ من إعادة النظر بما رسمناه من خطط ولاح لي أن العمل على تحرير مينائي مرسيليا وانتورب قد أصبح ضروريًا إذا كان لا بد لنا من الفوز في معركة التموين هذه لأن انتورب ليست أعظم مرفأ في أوروبا فحسب، بل إنها ايضًا الاقرب إلى حدود ألمانيا الغربية وسقوطها في ايدينا يوفر علينا كثيرًا من المصاعب والمتاعب ويسهل أمر حملتنا في القطاع

الشمالي على الاقل والذي جعلني أفكر باحتلال مرسيليا هو أن الألمان قد أضعفوا قواتهم هنالك في سبيل الدفاع عن نورمندي، فبات سقوطها مؤكدًا عند أول هجوم شنه عليها وإذا اسرعنا في غزوها منعنا عن العدو فرصة تخريب مرفئها فنضمن لميمنتنا خط تموين ممتاز وامين، وتبدأ السفن الآتية من أمريكا تفريغ حمولتها فيها وبما أن جهاز الخط الحديدي الذي يبتدئ في مرسيليا ويتجه شمالًا في وادي نهر الرون هو من أكفأ الخطوط الحديدية في فرنسا، فإن احتلالها يؤمن تموين كل قوات الحلفاء من الجنوب حتى دوقية لوكسمبورغ شمالًا.

لكي نحقق هذين الهدفين أصبح من الضروري أن تتجه ميمنتنا نحو الجنوب الشرقي لتتمكن من الاتصال بمجموعة الجيوش المتقدمة من الجنوب تحت قيادة الجنرال دفرز بعد أن تحتل مرسيليا، كما أصبح من الضروري في الوقت نفسه أن نخترق جبهة العدو الشمالية لنحتل المساحات القائمة عليها منشآت القنابل الموجهة والصواريخ الموجهة وننقذ جنوبي إنكلترا من شرها. والاهم من ذلك هو احتلال انتورب وما بعدها من مساحات لنؤمن استعمال مرفئها ولكن المشكلة ليست فيما يبديه العدو من مقاومة بل في ضعف جهاز المواصلات الذي قد لا يمكنا من إرسال المؤن والمعدات اللازمة لإنجاح الزحفين وبلوغ المأربين.

عندما تتحول العمليات الحربية إلى مطاردة سريعة كما حدث معنا في سهول فرنسا في اواخر شهر آب وأوائل أيلول، يبدأ كل قائد فرقة فما فوق يلح في طلب المؤن ليتمكن من مواصلة زحفه وكسر العدو، ولا شك في أن مثل هذه النفسية تربح الحروب. لأنه

إذا ما تحلى القائد بعقلية المبادرة والثقة بالنفس والشجاعة والإقدام ربح نصف الجولة. وعندما اندفعنا في مجالات فرنسا وبلجيكا أخذ كل قائد يطالب بأن يعطى الأولية في توزيع المدد ليستغل، على أكمل وجه، ما فتح أمامه من فرص لقهر العدو.

في اواخر صيف 1944 عرفنا من مصادر لا يتطرق إليها الشك أنه ما يزال لدى الألمان قوات احتياطية مهمة في بلادهم. فإذا حاولنا التغلغل في داخلها على جبهة ضيقة وبقوات قليلة حتى ولو بلغت الاثني عشر فرقة، فإننا لا نستفيد كثيرًا، هذا إذا لم نغرض تلك الفرق للتطويق والإبادة فصممت على أن نعمل فقط على الاتصال بقوات الجنرال دفرز في منطقة ديجون، بينما يقوم الجنرال مونتغومري في الميسرة بهجوم سريع ليحتل انتورب، على أن يزحف الجيش الأمريكي الأول بقيادة هودجز إلى الأمام على ميمنة الجيش البريطاني نحو أخن ليحمي ميمنة مونتغومري، وكنا نرجو أن يؤدي هذا الاندفاع نحو الشمال الشرقي إلى ضعضعة قوات الألمان واحتلال رأس جسر عبر نهر الرين، فنهدد بذلك حوض الرور الذي يمون الجيوش الألمانية بصناعة الحرب.

في المؤتمر الذي عقده الحلفاء مع الجنرال ستالين في طهران سنة 1943 أخبر الرئيس روزفلت قادة الروس بأن مهاجمة فرنسا من الجنوب هي جزء متمم لعملية غزو أوروبا من بريطانيا. وكنت أنا من المحبذين والداعين لهذه الحركة، وكان مبدئي أبدا مقاومة إلغائها وقد ساندني في ذلك الجنرال مارشال، ولا شك في أن البدء بها كان يتوقف على استعداداتنا في تلك الناحية. ففي

الخامس عشر من شهر آب نزلت عشر فرق من قوات الحلفاء إلى الشرق من مرسيليا في جنوبي فرنسا وأخذت تزحف شمالًا في وادي نهر الرون دون أن تلاقي مقاومة تذكر، فاحتلت مدينة ليون في الثالث من أيلول وفي الحادي عشر منه اتصلت قوات الجنوب بقيادة الجنرال بانش بقوات الجنرال باتون الزاحفة من الغرب عند مدينة ديجون. فأصبحت قواتنا في فرنسا جبهة واحدة تابعة جميعها لقيادتي منذ الخامس عشر من أيلول.

في اواخر آب واجهتنا قضية تحرير باريس من الألمان منذ بدأت قاذفاتنا غاراتها على مواصلات العدو قبل أن تبدأ غزوتنا لأوروبا أعطيت تعليمات لطائراتنا بألّا تمس باريس العظيمة بسوء بل تكتفى بدك المواصلات الواقعة خارجها. وبعد أن احتللنا حوض السين فضلنا ألّا تهاجم باريس ونعرضها للضرب واكتفينا بمحاصرتها إلى أن تستسلم القوات الألمانية المعسكرة فيها، وفي الخامس والعشرين من شهر آب سنة 1944 وصلتنا الأخبار بأن قوات الألمان فيها قليلة وليست مستعدة لأن تقاوم فرأى الجنرال برادلي أن يكون شرف دخول العاصمة الفرنسية للفرقة الفرنسية بقيادة الجنرال ليكلير. ولهذه الفرقة قصة ممتعة تشبه ملحمة الاوديسي.

بدأ الجنرال ليكلير بإيعاز من الجنرال ديغول في إنشاء هذه الفرقة في غربي إفريقيا الفرنسية منذ ثلاث سنوات واتجهت شمالًا من غينيا تشق طريقها في الصحراء الكبرى وانضمت إلى الجيش الثامن في آخر مرحلة هناك والآن 25 آب سنة 1944 تسلم قائدها خضوع حامية باريس الألمانية، وبعد ذلك واصلت زحفها

شرقًا حتى برتشسغادن مقر هتلر نفسه في الجبال.

على أنه قبل أن يستسلم الألمان جميعًا جرى بعض القتال مما دعا إلى اشتراك الفرقة الرابعة الأمريكية في العمل ولحسن الحظ لم يسبب القتال والقليل الذي حدث ضررًا يذكر في المدينة، والذي يهمنا في الموضوع أن كل جسور المدينة بقيت صالحة. وبعد احتلالها اوعزت إلى الجنرال ديغول أن يدخلها دخول الظافر كرمز لإنتصار الفرنسيين الأحرار قبل أن أدخلها أنا.

ثم طلبت من الجنرال مونتغومري أن يرافقني في زيارتي لباريس وتهنئتي الجنرال ديغول الذي اتخذ مقره في إحدى دور الحكومة هنالك، فاعتذر مونتغومري لإنشغاله بتطور الأحوال في جبهته، وفي السابع والعشرين من آب قمت والجنرال برادلي بزيارة الجنرال ديغول الذي أحاط نفسه بالحرس الجمهوري، كما زرت الجنرال جيرو والجنرال كونغ قائد قوات فرنسا الحرة الداخلية. وبينما كنا نتجول في المدينة وعندما وصلنا قوس النصر ميزنا الباريسيون وفي سرعة جرى لنا احتفال جماهيري لم نكن نتوقعه، مما جعلنا أن ننسحب بسرعة إلى مركز قيادة الجنرال برادلي.

عندما كنت في المدينة كشف لي الجنرال ديغول عن بعض المشكلات التي تسبب له القلق، وأهمها يدور حول النقص في الأغذية وسائر المؤن كاللباس لجنوده.

وابدى رغبته في زيادة المعدات العسكرية ليتمكن من زيادة الفرق الفرنسية في جيش الحلفاء وطلب فرقتين اميركيتين لتساعده في اقرار الأمن في المدينة ووضع حد للفوضى فتعجبت كيف أن من

يدعي زعامة فرنسا يحتاج إلى فرق أمريكية ليتمكن من ارجاع الأمن إلى نصابه في عاصمته. ولما لم يكن في استطاعتي الاستغناء عن فرقتين ليمكثا في باريس مدة طويلة، وعدته بإرسال فرقتين لتتظاهرا في المدينة وهما سائرتان إلى الجبهة ولا مانع من أن يجري هو نفسه استعراضهما، لعل ذلك يرفع من هيبته، كما وعدته بأن يقف الجنرال برادلي إلى جانبه كرمز لوحدة الحلفاء، وهكذا جرى.

انتقدت بعض الصحف البريطانية ذلك العمل واتهمت الأمريكيين بأنهم مغرمون بحب العرض والظهور وتساءلت لماذا لم يشترك أحد من الجنود البريطانيين الذين يقاتلون في سبيل تحرير فرنسا في هذا العرض وأنحت باللوم على الحليف الذي يحاول اكتساب المجد على حساب حلفائه، على أن المقامات الرسمية البريطانية كانت على علم بما جرى. لكن بعد أن انكشفت الحقائق اعتذرت تلك الصحف وابدت أسفها عما حدث. ولم يكن للحادثة أهمية في نظري سوى الحذر وزيادة الاعتقاد بأنه يتوجب على القائد أن يصارح الرأي العام بما يجري، لأن ذلك يوفر عليه الانتقاد وسوء الفهم.

كان لتحرير باريس من الألمان صدي بعيد في انحاء العالم، أنه جاء دليلًا قاطعًا على أن نهاية هتلر قد قربت، لأن خسائر العدو كانت باهظة جدًا. ومنذ وطأنا شاطئ فرنسا عزل هتلر ثلاث مارشالات من قياداتهم. أما رومل فقد أصيب بجروح خطيرة عندما فاجأته إحدى مقاتلاتنا في التاسع عشر من شهر تموز، وبعد بضعة أشهر أجبر على تناول السم ليتخلص من محاكمة

النازيين الذين اتهموه بأنه اشترك في المؤامرة التي حيكت لإغتيال هتلر في العشرين من تموز وقد قتلنا وأسرنا قائد جيش واحد، وثلاث قواد فيالق وخمسة عشر قائد فرقة وخسر العدو 20.000 قتيل أو جريح أو أسير كما خسر 1300 دبابة و20.000 عربة و500 مدفع كبير و1500 مدفع ميدان و3000 طائرة، حتى أن سلاح الجو الألماني اختفى من سماء المعارك تمامًا. فضعفت معنويات الألمان وعلى الأخص الضباط منهم، على أن الجيش ككل لم يصل إلى الدرجة التي تجعله أن ينحل ويستسلم بكثرة، بل بقيت أكثر الفرق صامدة في إيمانها بالقضية الألمانية إن لم يكن بالنازية مما جعلها تبدي مقاومة ضارية.

في احتلالنا لباريس سبقنا ما كان مقدرًا قبل البدء بالغزوة بعدة أسابيع ولكن في مشكلة التموين كنا لا نزال متأخرين عن المقدر، لأن سرعة التقدم بالزحف لم يترك مجالًا لإصلاح الطرق فبقيت المنشآت والعنابر والمخازن بعيدة في المؤخرة.

عندما نجح عدد لا بأس به من الألمان في الافلات من الفخ الذي نصبناه لهم اعتقدنا أنهم سينضمون إلى القوات التي لا تزال معسكرة في كاليه ويشكلون جبهة جديدة يثبتون فيها. ولهذا رحنا نفكر بنصب فخ آخر لهم حتى من نجا في المرة الأولى يعثر في المرة الثانية والفخ هذه المرة هو عبارة عن إنزال عدة فرق وراء العدو بالطائرات، بينما تطبق قوات المصفحات والمشاة عليه من الغرب، ورأينا أن تحدث عملية الإنزال في منطقة بروكسل فأمرنا في العاشر من شهر أيلول طائرات النقل بأن توقف نشاطها بنقل المؤن وتستعد العملية نقل أخرى أكبر وأهم. ولكن سرعان ما

أدركنا أن العدو قام بحركة انسحاب عام وسريع وفرت علينا فرصة تطويقه.

_

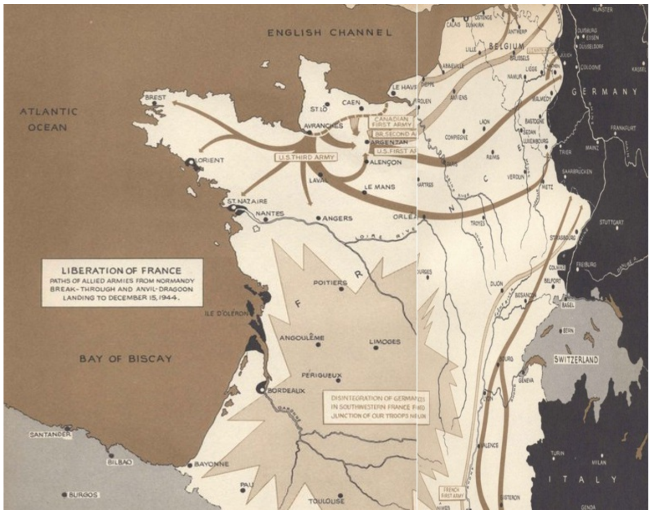

<u>تحرير فرنسا</u>

وفي أثناء ذلك قمنا بضغط شديد على العدو على طول عرض الجبهة، واستطاعت رؤوس الحربة البريطانية أن تقطع مسافة 195 ميلًا في مدة أربعة أيام، وهكذا فعلت طلائع الجيش الأمريكي على يمينهم وفي الخامس من أيلول، قطع الجيش الثالث الاميركي نهر الموزيل ووصل نانسي بينما جعلت طلائع الجيش الأمريكي الأول بقيادة هودجز تضرب خط سيغفريد قرب أخن وفي الرابع منه دخل جيش مونتغومري مدينة انتورب قبل أن يدمرها الألمان ولما كانت مرسيليا قد سقطت في أيدينا في 28 آب فقد أصبح أملنا كبيرًا في حل مسألة التموين.

ان انتورب، مرفأ داخلي يتصل بالبحر بواسطة مصب نهر الشلد الذي يخترق هولندا من الجنوب إلى الشمال وقد بقيت خطوط دفاع العدو القائمة على مشارف مصبه سليمه. وكان علينا أن نطهر تلك الناحية حتى نتمكن من استعمال المرفأ وليس في أيدينا إلا الجبهة الغربية، أما في الجنوب الشرقي والشمال الشرقي

فمداخل النهر في يد العدو، وهنالك جزر واشباه جزر ليس من السهل الاستيلاء عليها. فتركت للجنرال مونتغومري أن يتدبر الأمر بالتي هي أحسن لتصبح الطريق أمام سفننا أمينة في دخولها الميناء وتكفينا مؤونة مشكلة التموين. أن المسألة لا تتحمل التأخير، طرد العدو أولًا وتأمين الطريق البحري إلى المدينة، وبعد هذا ننظر في أمر استئناف الزحف إلى ما وراء الرين وإلى قلب ألمانيا لأننا إذا أمنا وصول المدد الكافي وبالسرعة المتوخاة فزنا بكل شيء وأصبح تحطيم العدو من الهنات الهينات.

بينما كانت جهودنا منصبة على هذا الموضوع إذ بالجنرال مونتغومري يقترح علينا بغتة أن نمده بما يلزم من المؤن حتى ينطلق بقوة نحو برلين فيحتلها وينهي الحرب بسرعة. واني أعتقد أن حضرته اقتنع ببطلان ما ذهب إليه على ضوء ما تكشف أمامه من حقائق ووقائع فيما بعد، ولا شك في أن الذي أوحى للجنرال بهذه الفكرة هو ما بدا من تضعضع الجيوش الألمانية التي كنا نطاردها. وقياسًا على ذلك ظن أن التضعضع شمل القوات الألمانية بأجمعها، فلا بأس إذن من مده بالمؤن ليندفع إلى برلين ويضع حدًا للحرب.

في أوائل أيلول بينما كنت أتفقد خطوط الجبهة من الجو فاجأتنا عاصفة اضطرتنا أن نهبط على الشاطئ، واذ بدا أن الماء يكاد يطغي على الطائرة جعلت أنا والطيار نشد بها جانبًا، فأصابني صدع في ركبتي آلمني كثيرًا حتى صعب على السير، فأتكأت على طياري لأبتعد عن الماء بينما كنت اراقب الرمال بدقة خوفًا من انفجار لغم تحت أقدامنا لأن الألمان قد زرعوا ألغامهم في كل

تلك الناحية قبل أن يولوا الأدبار، وبعد لأي وصلنا إلى طريق منعزل وجعلنا ندب يائسين من اية مساعدة. بينما كان المطر الشديد ينهمر علينا، ومن حيث لا ندري يسر لنا الله مرور دورية من ثمانية جنود مكتظين في جيب واحد، ولما اقتربوا عرفوني، فقفزوا جميعًا إلى الأرض وحملوني إلى جانب السائق، والله أعلم كيف حشروا أنفسهم جميعا في المقعد الخلفي مع الطيار.

بقيت طريح الفراش مدة يومين أثر الصدع، فنشر أحد الصحفيين خبر تغيبي عن العمل وأول ذلك بأنه ناتج عن مرض ألم بي، فخوفًا من أن يؤدي ذلك إلى قلق عائلتي اضطررت أن انشر بدوري السبب الحقيقي الذي منعني من الذهاب إلى مكتبي هذا وقد أرسلت تحريرًا إلى امرأتي أطمئنها.

مع أن الحركة كانت لا تزال صعبة علي قمت برحلة إلى بروكسل لإجتمع بالجنرال مونتغمري لأبين له حقيقة وضع التموين عندنا. وكان في رفقتي كل من مارشال الجو تدر والجنرال جيل واظهرت له حاجتنا إلى استعمال مرفأ انتورب، واشرت إلى أنه إن لم نقم جسور السكة الحديد على نهر الرين وندخر كميات كبرى من المؤن فلا نستطيع إيصال المدد إلى جيش كبير يتغلغل في قلب ألمانيا ويحتل عاصمتها، وبالآخر صرحت له بأني لا أوافق على ما اقترح لأن في ذلك هلاكًا للجيش الذي يندفع إلى قلب بلاد العدو دون أن يكون جهاز تموينه مضمونا.

أنا لا انكر أنه لو اوقفنا جميع العمليات على كل الجبهة في اواخر

آب وعملنا على تموين قطاع واحد من قطاعاتنا، أي قطاع، لاستطعنا اجتياز الرين باكرًا واقمنا لأنفسنا جسورًا عليه ولكن لو فعلنا ذلك لهدد الجوع بقية القطاعات.

كان الجنرال على علم بجبهته فقط، فرأى تجميد سائر الجبهات حتى يقوم هو بهجومه الخاطف ولكن لو جمدت سائر الجبهات لاستطاع الألمان أن يعبئوا كل قواتهم ضده حتى يجبروه على التوقف أو على التقهقر والجذلان. ولذلك أوضحت له أن أمرين فقط يهماني وأود تحقيقهما، الأول تطهير مداخل آنتورب من العدو لنتمكن من استعمالها، والثاني إقامة رأس جسر لنا على نهر الرين في منطقة أرنهيم لنقوم فيما بعد بحركة التفاف وراء خط سيغفريد، فتحمس مونتغمري لهذه النقطة.

كان من نتيجة مؤتمر بروكسل في العاشر من شهر أيلول أننا فوضنا مونتغمري بأن يؤخر مؤقتًا تطهير منطقة انتورب ويتفرغ لاحتلال رأس الجسر الذي نوهت عنه وليتمكن من ذلك وضعت تحت تصرفه جيش الحلفاء الأول الذي تنقله الطائرات بقيادة الجنرال بريتون على أن يبدأ الهجوم في 17 ايلول. ووعدته بأن أبذل جهدي في سبيل تموينه آبان العملية ومن بعد ذلك يعيد الكرة ويطرد العدو من منطقة انتورب فبدأ يستعد بنشاط.

حينما بدا إن كل شيء، عدا التموين، يجري على غاية ما يرام عقد رئيسا اركان حرب الدولتين مؤتمرًا في كويبك قررا فيه ألّا حاجة بعد الآن لإبقاء قوتي القاذفات المتمركزة في بريطانيا تحت قيادتي مباشرة بل وضعاهما تحت قيادة لجنة خاصة تكون

مسؤولة مباشرة لدى القيادة العليا المشتركة، فرأيت شخصيًا أن هذا التريث اخرق من اساسه ولكني لم اعترض عليه لأنهم ادخلوا فيه فقرة خاصة تنص على وجوب تلبية أوامر القيادة الأوروبية قبل كل شيء آخر.

الجنود الأمريكيون يخترقون الحقول في وجه انفجارات الطائرات الألمانية

احتج الجنرال سباتز بشدة على هذا الإجراء ولكني افهمته أنه لا يغير شيئًا بالنسبة لنا، لأن سلاح القاذفات سيبقى رهن اشارة منا، حتى أن هارس الذي كان من رأيه ربح الحرب بالطائرات فقط، انحاز إلى جانبنا وكتب يقول:

21 ايلول سنة 1944

عزيزي أيك:

لم نعد بموجب الترتيبات الأخيرة تابعين لقيادتك مباشرة ولكني أغتنم هذه الفرصة لأؤكد لك، وإن كنت لا تحتاج إلى تأكيد، أننا سنبقى على عهدنا مستعدين أن نلبي أوامرك كالسابق وثق بأننا نضع أقصى مهارتنا وآخر درهم من مجهودنا طوع أمرك وأقبل شكري شخصيًا وشكر معاوني لما أظهرته نحونا من حسن معاملة وتشجيع في الاقبال والادبار ونرجو أن يبقى التعاون الذي بدأ بيننا حتى النصر الأخير.

المخلص بيرت هارس

كلنا شعر بأن طرق المواصلات تغص بالحشد العظيم من

عرباتنا، لكن إدارة المؤن قامت بأعمال جبارة لتساعدنا على مواصلة عملياتنا، فعينت طرقا خاصة للشاحنات ذهابًا وطرقا أخرى للآياب. فجعلت العربات تسير بسرعة وانسجام تامين مدة عشرين ساعة في اليوم لكل شاحنة. وقد انتقينا سواقين جدد من الجنود ليعملوا مكان السواقين الاصليين عندما يأخذون راحتهم، هذا وقد عمل مهندسو سكك الحديد ليلًا ونهارًا في إصلاح ما تهدم من الجسور والخطوط وقد مددنا خط أنابيب للنفط من إنكلترا عبر القنال إلى القارة، ثم مددنا خطوطًا برية على سطح الأرض إلى مراكز التوزيع قرب الجبهات المختلفة. وفي كل ناحية بدا النشاط والشعور بالواجب على أكمل وجه.

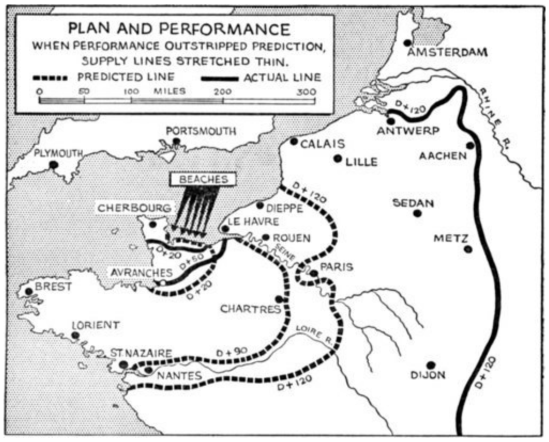

<u>الخطة والتنفيذ</u>

بعد أن انتهت الحرب وأخذت اجتمع ببعض زملاء من الروس، كان أول ما سألني أكثرهم كيف دبرنا أنفسنا في مسألة التموين مدة الاشهر الأولى من الغزو، حين لم يكن لدينا سوى موانئ نورماندي، ومع ذلك استطعنا احتلال فرنسا وبلجيكا ولكسمبرغ، وبدأنا نضرب أبواب ألمانيا. فشرحت لهم جهاز التموين الذين اتبعناه جوًا وبرًا وبحرًا، فأبدوا إعجابهم، ومما قالوه أن بين كل أعمال البطولة التي ظهرت من جميع الفرقاء سيخلد التاريخ نجاح الحلفاء في تموين جيوشهم التي طهرت أرض فرنسا ولربما كان قولهم هذا من قبيل المجاملة ولكني كنت أتمنى أن يسمع قولهم كل الذين ساهموا في جهاز التموين العظيم، واوصلوا الذخائر والزيوت والأطعمة والكساء وغيرها من معدات إلى الجبهات المختلفة...

بقطع النظر عما أبدته دائرة تموينا من أعمال مدهشة، فقد بقي الصراخ قائمًا من أجل النفط والذخيرة. ولو استطعنا مد رؤوس حرابنا بما تحتاج إليه كاملًا لكان احتلالنا لألمانيا أسرع بكثير مما

كان واعتقدت ولا أزال أعتقد أنّا لو خصصنا باتون بزيادة من المؤن ولو ضئيلة لاحتل متس، ولكن رأينا أن نوزع ما كان بين أيدينا على جميع الجبهات بقسطاس عادل.

تمكنت ميمنتنا أن تلتقي بجيش الجنرال بانش الصاعد من الجنوب في الحادي عشر من شهر أيلول، أي بعد سبعة وعشرين يومًا من نزول جيش الحلفاء في جنوبي فرنسا، فجعلنا همنا عندئذ إصلاح خطوط سكك الحديد في وادي نهر الرون، ثم تمكنا بفضل الاتصال مع جيش بانش من ايقاع كل القوات الألمانية المعسكرة غربي وادي الرون في المصيدة فبدؤوا يستسلمون زرافات زرافات. وفي يوم واحد استسلم عشرون ألف ألماني دون أن يطلقوا رصاصة واحدة.

نجح هجوم ميسرتنا على ارنهايم كما رسمنا لها الخطة في السابع عشر من شهر أيلول وأنزلنا ثلاث فرق بالطائرات من الشمال إلى الجنوب. وكانت الفرقة التي حلت في القطاع الشمالي في الفرقة البريطانية الأولى، وإلى ميمنتها الفرقة الأمريكية الثانية والثمانين، فالفرقة الواحدة بعد المئة وبدأت العملية بنجاح، إلا أن الطقس السيِّئ تدخل ومنعنا من إرسال المدد إلى الفرقة الإنكليزية، فنقص عليها التموين وهلك عدد كبير منها ففشلنا في إقامة رأس الجسر عبر الرين ولكننا نجحنا في تعديل خطوطنا البرية في منطقة أنتورب.

كان لمعركة ارنهايم صدي بعيد في كل مسرح من مسارح الحرب، لأننا قد أفرطنا تفاخرًا بإمكانيات فرقنا التي تحملها

الطائرات. فجاءت هذه المعركة لتبرهن عما إذا كان ما يزال في مقدور الألمان القيام بعمليات حربية شديدة أم أن الضعف دب في صفوفهم وأصبحوا عاجزين عن درء الخطر إذا فرض عليهم هجوم مفاجئ.

قامت فرقنا الجوية التي نزلت وراء خطوط الألمان بمجهود جبار، ولكنها تعرضت لهجوم من الألمان شديد فأيقنا أنه ما يزال أمامنا عراك شديد، فقاتلت الفرقة البريطانية الجوية الأولى قتال الجبابرة وصمدت صمودًا هائلًا في وجه هجمات العدو. وبذلك انقذت الفرقتين الأمريكيتين، ومكنت الجيوش الزاحفة على الأرض من التقدم مسافات شاسعة واحتلال مواقع مهمة ولكنها عانت كثيرا ولم يرجع إلا 2.400 من جنودها سالمين.

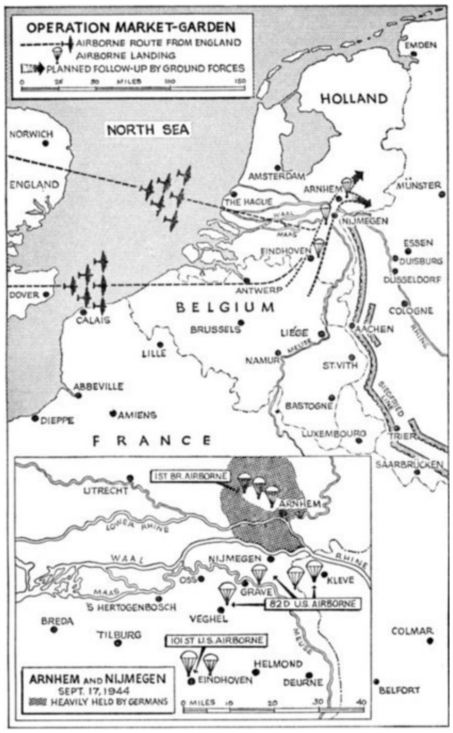

<u>عملية ماركت كاردن</u>

أصبحت بعد ذلك عملية احتلال مداخل آنتورب حيوية لا تقبل أي تأجيل ولما رأينا أن قوات مونتغمري قد انتشرت كثيرا بوصولها إلى الرين الاسفل أمرنا الفرقة الصفحة السابعة الأمريكية بقيادة الجنرال سلفستر وفرقة المشاة المئة والرابعة بقيادة الجنرل تري ألن الذي اشترك في معارك تونس وصِقِلِّية بأن تنضم إلى جيشه، ليتمكن من إنجاز مهمته.

تمكن الجيش الأمريكي الأول بعد زحفه الموفق من السين إلى حدود ألمانيا من احتلال مدينة آخن وهي إحدى بوابات ألمانيا، بعد أن أبدى العدو مقاومة شديدة. أما في الجنوب فبعد أن اتصل جيشانا أصبحت جميع القوات الموجودة في فرنسا، من البحر المتوسط جنوبا إلى مصب الرين تحت قيادتي وقد تألفت قوات

الجنوب من جيش الولايات المتحدة السابع بقيادة الجنرال بانش، ومن الجيش الفرنسي الأول بقيادة الجنرال دي لاتردي تسيني، كما تألفت قيادة الجنرال برادلي من الجيشين الأمريكيين الأول والثالث مع التاسع الذي تشكل حديثًا بقيادة الجنرال سمبسون، وبقيت قيادة الجنرال مونتغمري مؤلفة من الجيش البريطاني الثاني بقيادة الجنرال دمبسي، ومن الجيش الكندي الأول بقيادة الجنرال كريرار، على أن تبقى الفرق التي تنقلها الطائرات تابعة مباشرة للقيادة العليا.

عرفت في تشرين الأول أن مارشال الجو مالوري الذي كان قائدًا عامًا الجميع سلاح الحلفاء الجوي قد عين في مركز آخر من مسارح الحرب ومع أني ترددت في قبول نقله، لكني وافقت أخيرًا لعلمي أن الانسجام قد تبلور وبلغ درجة الكمال بين جميع الأسلحة. وقد أسفت لأنه قتل بحادثة طائرة وختم حياته كضابط من أجرأ الضباط الذين عرفتهم الحرب العالمية الثانية.

عندما كانت قواتنا تجتاح بلاد فرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورغ جعل السكان يستقبلون جنودنا بحماس منقطع النظير وقد وجدنا بأنهم في حالة فقر شديد يفتقرون إلى الغذاء والكساء والحرية. وعندما وجدوا أن احتلالنا لبلادهم قد رد إليهم حرية القول والعمل، نسوا جوعهم وأخذوا يهزجون ويقيمون الاحتفالات شأن من كان محكومًا عليه بالأشغال الشاقة مدى الحياة ثم اطلق سراحه. وذلك لأن تجارتهم مع أمم العالم قد توقفت، ومصانعهم حولت لصالح النازيين، ولم يشعروا بأن حياتهم اليومية متحررة من خوف السجن وما هو أوخم. فكانوا يطلعون على أخبار العالم

الخارجي من صحف واذاعة النازيين. وإذا تجرأ احدهم على أن يصغي خفية إلى اذاعات بريطانيا وأميركا، ويطلع على حقيقة ما يحدث فلا يجرؤ على نشر الأخبار بين السكان خوفًا من العقاب الشديد. فلا عجب إذن إذا شعروا بالجذل والسرور العظيمين.

أن الحكومات التي انشئت في البلاد الأوروبية التي حررناها كانت مستعدة أن تتعاون معنا بكل فرح. وقد قدموا ما نحتاج إليه من عمال واصحاب حرف. لكن المسلحين من الأنصار الذين نشطوا في الخفاء في مقاومتهم للألمان عندما رأوا بلادهم تتحرر غلبت عليهم العادة إذ رغبوا في أن يبقوا على سلاحهم ويعملوا على زيادة نفوذهم وبناء على ذلك لم يرضخوا إلى الأوامر التي أصدرتها حكوماتهم فسبب لنا مسلكهم هذا بعض القلق، ولكن سرعان ما تخلى رجالهم عنهم في سبيل طلب العيش. فهدأت الأحوال وسيطر الانسجام والسلام.

لما كانت فرنسا قد انقسمت إلى شطرين حسب معاهدتها مع الألمان سنة 1940، فقد نشأ فيها مقاومة سرية قوية جعلت تهاجم الألمان بشدة، وتسبب لهم الخسائر الفادحة وانقسمت هذه المقاومة إلى فئتين رئيسيتين، الفئة الأولى المؤلفة من عصابات من الفلاحين، وقد اكتفت بأن تقاوم الألمان في الريف لتبقى على مقربة من أراضيها والفئة الثانية هي العصابات التي نشأت في المدن، واكثرها من العمال الشيوعيين المتحمسين لمبدئهم، فهؤلاء لم يقبلوا أن ينضموا إلى قوات الحلفاء إلا ذا جعلت لهم قيادة خاصة بهم، فاحتارت الحكومة الفرنسية الحديثة في أمرها معهم، لأنها إذا تجاهلتهم فقد يشكلون وحدات مسلحة في داخل فر نسا

ويجعلون همهم الإخلال بالأمن والنظام. وإذا قبلت طلبهم فقد يؤدي ذلك إذا ما انتصروا إلى زيادة نفوذهم وشعبيتهم، وفي الآخر اختارت أهون الشرين فسلحتهم في وحدات خاصة المقاتلة الألمان.

كثيرا ما تباحثت مع الفرنسيين في أسباب انهيارهم السريع أمام الهجود الألماني. وقد ساد الاعتقاد في الخارج بأن ذلك يرجع إلى خط ماجينو، لأنهم اعتمدوا عليه، فأهملوا استعداداتهم العسكرية، ولكن القواد العسكريين منهم قالوا بأن خط ماجينو كان ضرورة قصوى، لأنه يمكن الفرنسيين من الدفاع عنه بقوات ضئيلة فيتنسى لهم تعبئة جيوشهم في الشمال لصد العدو وقد قال لي أحد مفكري فرنسا أن الفرنسيين قد غلبوا انفسهم بنفسهم لتفسخهم السياسي، ولرفضهم العمل أكثر من أربعة أيام في الأسبوع، بينما كان الألمان يشتغلون كل ايام الأسبوع.

وجدنا على العموم أن سكان البلاد التي حررناها يجهلون تماما أهمينة الدور الذي تلعبه أمريكا في الحرب، وذلك لأن دعاية النازي ارادت أن تقلل من شأننا وتهزأ بنا. ولكن لما انكشفت لهم تلك القوة الهائلة التي تتحلى بها الجيوش الأمريكية، وقفوا مشدوهين حياري. وقد حاولنا أن نوضح لهم حقيقة الأمر عندنا قبل أن نشترك في الحرب، لكننا لم نستطع، لأن ما وضعه الألمان في رؤوسهم في مدة سنتين لم نتمكن من ازالته في يوم واحد واكتفينا بالقول «ومن يعش ير». وتبين أن الدعاية الشيوعية في فرنسا وغيرها من البلاد قد اتخذت شكلًا خطيرًا مما عمل على اضعاف جبهة الديمقراطية وعلى الأخص في فرنسا.

لم يضعف التفسخ السياسي في البلاد المحتلة موقف الحلفاء العسكري، لأن الأكثرية الساحقة بين السكان كانت موالية لنا لكن الخطر كان كامنًا في بعض مواصلاتنا وبعض خطوط تموينا، لأنه لم يمكننا من القيام بهجوم سريع على قلب ألمانيا.

الفَصُل الخامِس عَشَر
معركة الخريف

على تخوم ألمانيا كانت جنودنا في أوائل أيلول تحتشد على الحدود الألمانية التي زادها العدو تحصينها الطبيعي، فأصبحت منيعة جدًا. فبدأت قوات الجنرال دفرز المؤلفة من الجيش السابع الأمريكي والجيش الفرنسي الأول تهاجم جبال الفوج الحصينة وإلى شمالي ذلك يقع خط سيغفريد ومن ورائه الرين، فأصبح لا يجرؤ على مهاجمتها إلا قوة كاملة المعدات مصممة على الفتح مهما كان الثمن غاليًا.

وكنا لا نزال نعتمد على المرفأين البعيدين في نورمندي، ولهذا بقي من المستحيل علينا حشد كمية كبرى من المؤن في الجبهة ومن المحتم أن لايتحسن الحال معنا حتى نتمكن من استعمال آنتورب ومرسليا، وقد كتب الجنرال برادلي في الحادي والعشرين من شهر أيلول يقول: «كلما صممنا على وضع خطة لعملية كبرى في المستقبل نجد نفسنا عاجزين. فلا بدّ لنا من طرد العدو من كل منطقة انتورب لأنه عندئذ وعندئذ فقط نؤمن على ما يصلنا من المؤن».

عندما اقبل فصل الشتاء ازدادت مشكلة التموين شدة لرداءة الطرق فراحت الشاحنات تغوص في الأوحال، وتتعطل عن العمل ولنقلل من اعتمادنا على الطرق اصلحنا خطوط السكك الحديدية

التي خربتها الحرب ومددناها إلى البحر رأسًا. وركزنا الرافعات الكبرى فجعلت تنقل الأحمال من السفينة إلى القطارات.

بينما كنا نخوض معركة التموين كانت قواتنا البرية تتزايد باستمرار فكان لنا مثلًا خمس وثلاثون فرقة في أوائل شهر آب في فرنسا، وفي أوائل تشرين أصبحت أربعًا وخمسين فرقة، وبالإضافة إلى ذلك ست فرق معسكرة في بريطانيا. وعلى كل لو قابلناها بما كان ما يزال لدى ألمانيا لوجدناها إنها تتفوق علينا عددًا في البر وقد انتشرت هذه القوات على جبهة طولها خمسمئة ميل تمتد من مصب الرين إلى حدود سويسرا. أما إلى جنوب ذلك فقد أبقينا بعض المعسكرات المتفرقة على حدود إيطاليا خوفًا من أن تتسرب بعض القوات الألمانية خلسة وتحدث الأضرار وبموجب هذا الترتيب أصبح على كل فرقة أن تحمي مسافة عشرة اميال.

اقترح علي البعض أن نتراخى في الهجوم على الألمان حتى نجمع كمية وافية من المؤن فأبيت ذلك وأمرت بمواصلة عملية إنهاك العدو ما أمكن وذلك العلمنا أن الألمان بدؤوا بتعبئة فرق جديدة ليعوضوا عما فقدوه في الاشهر السالفة واضطروا إلى أن يرموا بها في ساحات المعارك بعد تمرين صوري فأصبح القيام بمهاجمتهم يكلفنا اقل مما لو اعطيناهم المجال ليتموا تدريبها ومن الأمور التي اعرناها اهتمامًا هو الطلب من دوائر مخابراتنا معرفة ما يمني به العدو من إصابات بعد كل هجوم قمنا به عليه وذلك لنتحاشي مهاجمة القطاعات التي تكلفنا خسائر اكثر مما تكلف العدو، ونهاجم القطاعات التي تكلف العدو ضعفي ما تكلفنا،

هذا إلا إذا كان لنا مأرب خاص في هدف معين كسدود الرور.

نشبت معارك ضارية محلية على طول الجبهة في فصل الخريف كان من نتيجتها العامة تقصير أمد الحرب. وقد اشتهرت معارك جزيرة ويلتشرين قرب مصب نهر الشلد، وآخن وسدود الرور وحوض السار وجبال الفوج وأكثرها حدث في طقس سيِّئ للغاية وفي أرض وعرة تكثر فيها المزالق. وقد أبدى فيها جنودنا من ضروب الشجاعة ورباطة الجأش ما يحير الالباب ومما ساعدنا على التفوق على العدو وجود قوة جوية فعالة، تساند القوى البرية.

تشكل القوات الجوية من الناحية الفنية سلاحًا متنقلًا وسريع الحركة تستطيع القيادة العامة أن تضرب به أهدافًا مهمة وراء خطوط الجبهة بمئات الكيلومترات مدة طويلة من الزمن كما تستطيع أن تستعمله بصورة مركزة في ضرب خطوط دفاع العدو ودك تحصيناته بشكل لا تستطيع فعله المدفعية على أن سلاح الطيران لا يضارع سلاح المدفعية بإصابة الهدف وسلاح الجو يصيب بالضرر ولا يدمر تمامًا، وكم من مرة أغارت قاذفاتنا على مصانع العدو ثم استطاع العدو أن يصلح ما تضرر وينشيء ما تخرب في بضعة أيام أو أسابيع ولم نتمكن قط من تخريب طرق مواصلات العدو ونمنع عليه استعمالها لمدة طويلة على كل إذا استعمل سلاح الجو بصورة مركزة ووانته الظروف فإنه يشل صناعة العدو ومواصلاته ويسرع في اجباره على الركوع والتسليم.

لا بد من القول أن نتائج الغارات الجوية التي حدثت كل مدة الحرب من الجانبين لم تبلغ من الصحة ما ادعاه الخصم المغير على أن اللوم في ذلك الايقع على الطيارين الذين قاموا بالغارة بل على الصور لأن كل قاذفة مجهزة بالة تصوير، تسجل نتائج الغارة بصورة اوتوماتيكية ثم يجري فحص الافلام وتكبيرها ومع ذلك فإنها لم تعط التقدير الصحيح للدمار وقد تأكدنا من ذلك عندما كنا نحتل المكان الذي أغارت عليه القاذفات فنجد الخراب دائمًا أقل من الادعاء.

اذا كان قصد القيادة إصابة هدف بأكبر كمية من المتفجرات فليس لها إلا القاذفات. وهنالك نقطة أخرى أود أن أوضحها وهي أن قذائف المدافع تأخذ وقتا أطول قبل أن تنفجر في هدفها، فبعد أن تخرج من المعمل تحمل إلى الميناء ثم إلى السفينة ثم إلى مرفأ آخر فإلى القاطرة أو الشاحنة فإلى الجبهة فالي المدفع فإلى الهدف بينما قنبلة الطائرة تنقل من المعمل إلى المطار فإلى القاذفة فالهدف رأسًا، ومن كان في مثل وضعنا يتجرع الأمرين في جهاز تموينه يصبح الطيران أكبر ركيزة له في ضرب العدو.

من مهمات سلاح الطيران ابعاد خطر طيران العدو عن منشأتنا وجنودنا، ومعاونة الجيش البري في دك تحصينات العدو ولتسهيل احتلال الاماكن القوية التحصينات، وأكبر خصم لسلاح الطيران هو الطقس بما يجلبه من عواصف ويسببه من غيوم وضباب. ففي شهر كانون الأول سنة 1944 لم يسمح الطقس لطيراننا أن يكتشف قوات الألمان المتمركزة في جبهة الأردن في جنوب البلجيك، ولاضر بهم في أثناء تلك المعركة التي دارت هنالك.

وفي الطيران نقص آخر وهو عدم بقاء الطائرات في الجو إلا جزءًا من الوقت وكثيرًا ما حدث بعد أن رجعت طائراتنا المسيطرة على الجو لتعبئ الوقود أو القنابل إن اغتنمت طائرات العدو غيابها وأتت تضربنا.

كل قائد في العصر الحديث يحاول أن يقلد هانيبال في معركة كاني حين طوق جيش الرومان وأفناه، وسلاح الجو هو الأداة التي تدلك الجسور وتدمر المواصلات وتضربه المؤن وتمنع وصول المدد، وتساعد على قطع خط الرجعة. وبذلك يساعد سلاح الطيران جيش البر على تطويق العدو وافنائه وقد بلغت قوة سلاحنا الجوي في الخريف 4.700 طائرة مقاتلة و6.000 قاذفة قنابل و4.000 طائرة ناقلة جنود واستكشاف.

عندما بدأنا غزونا لشاطئ أوروبا خاصمنا الطقس بعواصفه إذ سجل أسوأ ما عرف من هيجان في مدة نصف قرن وعندما بدأنا نضرب أبواب ألمانيا سجل المطر أعلى مستوى ففاضت الأنهار وكثرت الأوحال وعامت الطرق والمعسكرات مما حد من النشاط العسكري.

كانت عملية تطهير مداخل مرفأ أنتورب من أعوص ما صادفنا في كل مدة الحرب وذلك لأن الألمان قد أعدوا من قبل مراكز دفاعية قوية ولم يتخلوا عن شبر من خطوطهم إلا بعد أن تصيبه قنبلة أو أكثر، ولأنهم زرعوه بالألغام الكثيرة. تحتم علينا أن نقوم بعملية هجوم جوي بحري وبري معا لندك الحصون وقد اوكل الجنرال مونتغمري الجنرال كريرار قائد الجيش الكندي بتنفيذ

الخطة وبدأت الاستعدادات لذلك في الرابع من أيلول بعد سقوط المدينة في أيدينا مباشرة.

تمركز العدو في جزيرة ولتشرين وفي شبه جزيرة بيفلاند شرقي مصب نهر الشلد كما يظهر على الخارطة ولا يمكن الوصول إلى بيفلند من الجنوب إلا عن طريق الرقبة. فقمنا بعملية إنزال من البحر على الرقبة بينما زحفت قوات برية من الجنوب فدخلت الفرقة الكندية الثانية إلى الرقبة من الجنوب وجعلت تهاجم الألمان، وكان الجنود يغوصون في الأوحال أحيانا إلى أوساطهم وهم يقاتلون ضد دفاع ألماني قوي جدًا، وقد هاجمت الفرقة البريطانية الثانية والخمسون بيفلاند من البحر في الجنوب في 20 تشرين الأول، فاتصلت الفرقتان الكندية والبريطانية في 27 وفي النهاية تطهرت شبه الجزيرة كلها من الألمان.

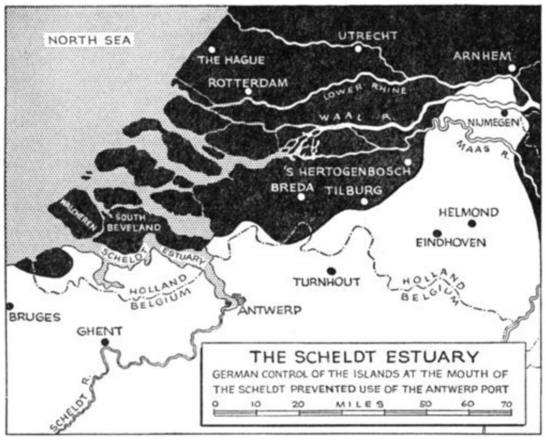

<u>معركة مصب نهر الشلد</u>

بدأ الهجوم على جزيرة ولتشرين في أول تشرين الثاني ضد تحصينات من أقوى ما واجهنا في الحرب الأوروبية، فجعلت مواعيننا الصغيرة تقترب من شواطئ الجزيرة وتشتبك مع بطاريات العدو لتشغلها عن الجنود المهاجمة فأصيبت المواعين بخسائر كبرى. ولكن ما أبداه البحارة من جرأة ومهارة خفف كثيرا من الإصابات بين الجنود التي نزلت إلى الجزيرة. ومما التجأنا إليه من وسائل المضايقة جنود العدو المتمركزة في المنخفضات أننا أرسلنا قاذفاتنا لتنسف السدود التي أقامها الهولنديون لصد مياه البحر عن أراضيهم، فكان إذا ثغرت السدود تتدفق المياه وتطمر جنود الأعداء وتحصيناتهم فساعدنا ذلك على احتلال الجزيرة.

في التاسع من الشهر انتهت مقاومة العدو باستلام 10.000 جندي ألماني مع قائد الفرقة، هذا بعد أن دفعنا ثمنًا باهظًا، إذ بلغت خسائرنا 27.000 قتيل وجريح من الإنكليز والكنديين بينما تمكنا من احتلال جزيرة صِقِلّية بعد خسارة 20.000 جندي وبعد

أن هزمنا جيوش الأعداء المؤلفة من ثلاثمئة وخمسين ألف جندي، وبعد مدة أسبوعين أنجزنا كنس الألغام وبدأنا باستعمال الميناء.

بدأت سفننا بإنزال حمولتها في انتورب في السادس والعشرين من تشرين الثاني ثم جعل العدو يضايقنا بسلاحين في المدينة، الأول بمهاجمة غواصاته الصغرى للسفن عند مداخل النهر، وقد استطاعت بحريتنا وطائراتنا طردها بعد بضعة أيام، والثاني أنه جعل يوجه قنابله وصواريخه الموجهة إلى المدينة فسبب كثيرًا من الخسائر بالنفوس والمساكن، ولكن السكان عرفوا كيف يواجهون المصيبة برباطة جأش.

لم تكن سائر الجبهات هادئة بينما كنا نطهر مداخل آنتورب، بل على العكس من ذلك. فإن كل قطاع كان يقوم بما يتطلب منه الواجب، فقد استطاع مونتغمري أن يقوم بزحف نحو الشرق في 15 تشرين الثاني وفي 4 كانون الأول قضى على آخر قوة للعدو غربي نهر الماس إلى الجنوب من جيش مونتغمري أمر الجنرال برادلي جيشه بأن يهاجم العدو غربي نهر الرين وقد اشترك بالهجوم الجيش الأمريكي التاسع والجيش الأول. وقد مهد لهجومه بقصف شديد من الجو إذ اشترك فيه 1200 قاذفة أمريكية و1188 قاذفة إنكليزية جعلت تدك مواقع العدو. ولكن التقدم كان بطيئًا وذلك لمنعة خطوط العدو الطبيعية والاصطناعية، وتورط الجيش الأول الأمريكي في معركة حرش هورتنجن، ولم يتمكن من استعمال سوى قوة المشاة لكثافة الأشجار المختبئ العدو وراءها وأخذ يصليها بنيرانه، وقد جعل جنود الفرق الرابعة والتاسعة والثامنة والعشرين يضربون المثل بشدتها وصعوبة

الخوض فيها لما حاق بها من عراقيل طبيعية عرف العدو أن يستغلها ولكن على الاجمال بعد خوض كل معركة كنا نجد أنفسنا قد قطعنا مرحلة أخرى إلى الأمام.

عندما وصلنا ضفاف نهر الرور واجهتنا مشكلة فنية وهي أن السكان كانوا قد أقاموا سلسلة من السدود على النهر لري مزروعاتهم فتحصن العدو وراءها وجعل يفتح بوابات السدود كيف شاء وبذلك يمنع علينا أي تقدم، فحاولنا دك السدود بقنابل الطائرات ولكن هذه لم تفعل شيئا يذكر في الخرسانة المسلحة. فإضطررنا أن نقوم بهجوم بري عليهم في منطقة جبلية صعبة كثيرة المزالق فأخفق زحف الفرقة الثامنة والعشرين. وفي 13 كانون الأول أخذ الجيش الأمريكي الأول على عاتقه مهمة الاستيلاء على هذه السدود وفي الوقت نفسه قام الجيش الثالث، في الثامن من تشرين الثاني، بهجوم على منطقة السار عن طريق متز وتمكن من إقامة جسور له عبر نهر الموزيل وفي أواسط الشهر اجتازت طلائعنا الحدود الألمانية، وفي 22 منه سقطت متز.

اصطدمت ميمنة الجيش الثالث بعد زحف سريع بأمنع قطاع من خط سيغفريد، وذلك في المثلث الواقع بين الموزيل ونهر الرين، وظهر أن الخط هنا يتألف من شعبتين، الأولى مجهزة بسلسلة من المصائد والاعشاش والحواجز، لكنها ليست عميقة المدى. والثانية مؤلفة من جهاز دفاعي قوي جدًا يبلغ عمقه نحوا من ميلين تكثر فيه القلاع الصغيرة والحصون الخفية والخنادق والحواجز، مما جعل الجيش الثالث يتباطأ بزحفه ثم يتوقف، لأنه لم يكن عندنا من

قذائف المدفعية ما يكفي لدى الحصون. وحاول جيش الجنرال دفرز الذي نزل من الجنوب أن يهاجم الألزاس ويضغط على منطقة السار من الجنوب ويشغل العدو هنا في جبهتين، واستطاع الجيش الفرنسي أن يخترق ممر بلفورت في مدة أسبوع ويصل إلى الرين، ويهدد بالتطويق ميسرة الألمان الذين يدافعون عن جبال الفوج فانسحبوا من أمام الجيش السابع الأمريكي الذي يقوده الجنرال باتش فتقدم هذا بسرعة إلى سهل نهر الرين.

في هذه الاثناء قمت بزيارة لمقر قيادة الجنرال دفرز لأطلع على ما يجري عن كثب، فأوعزت إليه بأن يأمر ميسرة الجنرال باتش بأن تزحف شمالًا لتلتقي بميمنة جيش الجنرال باتون التي تهاجم جبال الفوج من الشمال الغربي بعد أن تطهر جبهته من جميع الجيوب الألمانية.

من المستحسن أحيانًا أن يتجاوز الجيش الزاحف جيوبا للعدو الذي يتمركز في معقل حصين ويعزله إلى أن يستسلم، على أن هذا لا يجوز إلا إذا كانت الجيوب مطوقة من كل ناحية، لا يصله أي مدد. أما إذا كانت البقعة التي يتمركز فيها تهدد خط مواصلاتنا، أو تلزمنا لمواصلة الهجوم، فإبادة الجيوب أمر حيوي، ولهذا فاني شددت على الجنرال دفرز ألّا يقوم بأي نشاط حربي إلا بعد أن يزيل كل أثر للعدو غربي الرين الأعلى ما بين مدينة ستراسبورغ شمالًا وحدود سويسرا جنوبًا، حتى لا يبقى هنالك ما يسبب لنا أي ازعاج في المستقبل.

اعتقد الجنرال دفرز أن الجيش الفرنسي الأول الذي اجتاز ممر

بلفورت بكل نشاط وروح وثاب يستطيع بسهولة أن يصفي كل ما تبقى أمامه في منطقة كولمار من الجيش الألماني التاسع عشر. وكتب في هذا الخصوص يقول لي: «إن الجيش الألماني التاسع عشر كقوة قد أصبح في خبر كان»، وبناء على ذلك قدر أنه يستطيع تنفيذ أوامري في منطقة كولمار من دون مساعدة الفيلق السادس الذي يقوده الجنرال بروك، فأصدر أمره للفيلق بأن يزحف في سهل الرين شمالًا، شرقي جبال الفوج، ليتعاون مع الفيلق الأمريكي الخامس عشر الذي يهاجم جبال الفوج من الغرب، ليتمكن من الاستيلاء على السار.

يظهر أن الجيش الفرنسي الأول قد أصابه الوهن بعد أن قام بهجومه الموفق، فعجز عن تصفية الجيب الألماني الذي تمركز في مكان حصين في منطقة كولمار غربي الرين، فجر علينا بقاؤه هنالك بعض المصاعب وسبب كثيرا من الازعاج.

تحول القتال الذي جرى في أواخر الخريف على طول الجبهة من حدود سويسرا جنوبًا إلى مصب الرين شمالًا إلى أوخم نوع من المعارك عرفه جيش المشاة وأصبح التقدم بطيئا ومنهكًا وبات الكلام للمدفعية والذخيرة، وتعرض المشاة لخسائر باهظة، إذ فتك الرصاص بهم من ناحية والأمراض من الناحية الأخرى، فتباطأ زحفنا. وجعلت الحرب تدور بكثير من القرقعة ولا تتحرك كحجر الرحي.

تناقص عدد الرجال في كل فرقة من الفرق، وبات كل جندي صحيح الجسم مسؤولًا عن أن يقوم بقسطه وقسط من غيبه التراب

أو الفراش من رفقائه، إلى أن يخر هو بدوره اما صريعًا أو مريضًا، فوضعنا التقارير بهذا الخصوص ورفعناها إلى وزارة الحربية لكي تتدبر الأمر في الوطن، وترسل ما يعوض عن كل ما فقدته كل فرقة من الرجال لتتجدد القوي وتنتعش الآمال. ولما أدرك الجنرال مارشال ما نعانيه من نقص في الرجال، أرسل يقترح على إرسال الفرق المدربة التي لا تزال في الولايات المتحدة رأسًا دون أن تنتظر تسلم ما يلزمها من أسلحة ليحل رجالها محل من فقد في الوحدات التي تقاتل في الجبهة، فتتكامل الصفوف وتسترد فعاليتها من جهة، ويندمج الجندي الجديد بالقديم ويتدرب على يده من الجهة الثانية فقوي الرجاء وانتعشت الآمال.

بيد أن الآمال التي علقناها على وصول الوحدات الجديدة لم تتحقق كلها وذلك لأنه ما أن أقبل فصل الشتاء حتى باتت حاجتنا للجنود عظيمة لما اعترى صفوفنا من نقص في الرجال، فعندما أقبلت الوحدات من أميركا جعل القادة يخصصون اقطاعًا في الجبهة لكل وحدة جديدة ويزودونها بما تيسر من السلاح فجاء الترتيب على هذا النحو ناقصًا لافتقارنا إلى السلاح الثقيل ولتقصيرنا عن إعطاء بعض وحداتنا التي أنهكها التعب فرصة للراحة.

يحدث أحيانًا في كل مسرح حربي أن تكون الإصابات خفيفة بين عدد كبير من الجنود، وفي ظرف أسبوع يصبحون في حالة تمكنهم من الرجوع إلى صفوفهم، ولكن إذا كانت المعارك طاحنة فلا تستطيع القيادة ارجاعهم إلى الوحدات التي كانوا فيها بل ليسدوا الفراغ في وحدات غيرها، فيؤثر ذلك على نفسياتهم ويخلق شيئًا من تضعضع معنوياتهم ومع ما بذلنا من جهد في معالجة هذه

الناحية في شتاء سنة 1944 لم نتمكن من ارجاع كل معاني إلى وحدته الأصيلة فبقي النقل والتبديل سنة لا علاج لها، فالحرب هي الحرب.

قسم من مدينة كولون الألمانية وقد تحول الي أنقاض بفعل الجوية والبرية الحليفة

تبقى مشكلة القيادة الكبرى في الحروب وهي الحفاظ على معنويات الجنود ومن الأمور التي توصلنا بها لذلك هي منح عدد من الجنود عطلة ينقطعون فيها عن واجباتهم الحربية ليذهبوا إلى باريس أو لندن أو أية مدينة أخرى يتمتعون فيها بقسط من الراحة والرفاهية تقوي فيهم الرجاء وتنعش الآمال كما أنشأنا مراكز خاصة في المناطق الامينة وراء الجبهة تؤمها وحدات صغيرة كاملة يتسني فيها لكل جندي أخذ حمام وإن يصرف ليلة أو اثنتين في فراش وثير دافئ، وأنشأنا ناديًا للحلفاء في نزل من أكبر نزل باريس لا يستقبل إلا الجنود الذين يزورون المدينة من الجبهة، واعتمدنا على الصليب الأحمر وغيره من المؤسسات ليوفر وسائل الراحة والترفيه للجنود أثناء إقامتهم هنالك.

حدث في إبان الحرب العالمية الأولى أن الجيش الأمريكي لقي العطف والمساعدة من منظمات أهلية مختلفة عملت على توفير

الضيافة والترفيه له، ولكنه نشأ عن تشابك الصلاحيات وحماس بعض المؤسسات والافراد من الجنسين نحو الجنود عدة مشكلات إدارية واجتماعية، مما جعل وزارة الحربية أن تعهد إلى مؤسستين فقط أمر الترفيه عن الجنود في الحرب العالمية الثانية، وهما مؤسسة الصليب الاحمر ومكتب الاتحاد الاجتماعي، فقاما بخدمات جليلة عجز الوصف عن مدحها، فأسسا النوادي والمقاهي للجنود وأقاما لهم الحفلات المختلفة، وقدما ما لزم من النصح والارشاد وطرق الوقاية من الانهيار الاخلاقي، ولم يبخلا بشيء مما يجعل المحاربين يشعرون كأنهم في بيوتهم وإن كانوا يبعدون عن أمريكا ألوف الأميال، فجاءت تلك الافعال بركة وسلامًا في تلك المعارك التي تشيب لهولها الأطفال.

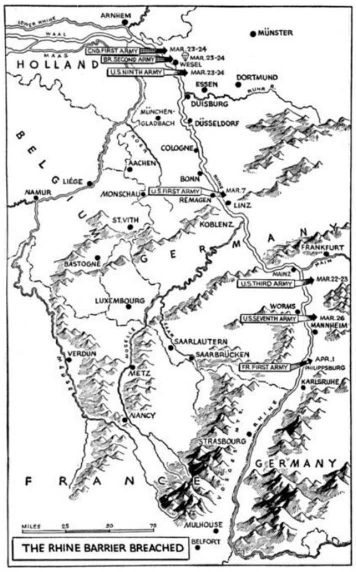

السدود على نهر الرين

عندما اقتربنا من أبواب ألمانيا درسنا مسألة اصدار أوامرنا لسلاح الجو بأن يدمر جميع الجسور القائمة على نهر الرين لنقطع المدد عن جميع القوات الألمانية التي تقاتل إلى الغرب منه، ولم نفكر بابقاء جسر واحد لاعتقادنا أنه بعد أن يضطر العدو إلى الانسحاب سيدمر هو بدورة جميع الجسور ليجعل أمر اجتيازنا النهر صعبًا. ومن المعلوم أن هنالك ستة وعشرين جسرًا كبيرًا فتدمير بضعة جسور منها لا يفيد وعلى أقل تقدير يجب تدمير عشرين أو أكثر منها لنجعل مهمة التموين صعبة على العدو الذي يقاتل إلى الغرب فوجدنا أن تدمير مثل هذا العدد يتطلب من سلاح القاذفات جهدًا عظيمًا، وذلك لأن إصابة الهدف من علو شاهق ليس من الهنات الهينات والتحليق على مستوى منخفض محفوف بالخطر إذ ما يزال لدى العدو سلاح قوي من المدفعية المضادة للطائرات وبما أن جو الرين يكاد لا يخلو في فصل الشتاء من الغيوم والضباب، وبما أن إصابة الجسور من ورائها يكاد يكون

مستحيلًا مهما أسرفنا في القصف، فقد رأت قيادة سلاح الطيران أن تضرب صفحًا عن هذه المحاولة كثيرة التكاليف قليلة الجدوى، وتوفر القاذفات لغايات أهم من ذلك.

عندما كانت قاذفاتنا غير منشغلة في قصف الجبهة لم نجد لها من مهمة أجدى من التغلغل في أواسط ألمانيا ودك مواصلاتها، وتدمير خزانات وقودها وصهاريجها لنزيد فوق ما تعانيه من نقص في الزيوت مشكلة أخرى ألم وأشد فالوقود هو مصدر القوة عند كل أمة عصرية فلما أصدرنا أوامرنا للقاذفات بأن تدمر صهاريج النفط والمصافي كنا نهدف إلى إيقاف الإنتاج الحربي وشل حركة العدو في الداخل وعلى الجبهة. وبالفعل تأكدنا أن القيادة الألمانية كثيرًا ما رأت نفسها عاجزة عن تنفيذ خططها لا لشيء سوى حاجتها للزيوت وما ذلك إلا نتيجة قصف طيراننا لمنشآت وقودها.

الحرب الحديثة هي حرب ميكانيكية في الدرجة الأولى، والجيش الذي يتفوق في الميكانيك وسرعة الحركة يفوز في المعركة. ومن القديم اعتمدت القيادة الأمريكية على سرعة الحركة في خططها العسكرية، ومن أجل ذلك قوت فوق الخيالة عندها وأصبح لدى جيشها أكبر عدد من الخيول عرفته جيوش البلاد الأخرى. ولما أقبل عصر الآلة أستعاضدت الولايات المتحدة عن الفرس بالمحرك الآلي وأكثرت من اعتمادها على العربات من كل نوع، فضاعف ذلك من سرعة حركتها، ووضع المبادرة إلى جانبها لتفوقها في الطيران جوًا وفي الدبابات والسيارات برًا وفي الأساطيل بحرًا. وانه أغنى عن البيان أنه لولا ذلك الجهاز

الإنتاجي الضخم الذي تمتاز به صناعة الولايات المتحدة لما استطعنا التفوق على جيوش العالم بسرعة الحركة، هذا فوق ما أسدينا لحلفائنا من مساعدات في السفن والطائرات والعربات.

كنتيجة لتركيز قواتنا في منطقتي المسار جنوبًا ونهر الرور وسدوده شمالًا انكشفت منطقة الأردن في خطوطنا للعد مما سبب لي بعض القلق لأنه لم يبق لنا هنالك سوى ثلاث فرق لتحمي المسافة الواقعة بين مدينة مانشكو شمالًا وتريار جنوبًا والبالغ طولها خمس وسبعون ميلًا. وبناء على ذلك اجتمعت بالجنرال برادلي لأن القطاع واقع في جبهته، وابديت له مخاوفي وبعد البحث وجدنا أنه ليس لدينا قوات احتياطية نستطيع تقوية ذلك القطاع، وإذا أردنا إعادة النظر في توزيع القوى اضطررنا إلى إيقاف عملياتنا الهجومية في القطاعات الأخرى. ولكن بما أن تلك العمليات تعود علينا بالمغانم فمن الخطأ أن نوقفها إلى أن يأتي المدد من الولايات المتحدة.

مغامرة الأردن

أوجز الجنرال برادلي الوضع في جبهته كما يلي: أولًا من رأيه مواصلة العمليات الهجومية لأنها تصيب العدو بضعفي ما تصيبنا من خسائر، ثانيًا إن المكان الوحيد الذي يستطيع الألمان أن يقوموا فيه بهجوم معاكس هو الأردن، ولكن بما أننا عبأنا مجموعتين كبيرتين من قواتنا على جانبي ذلك القطاع من الشمال ومن الجنوب، فإننا نستطيع أن نوجه إلى العدو ضربة شد إبادة من الجانبين إذا ما تجرأ على الهجوم، ثالثًا وبالفرض أن العدو قام بهجوم مفاجئ واندفع إلى الأمام حتى وصل نهر الموز، في مثل هذه الحال تواجهه مشكلة التموين إلا إذا استطاع الاستيلاء على مستودعاتنا وتمون منها وعند ذلك أخذ برادلي خارطة القطاع الذي يتوقع أن يحدث فيه الهجوم، وأشار بقلم إلى البقعة التي يستطيع العدو وصولها، ومن الغريب أن تقديره جاء مطابقًا للواقع عندما وقع الهجوم. ثم شفع حديثه بأنه لم ينشئ مستودعات في تلك الناحية خوفا من ذلك بل أنشأها في منطقة لياج وفردان حيث يستحيل الوصول على العدو. وختم قائلًا «لقد بذلنا المجهود

لنقبض على هؤلاء الألمان قبل أن يتحصنوا في خط سيغفريد ففشلنا فاذا تجزؤوا على أن يخرجوا منه ثانية ويقاتلونا في العراء كان ذلك من حسن حظنا».

أقولها بصراحة أن مسؤولية الاحتفاظ بأربع فرق فقط في جبهة الأردن تقع علي شخصيًا، لأنني فضلت الاحتفاظ بهذه الوضعية على إجراء أي تعديل في توزيع القوى مما يؤدي إلى تجميد الجبهة، لأنني أقول بمواصلة الهجوم إلى أقصى حد في طاقتنا. وبناء على هذا القرار استطاع الألمان احراز ذلك النجاح في أول أسبوع من شهر كانون الأول.

كان الجيش الثالث يستعد ليقوم بهجوم كبير ساحق على منطقة السار في 19 كانون الأول بقيادة الجنرال باتون، وكان هذا يعلق آمالًا كبارًا على هجومه فقدرت أنا والجنرال برادلي أنه إذا نجح هجوم باتون اضطر العدو إلى سحب عدة فرق من القطاعات الأخرى لصده عن تلك المنطقة الحساسة، فينقذنا ذلك من الخطر الذي يهدد الأردن، هذا بينما كان الجيش الأمريكي الأول يتهيأ ليقوم بدوره بزحف على سدود نهر الرور في 13 كانون الأول أيضًا.

عندما شددنا ضغطنا على العدو في منطقة الرور أثناء شهر تشرين شاهدنا أن الألمان قد استقدموا جيشهم المدرع السادس ووضعوه مقابل الفيلق الثاني عشر من قواتنا، حتى إذا اجتازت وحداتنا النهر إنقض عليها. ولكن عندما تراخى هجومنا هنالك في أوائل كانون الأول أختفى ذلك الجيش رغم ما بذلنا من جهد

للوقوف على أثره.

لا غرو في أن الجيش المدرع السادس هو أقوى وحدة حربية ظلت في داخل ألمانيا. فأصبح أمر اختفائه من الجبهة مصدر قلق لنا، لا سيما وأن قلم استخباراتنا جعل يتسلم بعض الأخباريات عن وجود تجمعات وراء خطوط العدو في جبهة الأردن، بينما في السابق كان العدو يرسل إلى هذا القطاع الفرق التي يرغب في أن يعطيها قسطًا من الراحة، غير أن تلك الأخباريات عن تجمعات العدو لم تقعدنا، بل واصلنا هجماتنا حثيثًا في القطاعات الأخرى وافسحنا المجال له لأن يهاجمنا في أضعف نقطة في خطوطنا. وإن قام مؤرخ ليدين من سهل على الألمان أمر هجومهم في الأردن فالدينونة تقع علي وحدي.

الفَصُل السَّادسُ عَشَر

محاولة هتلر الأخيرة

قام الجنرال برادلي بزيارتي في مركز القيادة ليشكو إليّ ما تعانيه الصفوف في الجبهة من افتقارها للجنود، ولم يكد يجلس حتى دخل أحد الضباط المساعدين في مكتبي يحمل تقرير مؤداه أن العدو أحدث بعض فجوات في جبهة فيلقنا الثامن بقيادة الجنرال مدلتون في منطقة الأردن. وبينما كان الضابط يشير بأصبعه على الخارطة، دار الحديث بيني وبين برادلي عما يقصد العدو من وراء غزوته لخطوطنا.

تأكدت من البدء أن حركة العدو هذه ليست محلية، أن وراءها ما وراءها من النوايا والدواعي، وإن كانت محلية هنا، فالقصد منها جذب أنظارنا إليها ليقوم بهجوم أكبر في ناحية أخرى. ولكن ليس للعدو من مطمع في غابات كبرى في قطاعات أخرى. هذا أولًا أما ثانيا فإنه لنا في كل موضع، عدا الأردن من القوة ما يكفي لصد العدو، والذي جعلني أن أتأكد بأنه هجوم ألماني واسع النطاق ما وردنا من تقارير عن تجمعات يجريها العدو وراء خطوطه في الأردن. ومن هذه المنطقة بالذات وبقيادة الماريشال فون رونشتات الذي يقود هذا الهجوم بنفسه قام الألمان بهجومهم سنة 1940 وطردوا الجيش الإنكليزي من أوروبا وأجبروا فرنسا على الركوع والتسليم. ومن المرجح أن يكون الطموح قد لعب برأسه ودفعه ليمثل الدور نفسه معنا في سنة 1944 ولكن

هيهات.

كان الجيش الأول الأمريكي بقيادة الجنرال هودجز في أول اشتباكه مع العدو في جبهة سدود الرور الواقعة شمالي منطقة الهجوم الألماني، والجيش الأمريكي الثالث ما يزال يتهيأ للقيام بهجومه على السار جنوبي الأردن عندما بدأ العدو باختراق صفوفنا. ولما كان هجومه يستهدف قلب فيلقنا الثاني عشر، ارتأيت والجنرال برادلي أن نبدأ بنقل جزء من قواتنا على الجانبين إلى جبهة الأردن، حتى إذا تطور الهجوم استطعنا صده.

جبهة الأردن 16 كانون الأول 1944

دعوت إلى مؤتمر يحضره كبار مساعدي فجاء ماريشال الجو تدر، والجنرالات سمث وبول وسترونغ وعندما نظرنا إلى الخارطة تبين أنه توجد فرقة أمريكية مدرعة لا تشترك بأي قتال على كل من جانبي الأردن نستطيع نقلها بسرعة إلى المنطقة المهددة، على أن يعين الجنرال برادلي المكان الذي يجب أن تستقر فيه، أن اقتطاعنا فرقة من جيش الجنرال باتون في الجنوب يعني تأجيل الهجوم على السار، ولكن كيف السبيل لإقناع باتون بأن يؤجل زحفه الذي يتوقع احراز نجاح باهر من ورائه؟

فقال برإدلي إننا قوينا باتون على حساب الأردن. ومن البدء كانت خطتنا إذا قام العدو بهجوم على هذا القطاع المكشوف أن نوجه إليه الضربة من الجانبين حيث تحتشد قواتنا، وبما أن المحذور وقع فقد وجدنا أنفسنا مضطرين لإيقاف هجماتنا موقتا لنوجه ضربة قاضية إلى الجيش الألماني الذي تجرأ على أن يخرج من قوقعته.

جلنا بأبصارنا يمنة ويسرة شمالًا وجنوبًا مفتشين عما يوجد بين أيدينا من قوات احتياطية، فوقع نظرنا على الفيلق الثامن عشر

الذي تحمله الطائرات معسكرًا في فرنسا قرب ريمز، بقيادة الجنرال ردجوي، وقد وضع هنالك بعد فشل حملة ارنيم الآنفة الذكر، كما وقع على فرقة أمريكية مدرعة وصلت حديثًا إلى إنكلترا، وفرقة مظليين وفرقة مشاة في بريطانيا أيضًا. ولما وصلنا بجولتنا إلى جبهة مونتغمري وجدنا أنه يهيِّئ هجومًا أعد له فيلقًا كاملا في حالة التحفز. فاطمأننا إلى أن ما لدينا من قوى الاحتياط كفيل بأن يصد أي هجوم يستطيع الألمان شنه.

علمتنا التجارب أنه إذا قام جيش ما بهجوم كاسح فمن الخطأ محاولة صده بإرسال الوحدات على دفعات، كما اعتاد رومل أن يفعل، ولذلك اتفقنا ونحن في الاجتماع أنه إذا تطور تقدم الألمان إلى هجوم ساحق فلا نحاول صده بإشراك وحدة بعد أخرى بالمعركة. لأن ذلك يمكنه من سحقها بالتتابع ومواصلة زحفه، حتى ولو تمكنا من ايقافه بهذه الطريقة، فإننا نصبح أعجز من أن نقوم بهجوم معاكس يرد كيده إلى نحره. فالأوفق إذن أن ندعه يتقدم إلى أن تتجمع قواتنا وتواجهه بقوة وحزم. وبعد البحث رأينا أن ندعم الفيلق الثاني عشر بقوة تكفي لأن تساعده على التقهقر بانتظام، والنقطة الثانية التي أثرناها هي المدى الذي يستطيع أن يندفع فيه دون أن يصيبنا بخسائر باهظة، فاستقر الرأي على أنه لا مانع من احتلاله لوكسمبرغ وسيدان في الجنوب، ووصوله إلى الموز في الغرب، شريطة ألّا يعبر النهر. هذا أقصى مدى يجوز أن يبلغه.

هنالك أمر واحد جعل قلقنا يتزايد يوما فيوما، وهو الطقس الذي اضطر طائراتنا أن تلزم الأرض عدة أيام قبل بدء الهجوم

الألماني من جراء الغيوم الكثيفة والضباب المتراكم ومن المعلوم أن سلاح الطيران هو العمود الفقري لقوتنا في المعركة، وإن لم يتحسن الجو وتنجل الغيوم بقيت طائراتنا في أرضها بينما تسرح دبابات العدو وعرباته وتمرح في الأردن كما يطيب لها.

بعد ارفضاض المؤتمر رجع برادلي إلى مركز قيادته في مدينة لوكسمبرغ، وجعل يتصل بي تلفونيًا من ساعة إلى أخرى كل مدة الأيام الحرجة التي تلت ذلك. واول عمل قام به هنالك هو دعم الفيلق الثاني عشر ليتمكن من الانسحاب بانتظام: وفي الوقت نفسه بدأ كما بدأت أنا بجمع القوات الاحتياطية لنقذف بها إلى ساحة المعركة عندما تنكشف لنا نوايا العدو على حقيقتها.

اتضح في صباح السابع عشر من كانون الأول أن الهجوم الألماني قد بدأ يتعاظم. واستطاع فتح ثغرتين في صفوفنا. الأولى في الجبهة التي تعسكر فيها الفرقة 106 والثانية في جبهة الفرقة 2. وكانت التقارير مشوشة مبهمة لا تحتوي على ما يستند إليه من معلومات، وقد بدا فيها جميعها أمر واحد وهو أن العدو يزحف غربًا بسرعة وهو يستعمل السيارت المدرعة بكثرة، وبعد مدة عرفت دوائر استخباراتنا أهم ما نرغب أن نعرفه عن قوة الألمان.

عبأ فون رونشتات ثلاثة جيوش هي الجيش الخامس والسادس والسابع للقيام بهجومه، واستطاع احراز نصر مباغت في نقطتين مهمتين. الأولى أننا بعدما أصاب جيوشه من خسائر في أثناء الصيف والخريف اعتقدنا أنه لن يتمكن من جمع جيش قوي

يستطيع أن يقوم بفضله بهجوم كبير كالذي نري إلا بعد مدة طويلة، والنقطة الثانية في عنف الهجوم تحت ظلال الغيوم والضباب، ولولا ذلك لاكتشفنا تحركاته من قبل وجعلنا من صفوفه أهدافًا لقاذفاتنا ثم أن حصانة خط سيغفريد جعلت الألمان يتركون أعدادًا قليلة فيه ويقذفون بكل ما تبقى لديهم في ألمانيا الغربية، بالإضافة إلى الجيش السادس المدرع الذي جي به حديثًا من الداخل.

يشبه هجوم الأردن كثيرا هجوم كاسرين الذي سلف ذكره في الحديث عن شمالي إفريقيا، مع الفارق العظيم بالعدد لصالح معركة الأردن، أما أوجه الشبه فإن العدو قام بهجومه يائسا هنا وهنالك، كما أنه في الحالتين استغل وجود خط قوي اعتمد عليه ليرمي بمعظم قواته في المعركة ويحدث تشويشًا في خطوط مواصلاتنا، ويرد عن نفسه تلك الهجمات المتلاحقة التي نقوم بها عليه.

وإن كان هجوم رونشتات قد فاجأنا من حيث التوقيت #وعنف الاندفاع، لكني وبرادلي قد توقعنا مكان حدوثه واعددنا للأمر عدته من قبل، ورأينا: أن أول خطوة يجب اتخاذها لاتقاء شره هي تأمين مراكزنا على جانبي الهجوم في الشمال والجنوب. وأشد المناطق حراجة هنالك كانت قرب مدينة مانشو حيث كان الفيلق الخامس الأمريكي يهاجم سدود نهر الرور بقيادة الجنرال جيرو، ويتألف ذلك الفيلق من الفرقة الثانية المجربة بقيادة الجنرال روبرتسن والفرقة 19 التي تخوض القتال لأول مرة بقيادة الجنرال لوير. فبدأ ضغط العدو على الفرقتين يتعاظم

واجبرهما على التراجع فتلقت ذلك الهجوم الفرقة الثانية بمؤازرة بعض وحدات من الفرقة 99 بكل مهارة، وقاتلت مدة ثلاثة أيام بشجاعة مجيدة قبل أن يصلها المدد.

لم يشعر الجنرال هودجز قائد عام المنطقة بخطورة الهجوم الألماني الذي يستهدف جبهته، ولذلك أمر فرقه بمواصلة هجومها على منطقة سدود نهر الرور إلا أن الجنرال روبرتسن قائد الحملة أدرك الموقف واستعد له، وفي الحال أوقف هجومه على نهر الرور، واختار لفرقته موقعًا يصلح للدفاع في تلك الناحية وتمركز فيه.

وحينما بدأ تدفق الألمان عليه يشتد كالسيل العرم، صمد الأمريكيون له بثبات مدهش قد يكون من المشكوك فيه أن تستطيع الفرقة الثانية الثبات في وجه الهجوم الألماني الساحق مدة يومين قبل أن يصلها المدد، لولا ما قامت به فرقتنا السابعة المدرعة من دور بطولي في تلك الناحية.

لما أمرت الفرقة السابعة بالتوجه من الشمال نحو الجنوب في 17 كانون الأول كان الهجوم الألماني ما يزال غامضًا بالنسبة لنا، وبينما كانت الفرقة في طريقها لدعم ميسرة الفيلق السابع، وجدت نفسها بغتة نصف مطوقة عند نقطة مواصلات مهمة تدعى سنت فيث، لا بد لرأس الرمح الألماني أن يجتازها في اندفاعه غربا، فتشبثت هي بموقعها بعد أن انضمت إليها بقايا الفرقتين 104 و28 واجبرت الهجوم الألماني على أن ينشطر عن جانبيها وانقذت مدينة منشو من التطويق.

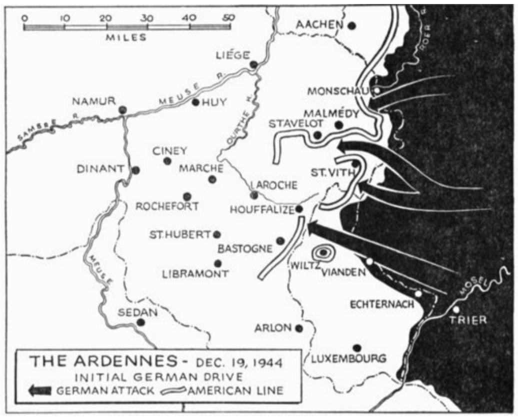

جبهة الأردن 19 كانون الاول 1944

أخيرًا بعد أن ثقل الهجوم الألماني عليها وهددها بالتطويق وقطع المواصلات أمرت أن تنسحب غربًا بشمال، لتلتحق بالقوات التي كنا نعدها لضرب ميمنة العدو.

ولا بدّ من القول أن صمود الفرقة السابعة في سنت فيث خال دون تنفيذ الألمان لخطتهم، كما أنه ساعد الفرقة الثانية على الاحتفاظ بمركزها الحيوي على كتف منشو حتى وصلتها النجدة من الفرقة الأولى والفرقة التاسعة فأمن وجود هذه الفرق الثلاث المتمرسة في المعارك خط جبهتنا الشمالية.

منذ السابع عشر من الشهر أمرت الفرقة 82 و101 أن تتحول من الإحتياط وتلتحق بقيادة الجنرال برادلي، ثم ألحقت بقيادته أيضا الفرقة 11 المدرعة التي وصلت حديثًا من أمير كا والفرقة 17 التي نقلت من بريطانيا.

صدر الأمر للجنرال لي قائد إدارة التموين العام بأن يتولى أمر الدفاع عن نهر الموز وخول السلطة أن ينسف جميع الجسور إذا دعت الحاجة. فبدأ بإقامة خط دفاع قوي هنالك. وقد اتخذ الجنرال

مونتغمري جميع الاستعدادات لحماية المخازن والمستودعات في الجبهة البريطانية.

أخذ الهجوم الألماني يتطور ويتقدم بسرعة في الوسط، رغم ما أصابه من فشل في منطقة مانشو ثم اندفع إلى الشمال الغربي، فأيقنا أنه يهدف إلى احتلال لياج وانتورب طمعًا في استيلائه على مستودعاتنا هنالك، وقد عرفنا ذلك مما يعاني من افتقاره إلى المؤن على طرق مواصلات مدمرة لا تفي بحاجة النقليات عنده ولاح لنا أن تقدمه سيتوقف من تلقاء ذاته حتى إذا لم نوجه إليه هجومًا معاكسًا، هذا إذا لم يتمكن من الاستيلاء على مستودعاتنا.

صممنا أن ندافع عن لياج التي تحتوي على جميع أنواع المؤن بكميات وافرة أو نمنعها عنه مهما كلف الأمر، لئلا يستولي فيها على كل ما هو حيوي له ويواصل زحفه إلى بروكسل وانتورب وماهو أبعد من ذلك فأصبحت المعركة بينا وبينه معركة مؤن.

أمر الجنرال برادلي الفيلق الجوي الثامن عشر بأن يتوجه في 17 كانون الأول إلى جبهة باستون لمساعدة فيلقنا الثامن المرابط هنالك بقيادة الجنرال مدلتون، أدرك الجنرال مدلتون أهمية موقع باستون منذ البداية وصمم على الاحتفاظ به، ولما اتصل به برادلي أخبره عن عزمه على الصمود هنالك حتى ولو طوقه العدو فأرسل هذا الأخير الفرقة 82 والفرقة 101 الجويتين لمساندته هنالك، وعسكرت الفرقة 82 في ستافيلو إلى الشمال من باستون وتحمل هذان الفيلقان ثقل الزحف الألماني الذي طوقهما، لكنه فشل في القضاء على مقاومتهما.

شعرت في ليل الثامن عشر من الشهر بأنه أصبح لدينا معلومات كافية عن قوة العدو ونواياه وأهدافه، كما أحصينا ما في حوزتنا من إمكانيات، فرأيت أنه أصبح من الضروري أن نرسم خطة لهجوم معاكس، فذهبت وماريشال الجو تدر إلى فردان بعد أن أمرت كلا من برادلي وباتون ودفرز بأن يوافوني هنالك. وعندما التأم المؤتمر وجلس الجميع إلى مائدة مستطيلة قلت: «يجب أن ننظر إلى الحالة الحاضرة ليس ككارثة بل كفرصة لنا، وأنني أطلب إليكم أن تبدوا بوجوه يعلوها البشر لا الكآبة» عند ذلك قاطعني الجنرال باتون وقال متحمسًا: يا لجهنم، لماذا لا يكون عندنا الشجاعة ونسمح له أن يتقدموا إلى باريس ومن ثم نقطعهم قطعًا قطعًا ونمضغهم» فابتسم الجميع، فأجبت لن نسمح لهم بعبور نهر الموز.

درسنا القضية من جميع وجوهها، ومما سرني أنني وجدت كل قائد ومستشار في المؤتمر مطمئنا إلى الحالة واثقًا بالنتائج، لا ذعر ولا ذهول في مثل تلك الحالة التي نشأت في جبهة الأردن يكون أمام القوات المدافعة مجالان للعمل، شريطة ألّا يتسرب الهلع إلى قلب القيادة فتأمر بانسحاب عام، الأولى أن تقيم خطوطًا دفاعية قوية في المنطقة التي تتعرض للهجوم وراء نهر أو على مرتفع وتكتفي بإيقاف الزحف. والثانية أن تقاوم الوحدات التي يستهدفها الهجوم ما أمكن ثم تتراجع بإنتظام لتفسح المجال أمام القيادة الآن تستنفر جميع وحداتها وتعبئ كل ما لديها من قوات لتقوم بهجوم معاكس، فاخترت أنا الثانية وذلك لاعتقادي بأن العدو بخروجه من خط سيغفريد الحصين ومهاجمته لنا أعطانا فرصة

ثمينة للعمل على سحقه، فأبرقت بهذا الخصوص إلى الجنرال مونتغمري في 19 كانون الأول أقول: «أن أضعف نقطة في خطوطنا هي تلك التي تؤدي إلى مدينة نامور، فيجب العمل على تقويتها وسد كل ثغرة في الشمال، لنقوم بهجوم عام في الجنوب» وفي اليوم التالي كنت أكثر تحديدًا حينما أبرقت إليه «أرجو أن تطلعني على جلية الموقف في الشمال، واني لا أرى مانعًا من تخلينا عن بعض المساحات للعدو لنتمكن من تقصير خطوطنا وجمع قوة احتياطية كافية للقضاء على العدو في بلجيكا».

سبق وصممت على ألّا يكون هجومنا المعاكس من الجانبين معًا، بل نلتزم خطة الدفاع في الشمال حيث بدأ ضغط الألمان يتراخي، ونقوم عندما تسنح الفرصة باندفاع من الجنوب شمالًا وكان غرضي من مؤتمر فردان تعيين الوقت الذي يبدأ فيه الهجوم من الجنوب، وعدد الفرق التي تشترك فيه بقيادة الجنرال باتون، وأخيرًا قدرنا أن باتون يستطيع البدء بهجومه بثلاث فرق حوالي الثالث والعشرين من الشهر فأصدرت عندئذ أمرًا واضحًا بألّا يبدأ هجوم باتون قبل الثاني والعشرين وأن لا يتأخر عن الثالث والعشرين، على أن يواصل زحفه شمالًا بعد أن يحتل باستون، إلى هو فاليز، ووعدته بمؤازرة جوية فعالة حالما يسمح الطقس. وقبل انصرافي أخبرت المؤتمرين بأن هجومنا في الشمال يبدأ حالما نرى أن الزحف الألماني قد استهلك قواه.

شددت على الجنرال باتون أن يبدأ هجومه من «أرلان» متجهًا إلى باستون بقوة لا تقل عن الثلاث فرق وحذرته من مغبة قذف قواته إلى المعركة على دفعات، بل يجب أن يقذفها كتلة واحدة

مركزة تعمل على ضعضعة جيش العدو من البدء. ولما ظهر لي بأنه لم يدرك بعد قوة الهجوم الألماني، حذرته من عاقبة الاستخفاف وصارحته بأن العدو يعلق على هجومه آمالًا كبارا ولهذا يجب أن نواجهه بقوة وحزم ودراية.

عندما تباحثنا في شؤون الجبهة الجنوبية عامة ظهر مدى الضرر الذي خلفه في صفوفنا الابقاء على الجيب الألماني غربي الرين في منطقة كولمار لأنه لو قضينا على ذلك الجيب في حينه لاستطاعت القوات الفرنسية أن تحمي كل خط الرين الجنوبي من حدود سويسرا إلى السار. أقول لو تم ذلك لنقلنا معظم وحدات الجيش الأمريكي السابع إلى الشمال لمؤازرة باتون في هجومه المعاكس على رأس الحربة الألمانية. واخيرًا صممت على سحب قسم كبير من القوات الأمريكية التابعة لقيادة الجنرال دفرز شمالًا، بعد أن أوصيته بأن يتراجع غربًا إذا قام الألمان بهجوم عليه في تلك الناحية، لأن أمر القضاء على قوة الألمان في بلجيكا هو هدفي الرئيسي، فلا بأس إذن من تراجع خطوطنا قليلا في الجبهة الجنوبية حتى ولو أدى ذلك إلى اخلاء مدينة ستراسبورغ مؤقتًا.

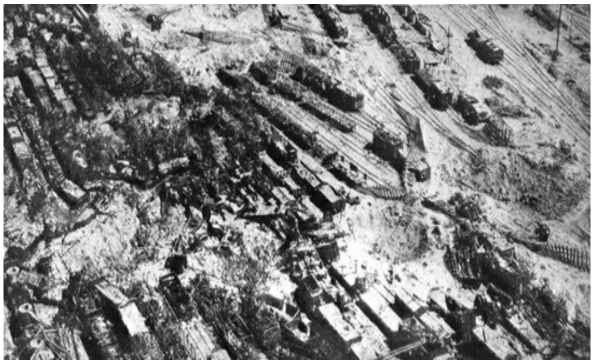

ساحات السكة الحديدية في مدينة اولم الألمانية التي تمون الجيش السابع الألماني بالقرب من كارلسرو وقد دمرتها قنابل الفرقة الثامنة الجوية الأمريكية في مدينة توركان الألمانية

ثارت ثائرة الفرنسيين عندما اطلعوا على خطتي تلك، فأرسلت باريس الجنرال جوان رئيس أركان القوات الفرنسية العامة ليقنعني بألّا أسمح بسقوط مدينة ستراسبورغ مرة ثانية في أيدي الألمان فأفهمته بأن ضمان عدم سقوطها في أيدي العدو هو أمر فوق طاقتي في الوقت الحاضر على أني لن أخليها إلا مضطرًا.

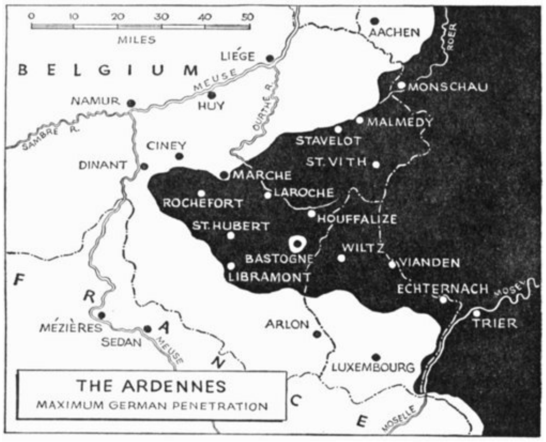

<u>جبهة الأردن أقصى التغلغل الألماني</u>

استنتجنا من آخر التقارير التي وردت في ليل 19-20 إلى مقر القيادة أن القائد العام الألماني يستهدف الزحف بسرعة شمالًا بغرب ليقطع نهر الموز جنوبي لياج، ويندفع من هنالك في خط مستقيم حتى يصل البحر، ويقطع خط المواصلات على جميع قواتنا العاملة في الجبهة الشمالية ولاح أن هجومه ما زال يتطور ويتعاظم بصورة مدهشة وفي كل ناحية تبرز منه رؤوس كالافاعي هنا وهنالك غايتها التهام ما يقع في طريقها من وحدات.

إنه لغني عن البيان أنه إذا ما تطور أي هجوم في أي مكان على أي جيش من قبل جيش آخر فلا بدّ أن يخلق حالة من القلق والذهول تشمل الجميع من أعلى قائد إلى أدنى جندي في الجبهة، وأكثر ما يتعرض لمثل تلك الحالة هم الجنود والوحدات التي تتعرض للهجوم العرم فيكتنفها من كل ناحية ويطغى عليها. فتنحط معنوياتهم وتتضعضع ثقتهم بقيادتهم التي يرونها لا تبدي أي نشاط في سبيل إنقاذهم من المحنة التي يتعرضون لها، والخطر المحدق بهم من كل ناحية. ولا بد أن تنتقل عدوى القلق

من الجنود في الجبهة إلى القيادة العامة في مقرها البعيد عن الخطر، مهما كانت واثقة من نفسها متيقنة بأن ما في حوزتها من قوات تستطيع فل العدو ورد كيده إلى نحره وما دامت المبادرة في يد العدو فلا يستطيع أحد أن يتكهن بما قد ينشأ من مفاجات تقليب ما رسمهم من خطط رأسًا على عقب. وفي كتب التاريخ أكثر من شاهد على أن نشوء حالة ذعر، أو حلول طقس مفاجئ وما أشبه من طوارئ قد عمل على تحويل نصر إلى فشل وعز إلى ذل فلا عجب إذا ساور القلق والانزعاج كل جندي وضابط مني شخصيًا وما بعدي من ذوي الرتب إلى آخر مقاتل في الجبهة في أول أسبوع من الاندفاع الألماني من الضروري ألّا يستسلم القادة إلى الاقدار ويتركوا المجال للاهواء والإشاعات أن تلعب دورها في كل ناحية، فتزداد الأقاويل وتكثر الاختلاقات ويختلط الحابل بالنابل مما يخلق روحا انهزامية وذعر على ذعر، بل يجب أن يضبطوا أعصابهم ويملكوا زمام أنفسهم ويتظاهروا بالتفاؤل في أشد الساعات حراجة ويوزعوا الدعايات المشجعة بكل واسطة شفهيًا وكتابة.

أصدرت في الثاني والعشرين من الشهر أمرًا يوميا جاء فيه:

«ان العدو في خروجه من مراكز دفاعه الحصينة أتاح لنا المجال لأن نحول مقامرته الكبرى إلى أكبر انكسار واشنعه واني واثق بأن كل جندي وضابط سيرتفع إلى أعلى مستوى من الشجاعة ورباطة الجأش ويؤدي من ضروب البطولة ما يتطلبه الواجب، وليضع كل واحد منكم نصب عينيه هدفًا واحدًا لا يتجزأ وهو تحطيم العدو والقضاء عليه والله يوفقنا للفوز بأكبر نصر».

كانت لنا ثلاثة جيوش وقسم من الرابع شمالي النتوء الذي أحدثه العدو في جبهتنا، تحتل جبهة أشبه بنصف دائرة تمتد على مسافة 2 ميلًا، يحتل طرفها الشمالي الفيلق الحادي والعشرون ويتجه نحو الشمال الشرقي على الضفة الغربية من مصبي نهري الرين والموز ويليه إلى الجنوب الجيش الأمريكي التاسع، ثم الجيش الأمريكي الأول الذي حول وجهه من الشرق إلى الجنوب، فعملنا على جمع كل ما قدرنا على اقتطاعه من الجيش التاسع والأول لنشكل جبهة عرضية من الشرق إلى الغرب لنقابل الهجوم الألماني، وكانت أيضا لدى الجنرال مونتغمري قوة احتياطية تشكل الفيلق الثلاثين من الجيش البريطاني غير مشتركة بأي نشاط.

كان من نتيجة الزحف الألماني أنه قطع أي اتصال بين مركز قيادة الجنرال عمر برادلي والجيشين الأول والتاسع التابعين لقيادته، فصعب عليه أن يوجه اهتمامه إلى الجبهة الجنوبية، وفي الوقت نفسه يشرف على تحركات الجيشين المعسكرين في الشمال فرأيت أن الحل الوحيد للمعضلة هو تعيين الجنرال مونتغمري قائدًا عامًا لجميع القوات العامة شمالي النتوء الألماني بصورة موقتة، ليتفرغ برادلي لقيادة القطاع الجنوبي، فأخبرت الجنرال برادلي تليفونيا بما فعلت، ثم اتصلت بمونتغمري وأمرته أن يتسلم الصلاحيات الجديدة، ولم أفعل ذلك إلا بدافع الاعتقاد بأنا فريق واحد متعاون في سبيل قضية واحدة.

اتصل بي المستر تشرشل ليل 19 كانون أول يسألني عن سير المعركة، فأخبرته عما اتخذنا من ترتيبات لمواجهة الحالة

الطارئة، فأبدى بأن الجيش البريطاني مستعد أن يعمل بأي قطاع أشياء بقطع النظر عما رسم من قبل بأن يعمل كل جيش في منطقة معينة. وختم: «تأكد بأن الجنود البريطانيين يحسبونه شرفًا أن يشتركوا في المعركة جنبًا إلى جنب مع رفقائهم الأمريكيين».

سارت الترتيبات الجديدة في طريقها الطبيعي ولم يعترض عليها أحد لكن بعد أن انتهت المعركة عقد الجنرال مونتغمري مؤتمرًا صحفيًا، أستنتج منه المحررون أن الجنرال مونتغمري تدخل في المعركة لينجي الأمريكيين مما أحاط بهم من خطر وجاء ما نشروه وعلقوا عليه ماسًا بكرامة الأمريكيين، مع أني لا أعتقد بأن حضرة الجنرال كان يعني ما استنتجه الصحفيون.

سببت لي تلك الحادثة الكثير من الازعاج، واني أشك في أن مونتغمري أدرك عمق ما تولد في قلوب بعض القادة الأمريكيين من حقد عليه، لاعتقادهم بأنه قصد عامدًا متعمد أن يستخف بهم ويحط من كرامتهم، فقاموا بدورهم يردون عليه الكيل كيلين من التسفيه والازدراء. وعلى كل إن تلك التهم المتبادلة التي أثيرت فترة من مدة الحرب لم توجه إلى الخطة العامة التي وضعت بل هي شخصية أكثر مما هي جوهرية.

أثارت الصحف البريطانية عندئذ موضوع إنشاء قيادة برية واحدة، وكان الفيلد مارشال مونتغمري من مؤيدي هذه الدعوة، ومما فعله في سبيل ذلك أنه عرض علي تعيين برادلي قائد عامًا، وهو مستعد لأن يخدم تحت إمرته ولكني رفضت ذلك من وجهة مبدئية لا أكثر، وقد كتب لي الجنرال مارشال في 30 كانون

الأول بهذا الشأن يقول:

«إني لا أدري إذا كان أحد لفت انتباهك إلى بعض المقالات التي تظهر في بعض صحف لندن داعية إلى تعيين قائد عام بريطاني للقوات البرية يكون مساعدًا لك، متذرعة بأن كثرة الأشغال المتراكمة على كاهلك تصرف انتباهك عن المعركة البرية، إليك رأيي صريحًا بذلك، إياك أن تتنازل لهم عن شيء مهما كان ضئيلًا، وثق بأني أدعمك في موقفك. أن أعمالًا كبيرة تتم على يدلك فإلى الأمام ودعهم في غيهم يعمهون» فأجبته بتاريخ رأس سنة 1945:

«لا تدع أي شك يتسرب إلى ذهنك بأني سأعين قائدًا ينوب عني في العمليات البرية. واني قد اطلعت بعد وصول برقيتك على معظم ما كتبته الصحف البريطانية:

وقد وجدت أن المسألة تتعلق بفئة لا يعبأ برأيها كانت من البدء تطالب بتعيين قائد بريطاني مساعد لي يتسلم القيادة البرية فلم أعرها اهتمامًا، أما الآن ولم يفرق الهجوم بين أمريكي وبريطاني بل تغلغل في جبهتنا وشطرها إلى شطرين وحال دون اتصال برادلي بالجيشين الأمريكيين المعسكرين إلى الشمال من النتوء الألماني فقد استصوبت أن أعين قائدًا عامًا للشطر الشمالي الواقع على ميمنة العدو، وقائدًا آخر للشطر الجنوبي على ميسرة العدو وهذا الترتيب الموقت اقتضته حالة طارئة».

لم يكن الدفاع عن موقع باستون عملًا عسكريًا من الطراز الأول فحسب بل كان له أثر فعال على نتيجة المعركة جعل الجيش

الألماني المدرع طريقه على باستون.

وقد اكتشفنا فيما بعد أنه كانت لديه أو أمر باجتيازها غربا إذا قمنا بالدفاع عنها، ثم يتجه شمالًا ليلتحق بأكثرية القوات الزاحفة. وعندما التحقت الفرقتان الجويتان بقيادة الجنرال برادلي ارسلهما ليعسكرا في باستون لأهمية موقعها الجهاز مواصلاتنا وبينما كانتا تنجهان شرقًا في الثامن عشر من كانون الأول وهما لا تدريان ماذا يجري، فاجأهما الهجوم الألماني فاضطرت الفرقة 82 أن تتدارك الموقف وتنسحب إلى الشمال، بينما وأصدمت الفرقة سيرها واستقرت في باستون في ليل 18 وأخذت تحصن نفسها، بينما كان العدو منشغلًا بقتال وحداتنا التي كانت في الأصل هنالك تحمي خط دفاعنا ومع أن الجيش الخامس الألماني تجاوزها مسرعًا فإنها صمدت للقوات الألمانية التي طوقتها فيما بعد، وأخذت تشدد الضغط عليها وما زالت تقاتل حتى جرى إنقاذها.

بقيت الحالة حرجة في الجبهة الشمالية وفي 21 أمرنا بسحب ما تبقى من الفرقة السابعة المدرعة التي تحملت عبء الهجوم الألماني في سنت فيث مدة 36 ساعة وحالما تسلم مونتغمري زمام القيادة في تلك الناحية بدأ يعد احتياطه ليقوم بهجوم معاكس، على أن يبدأه الفيلق الأمريكي السابع بقيادة الجنرال كولينز وبعد أن يبقي القتال مستمرا إلى 26 في الشمال وصلتنا المعلومات بأن الألمان سيقومون بهجوم كاسح آخر في تلك المنطقة.

في الجنوب بدأ برادلي هجومه في 22، ولكن التقدم كان بطيئًا جدًا لتراكم الثلوج وصعوبة المسالك، وقد افتتح الزحف شمالًا

نحو باستون الفيلق الثالث المؤلف من الفرقة المدرعة الرابعة والفرقتين الاميركيتين 80 و29، اتصل بي الجنرال باتون عدة مرات يشكو لي فيها ما يعانيه من العقبات الطبيعية التي تعرقل تقدمه، فأجبته بأن الحالة على غاية ما يرام طالما أنه يستطيع التقدم.

حدث في الثالث والعشرين من الشهر أن الغيوم انقشعت، وصفا الجو، فانطلقت قواتنا الجوية من عقالها، وراحت تكيل الضرب للعدو من كل ناحية فقصفت النقط الحساسة في خطوط مواصلاته وقذفت صفوفه على الطرقات والجبهات، وقامت بحركات استكشافية عن تحركات العدو واتجاهاته، وقد حدثنا الأسرى الألمان الذين وقعوا في أيدينا أثناء تلك المدة عن الخراب والدمار والذعر الذي سببه سلاح طيراننا في صفوفهم ومنشأتهم.

استطاع الجنرال باتون في 26 أن يتصل بقواتنا المحاصرة في منطقة باستون إذ شق طريقًا ضيقًا كعنق قنينة فشعر الألمان بما نعد لهم في تلك الناحية وقذفوا بقوات ضخمة أتوا بها من الشمال ومن المؤخرة أملًا في أن يصفوا كل ما لنا من قوات في باستون وحولها وتحولت المعركة إلى ملاحم تشيب لهولها الأطفال.

رغبت أن اجتمع بالجنرال مونتغمري في تلك الأثناء، ولما كان الطقس، لا يسمح بالطيران رأيت أن أذهب إلى بروكسل في القطار لأن طرق السيارات غير مؤمنة من كثرة الثلوج، ولكن الألمان قذفوا القطار الذي كنت أنوي السفر فيه في 29، فسافرت بآخر في السابع والعشرين واعترى السفرة من المغالطات

والاختلاطات ما كنا في غنى عنه، وذلك بسبب ما انتشر من إشاعات بأن الألمان ارسلوا عددًا من جواسيسهم وسفَّاكيهم ليغتالوا مونتغمري وبرادلي ويغتالوني أنا فاهتمت دائرة الأمن العام عندنا بالخبر ووضعتني تحت رقابة شديدة وحراسة أشد، وخصوصا أثناء رحلتي إلى بروكسل فكان القطار يعج بالبوليس العسكري وفي كل محطة فرقة منهم يتعرضون للبرد القارس لمجرد إشاعة لا أدري كيف ولدت وانتشرت.

عبثًا حاولت إقناع المسؤولين بأن من المحال أن تكون مثل هذه الإشاعة صحيحة لأن الألمان ليسوا بغنى عن جنودهم في هذا الظرف الحرج ليرسلوهم في طلب رأسي أو رأس غيري من القادة، لأن ذلك وأن نجح لن يفيدهم شيئًا واستنكرت وجود الإعداد الكبيرة من البوليس الحربي في كل محطة وصلت إليها. وذلك لأن أمر رحلتي إلى بروكسل بقي سرًا، فلا يحتمل أن يتوقع أي سفاك ألماني أن يجدني في أي من المحطات في مثل هذا الطقس السيِّئ، فالأفضل تقليل الحراسة وعدم حشد بوليسنا في المحطات لأن ذلك يستلفت الأنظار، ويشير إلى مرور شخصية مهمة، فاذا صدق أن هنالك محاولة لإغتيالي والتخلص مني فهذه المظاهر تشجع متسللي العدو وجواسيسه على ملاحقة القطار لتنفيذ ما طلب منهم، ولكن على من تقرأ مزأمريك ياداود، فالحراسة دراسية وليكن ما يكون.

أخيرًا اجتمعت بالجنرال مونتغمري حوالي 28 فشرح لي مطولًا عن آخر تطورات المعركة في جبهته، وعما لديه من قوات احتياطية. وأشار بأنه سيباشر هجومه المعاكس بقذف الفيلق

الأمريكي بقيادة الجنرال كولينزو يتخذ وجهته مدينة هوفاليز.

لم يكن لدينا أثناء الاجتماع ما يشير إلى أن في نية الألمان التوقف عن هجماتهم في الشمال بل بالعكس فقد كان لدى مونتغمري كثير من المعلومات والدلائل التي تشير بأنهم سيحاولون القيام بهجوم ساحق آخر وقال أنه مستعد لأن يحبطه بشدة ومن ثم يقوم بهجومه المعاكس لمطاردة العدو على أن البدء بهجومنا لا يتعين إلا بحسب ما سيبديه العدو من نشاط وتحركات وعندما أشرت إلى أن العدو قد لا يهاجم، أجاب بأن الدلائل وطبيعة الأحوال تفرض عليه مواصلة الهجوم، وعلى كل إذا توقف نكون في هذه الفترة قد قمنا بتجهيز وتنظيم جنودنا واتحنا لهم فرصة من الراحة قبل الشروع بالدور العظيم الذي ينتظرهم.

كان العدو يومئذ ما يزال بعيدًا عن أي نقطة حساسة يصيبنا منها بخطر والخوف كان من تمكنه أنزال قوات جديدة في المعركة وشق ثغرة ثانية في جبهتنا الشمالية ينطلق منها نحو البحر ويقطع مواصلات قواتنا الشمالية كما فعل سنة 1940 فإتفقنا على أن نقوي جبهتنا لنمنع عليه أي تقدم... ونستعد للقيام بزحف عليه معاكس، وإذا لم يقم الألمان بهجومهم، نكر نحن بدورنا عليهم نهار الاثنين الواقع في 3 كانون الثاني، ورجعت إلى مركز قيادتي في 29 كانون الأول.

أسلفنا أن الجنرال باتون نجح في الاتصال بقواتنا المعسكرة في منطقة باستون في 29 كانون الأول فشكلت قواتنا هناك حربة خطرة في خاصرة العدو. فلم يبق له للاتصال بين مقدمته في

الغرب وحدوده في الشرق إلا ممر يقع بين باستون جنوبًا وستافيلو شمالًا، ولذلك راح يعبئ قوات كبيرة أتي بها من الشمال ومن بلاده وجعل يركز علينا هجومًا ساحقًا ليصفي معسكراتنا في باستون ولما كنا قد أعدنا تنظيم وتجهيز الفيلق الثامن بقيادة الجنرال مدلتون فقد دفعناه أيضا في معركة باستون التي تدور في طقس شديد البرودة تغطي ثلوجه الحقول والطرقات بطبقة كثيفة جعلت التحركات العسكرية بطيئة وصعبة على كل لم يستطع العدو زحزحتنا من مراكزنا بعد مجهود شاق بدأه في 29 كانون الأول وما انفك عنه حتى 3 كانون الثاني.

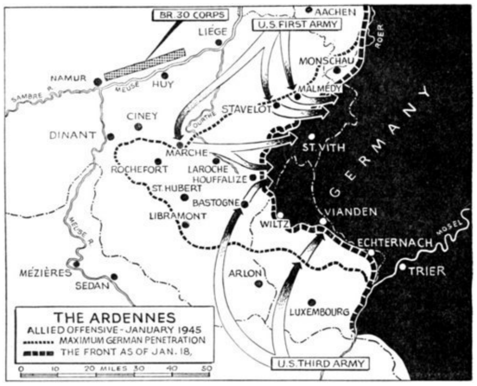

جبهة الأردن هجوم الحلفاء كانون الثاني 1945

بينما كانت معركة الأردن تبلغ الذروة جعل الألمان يقومون بنشاط في كل منطقة الالزاس في الجنوب ليقللوا ضغطنا عنهم في الشمال وبما أننا أضعفنا جبهتنا هنا، استوجب الأمر مراقبتهم بحذر ودقة، وأمرت الجنرال دفرز بألّا يسمح بتطويق أي من وحداتنا هنالك وله أفضل عند الضرورة أن ينسحب من أن يطوق ولما درى الفرنسيون بهذا الأمر تجدد خوفهم على ستراسبورغ، وطلب الجنرال ديغول مقابلتي في 3 كانون الثاني، ولما أخبرته عن خطتي وافق على صحتها من الوجهة العسكرية ولكنه قال إنها خاطئة من الوجهة المعنوية لأن الشعب الفرنسي يتطلع إلى مدينة ستراسبورغ منذ سنة 1870، كرمز لعظمته، فاذا سمحنا بسقوطها موقتًا في أيدي الألمان نثير نقمتهم علينا وحنقهم، وليس مستبعدًا أن يثور الفرنسيون ويسببوا لنا كثيرًا من المشكلات، وأضاف بأنه مضطر من أجل ذلك أن يسحب كل الجيش الفرنسي من أمكنته في الجبهة وينفرد بالأمر من أجل الدفاع عن ستراسبورغ فأفهمته عندئذ بأنه حر أن يفعل ما بدا له ونحن أحرار في أن نمنع عنه كل سلاح ومؤن وفوق ذلك أن الذنب في

تعريض المدينة للخطر هو ذنب الفرنسيين أنفسهم لأنهم لو قضوا على جيب كولمار لما نشأت هذه الحالة.

أعدت النظر في الموقف فوجدت أننا نمون جميع خطوط جبهتنا بواسطة المواصلات التي تسير في الأراضي الفرنسية، فأية خطوة تؤدي إلى اثارة الفرنسيين علينا تؤدي إلى اندحار في المعركة، وعليه قبل أن ينصرف ديغول أخبرته بأني سأصدر أوامري إلى الجنرال دفرز بأن ينسحب إذا اضطر من الشمال ويركز قواته حول ستراسبورغ ليمنع العدو من الاستيلاء عليها، فسري عنه وودعني منشرح الخاطر.

حدث، صدفة، أن المستر تشرشل كان في مركز قيادتي عندما جرى النقاش بيني وبين ديغول لكنه لم ينبس ببنت شفة وبعد أن انصرف الجنرال قال: «أعتقد أنك فعلت عين الحكمة والصواب فيما قررت».

عندما كانت المعركة البرية في ذروتها أبدى الطيران الألماني نشاطًا لم نألفه منذ وضعنا أرجلنا في فرنسا، ووجه إلى مطاراتنا ضربات مؤلمة عطل ودمر بها عددًا كبيرًا من طائراتنا في أوائل شهر كانون الثاني، فردت عليه مقاتلاتنا بسرعة، وتمكنت من تدمير نصف ما استعمل من طائرات.

في 3 كانون الثاني قام رأس حربة الجيش الأمريكي الأول المؤلف من الفيلق السابع بهجومه على الألمان من الشمال، وهكذا تلاشي كل خوف من اندفاع آخر، ومن تلك اللحظة أصبحت القضية متوقفة على الطقس، فإذا صفا استطعنا إنزال أكبر ضربة

بالعدو وأن تجهم ساعده على التواري والانسحاب.

جعل فكا كماشمتنا يطبقان على العدو من الشمال والجنوب على أن يلتقيا في مدينة هوفاليز غير أن التقدم كان بطيئًا بسبب ما أبداه العدو من مقاومة وبسبب رداءة الطقسى وتراكم الثلوج، وعندما تلاقت طلائعنا في المكان المعين في 16 كانون الثاني كانت معظم قوات العدو قد استطاعت الافلات بانسحابها شرقًا.

كانت الخسائر فادحة من الجانبين في معركة الأردن وقدر خبراؤنا يومئذ بأن خسائر الألمان بلغت 120.000 ما بين قتيل وجريح واسير، وبعد أن انجلت الحقائق تبين أنها بلغت تسعين ألفا فقط، كما خسر ستمئة دبابة و1.200 طائرة و6.000 عربة، وبلغت خسائرنا 77.000، 8.000 منهم قتلى، 8.000 منهم قتلى، 48.000 جرحي و21.000 بين أسير ومفقود، كما خسرنا 733 دبابة.

بعد انتهاء معركة الأردن وإجبار العدو على العودة من حيث أتي لاح لنا أنه قد أصبح في وضعية حرجة لما أصابه من خسائر في الرجال والمعدات وانحطاط المعنويات، فقر قرارنا على أن نبادره بضربات متلاحقة لا تتيح له فرصة للاستجمام والراحة، ولا سيّما أنّ الجيش الروسي بدأ هجومه الشتوي في 12 كانون الثاني وجعل يتقدم بسرعة فكلما اسرعنا بالزحف قطعنا عليه فرصة إرسال قوات جديدة ضدنا، لأن الخطر عليه من الشرق أعم وأعظم.

الفَصُل السَّابعُ عَشَر

اجتياز نهر الرين

في أثناء معركة الأردن كنا ندبر الخطة التي يجب أن نسير عليها لنتمكن من ضرب العدو والإجهاز عليه واعتمدنا ثلاث مراحل لذلك، أولاها القضاء على كل القوات الألمانية التي تقاتل غربي الراين وثانيتها اجتياز الراين وإقامة رؤوس جسور كبرى لنا عبرة، وثالثتها التغلغل في داخل ألمانيا والإجهاز عليها تمامًا.

وبما أننا بعد التغلغل في ألمانيا، كنا سنلتقي في مكان أو أكثر بالقوات الروسية الزاحفة من الشرق، رأينا أن نتصل بالقيادة الروسية ونتفق معها على الخطة التي يجب أن نعمل بموجبها، نعم إننا كنا على اتصال دائم بالروس من قبل لنتعرف على نواياهم وخطط زحفهم، لكن الآن بعد أن أصبح خط الاتصال قريبا بين الاثنين، فقد صار من الضروري تبادل وجهات النظر والمعلومات والأهداف.

ارسلت في أوائل 1945 ماريشال الجو تدر، يصحبه الجنرال بول والجنرال بيتس إلى موسكو بعد أخذ موافقة القيادة العليا المتحدة، ليجري الترتيبات اللازمة مع القيادة الروسية على الخطط والأهداف، وفوضته أن يطلعها على ما رسمناه من خطط لما تبقى من أشهر الشتاء والربيع على أن يزوده الروس بمخططاتهم.

وصلنا خبر من القيادة العليا المشتركة بأن الروس يعبئون قواتهم ومعداتهم ليقوموا بهجومهم الشتوي في أوائل سنة 1945، لكن ما تكاثف في جبهتهم على نهر الفستيولا في بولندا من غيوم وضباب جعلهم أن يتأخروا قليلًا عن الموعد المضروب وأخيرًا بدأ الزحف المنتظر في 12 كانون الثاني وجعل يتقدم ويتطور بسرعة.

وصل تدر ومرافقوه موسكو عندما بدأ الهجوم الروسي، واستقبلهم الجنراليسمو ستالين وسائر السلطات الروسية هنالك بأجمل مظاهر المودة والترحاب، وتبادلو معهم المعلومات بكل دقة. وأكد الماريشال ستالين أوفدنا بأن الزحف الذي بدأه الروس سيستمر حتى لا يتيح أي فرصة للألمان لأن ينقلوا شيئًا من قواتهم في الشرق إلى الجبهة الغربية.

حدث نتيجة لذلك أن القيادة العليا المتحدة خولتني السلطات اللازمة للإتصال والتفاهم مع الروس على المسائل العسكرية البحتة، وفيما بعد قام المستر تشرشل ينتقد بشدة ما حولته من سلطات، وما قمت به من ترتيبات واثبت بذلك الحقيقة الواضحة بأن الحملات العسكرية هي جزء لا يتجزأ من النشاط السياسي.

أصبح التفاهم والتعاون بين قوتين حليفتين، زاحفنين إلى وسط مشترك أكثر ضرورة مما في السابق حين كانت الحرب تقتصر على جبهة برية محدودة يلتحم فيها عدد قليل من الجيوش. لأن المقاتلات والقاذفات الجوية المساندة للجيوش البرية تغير على مساحات واسعة من أراضي العدو لتدمر منشآته ومستودعاته وجسوره وما لديه من وحدات احتياطية فإذا لم تتخذ الترتيبات بين

قيادة الجيشين المتحالفين فقد ينشأ من الأخطاء ما تؤدي إلى جعل طائرات الحليف تضرب معسكرات وخطوط الحليف الآخر.

لم تكن قضية التمييز بين صفوف المتحاربين أبدًا سهلة. ففي حربنا الأهلية كان جيش الشمال يلبس البدلات العسكرية الزرقاء، وجيش الجنوب البدلات الرمادية اللون ومع ذلك كثيرًا ما جرى التحام بين صفوف قوة الشمال أو الجنوب، لا لشيء سوى قلة التمييز بين الصديق والعدو. فكيف يكون الحال في حرب حديثة تحرص كل دولة أن تجهز جيشها باللباس الذي يشبه طبيعة ولون الأرض التي يقاتل فيها. في هذه الحال يصبح اللباس متشابهًا. وإن لم تكن القيادة متيقظة نشأت الحالات التي يضرب فيها الحليف حليفه والجيش نفسه. وإذا اشتركت الطائرات بالمعركة فلا تستطيع أبدًا أن تفرق بين العدو والصديق. فواجب القيادة أن تحدد بالتدقيق الأمكنة التي تستطيع الطائرات أن تدقها، هذا بالإضافة إلى أننا رغبنا في التفاهم مع الروس على الخطط المرسومة ليأتي العمل منسجمًا متكاملًا في سبيل القضاء على العدو المشترك.

أصبحت غاراتنا على ألمانيا شديدة التأثير في انقاص انتاجها الحربي، في أوائل سنة 1945، كما أن زحفنا السريع إلى حدود ألمانيا الغربية وضع في ايدينا الإمكانيات بأن نقيم لمقاتلاتنا مطارات قريبة من ألمانيا نفسها، تستطيع أن تحمي قاذفاتنا من الطائرات الألمانية اينما توجهت، فقل بذلك الخطر على قاذفاتنا التي أصابت العدو بخسائر فادحة بكل ناحية من نواحي نشاطه العسكري والاقتصادي، حتى أحاقت به الكارثة فنسفنا مستودعات النفط التي كانت منذ البداية هدفًا لغاراتنا فأحدثنا أزمة وقود شديدة

في ألمانيا حتى أوشكت آلات النقل فيها أن تتوقف وتعذر على القيادة أن تنقل الجنود والمؤن من مكان إلى مكان، كما أن افتقار سلاح الطيران الألماني للوقود وضع حدًا لتعليم طيارين جدد يعوضون بهم عما يفقدون.

وصلتنا المعلومات من عملائنا في شتاء تلك السنة بأن الألمان بدؤوا ينتجون الطائرات النفاثة، فاعتقد قادة الجو عندنا بأنه إذا استطاع العدو إنتاج عدد كبير من هذه الطائرات، أمكنه أن ينزل بقاذفاتنا الخسائر الباهظة التي لا نستطيع التعويض عنها. أما نحن في دورنا فقد قطعنا شوطًا بعيدًا في إنتاج الطائرات النفاثة في أمريكا وبريطانيا، لكننا لن نستطيع استعمال عدد كبير منها قبل فصل الربيع، ولذلك صممنا على أن تقوم بمحاولة فعالة لنؤخر عملية إنتاج هذا النوع من الطائرات في ألمانيا، بقصف منشأاتها في كل مكان حامت حوله الشبهات، فأثمرت محاولتنا لأنها منعت الألمان من استعمال الطائرات النفاثة بأعداد تكفي لتغيير ما قد كتب، فزاد يقيني بأن المصاعب التي تعانيها ألمانيا يجعل أمر قيامنا بهجوم عام سهلًا لنكيل الضربة المميتة لألمانيا الهتلرية.

أدهشني قيام بعض القادة السياسيين والعسكريين البريطانيين بانتقاد خطتي، فهناك فرق شاسع في الوضعية بين القيادة العليا والقيادة الحربية في ساحات القتال عند الأمريكيين والبريطانيين. فالأسلوب الأمريكي ينص على تعيين القائد وتزويده بالرجال والمعدات ليقوم بمهمة خاصة، وبعد ذلك لا يتدخل أحد في شأنه بل تترك له الحرية في أن يتصرف حسب الظروف. وذلك للاعتقاد بأن القائد المحلي يحيط بالظروف الفنية والأحوال

الطارئة أكثر من القيادة العليا التي تكون على مسافة آلاف الأميال. فاذا أخفق يصار إلى بداله بقائد أكفأ، بينما الاسلوب البريطاني ينص على أن للقيادة العليا الحق في التدخل في شؤون القائد المحلي واصدار التعليمات إليه يومًا فيومًا. قد يكون هذا الأسلوب قائمًا على اسس صحيحة غابت عني معرفتها بتاتا لكني أعلم أنني كنت أصاب بصدمة كلما رأيت السلطات البريطانية تحاول أن تتدخل في شؤوني وشؤون القادة البريطانيين في الجبهة.

احدث بعد أن رسمت خطة العمل لسنة 1945 وعرضته على القيادة العليا المشتركة أن صديقي الفيلد مارشال بروك قدم احتجاجات غير رسمية عليها ولكنها جدية. وتركزت انتقاداته على أنني سمحت بموجبها بنشر وتشتيت قواتنا أكثر من اللازم وقال بوجوب تجميد الجبهة والتزام خطة الدفاع إلا نتمكن من جمع قوة احتياطية كبيرة أستطيع التغلغل بها في قلب ألمانيا.

اني أقر وأعترف بأن بعثرة القوات على مدى واسع جريمة كبرى لا يلتجئ إليها إلا قائد بليد، لكن لكل حالة ظروفها الخاصة. ففي الحالة التي كانت تواجهنا في شهر كانون الثاني تمتع الألمان بميزة خاصة لوجود خط سيغفريد الحصين في حوزتهم فاذا سمحنا لهم بالبقاء فيه استطاعوا حمايته بعدد قليل من الجنود بينما يجمعون معظم قواتهم في نقطة معينة فاذا قمنا بهجوم كبير على نقطة ضيقة استطاعوا أن يكروا علينا بها. ولما كنا لا نستطيع دفع أكثر من خمس وثلاثين فرقة في المعركة على جبهة ضيقة، ففي إمكان الألمان أن يواجهوا بقوات أعظم من ذلك ويحبطوا خطتنا.

وبناء على ذلك لم أجد أصوب من الزحف على جبهة عريضة لاتمكن من طرد العدو أولًا من تلك الحصون، فنضيع عليه تلك الميزة. وبعد ذلك نفعل ما تمليه علينا الظروف في سبيل النصر.

حاولت بكل مشقة أن أقنع الفيلد مارشال بروك بأن طردنا لجيش العدو من كل الأراضي الواقعة غربي الراين يضعنا في ميزات متساوية مع العدو. وعند ذلك نستطيع أن نقذف إلى المعركة بخمس وسبعين فرقة كاملة العدد والعدد، يحميها سلاح طيران متفوق كثيرًا على طيران العدو فيصعب عليه مواجهتنا وتتضغضع قواه، ويمنع عليه سلاح طيراننا التنقل من مكان إلى مكان ويقع بين أمرين لا ثالث لهما وهما اما التسليم أو الفناء. وظهر أنه لم يقتنع تمامًا ولذلك قال: «اني أتمنى عليك أن تضع القوات البريطانية في الوسط ليتسنى لها اللعب بأقوى قسط من المعركة»، فأجبته مباشرة: «أني لست متشوقًا ولا راغبًا بقذف أمريكيين إلى وطيس المعركة ليقتلوا، ولا أهوى التضحية بالجنود البريطانيين. ولما وضعت خطتي لم يدر في خلدي أن أعطي الفرصة لقائد أو أمة ما أن تجني الأمجاد دون غيرها، وإن كنت تعتقد بكسب المجد على حساب دم الشبان فاني أقول لك أنه لا يوجد مجد يضاهي بقيمته ما يسفك من دماء لاجله».

أخيرًا لم يجد بروك بدا من أن تجري الأمور على ما أهوى، لكنه أبدي شكه في مقدرتنا على القضاء على القوات الألمانية المعسكرة غربي نهر الراين. ولما أثيرت مسألة تعيين قائد عام للقوات البرية ثانية، رفضتها بتاتًا، لاعتقادي بأن الجهاز الذي أعدناه كفيل بأن يقضي على كل مقاومة ألمانية بأسرع الطرق.

علمت في كانون الثاني أن الرئيس روزفلت والرئيس تشرشل قد صمما على أن يجتمعا بالمارشال ستالين في يالطا. وبالطبع كان لا بد من مرافقة عدد كبير من الخبراء والمساعدين والمستشارين لكل من الرئيسين. وانفرد الجنرال مارشال بالمرور بأوروبا حيث اجتمعت به سرًا في مدينة مرسيليا في 25، فأخبرني عن صدى ما تحدثه تذمرات البريطانيين واحتجاجاتهم على عدم تعيين قائد بريطاني لينوب عني في قيادة الجنود البرية في واشنطن فأطلعته على جلية الأمر وشرحت له ما وضعت من خطط فأبدى موافقته الكلية.

الضباط الأمريكيون والروس يرقصون مع مجندات الجيش الأحمر من الأمور التي اعرناها قسطًا كبيرًا من اهتمامنا قضية اجتياز نهر الراين. وقد وقع مهندسونا بأخطاء فنية في حساباتهم، واتفقوا على أنه لا يستطاع إقامة جسور عليه قبل شهر أيار ولما توافرت هذه المعلومات من الخبراء في كل ناحية قنعت بنصيبي واكتفيت بأن اطهر كل ما تبقى بيد الألمان غربي الراين، على أن تقوم ببناء الجسور لاجتيازه في شهر أيار. لكن لما بدأنا بتنفيذ الخطة التي رسمت جاء ما وقع من حوادث مكذبًا لتقارير خبراء المهندسين لأننا استطعنا إقامة الجسور واجتياز النهر قبل أيار بزمن طويل.

تأثر الجنرال مارشال بالخطة التي عرضتها عليه حتى اقترح علي إرسال الجنرال سميث مساعدي الشخصي الأول في القيادة إلى مالطا حيث قرر عقد اجتماع بين الرئيس روزفلت وتشرشل وكبار مساعديهما ومستشاريهما العسكريين، وذلك ليتمكن من

عرض خطتي المقنعة على المؤتمرين، وتبرع هو نفسه بأن يتبناها ويدافع عنها لتكسب موافقتهم فسرني أن أنزل عند رغبته لأنه خير من يكفل قبولها والسير بموجبها.

كانت اعتراضات الفيلد مارشال بروك على خطتي مجرد اعتقاد لايستند إلى حجج عملية والبرهان على ذلك هو أننا لما استطعنا القضاء على القوات الألمانية غربي الراين، وجاء هو ووقف إلى جانبي على ضفاف النهر ليشاهد اجتياز جيشنا التاسع، والحادي والعشرين على جسرين لم يستطع العدو نسفهما، التفت إليّ وقال:

«أشكر الله يا أيك لأنك تشبثت بخطتك ومرت بموجبها. لقد كنت على حق فيما ذهبت إليه، واني آسف لما اثرت من مخاوف شخصية أضافت عبئًا جديدًا على ما تتحمل من أعباء. أما الآن فقد غلب الألمان على أمرهم ولم يبق لهم إلا أن يختاروا ساعة التسليم. أشكر الله ثانية على الصلابة التي دافعت بها عن حظك».

اقتضى منهج القضاء على القوات الألمانية غربي الرين القيام بثلاث عمليات متتابعة، أولاها قيام قواتنا في اقصى الشمال بهجوم ساحق على العدو، واجتياز نهر الرين. ثانيها مهاجمة جيوش برادلي في الوسط، وثالثها اشتراك قوات برادلي ودفرز في تطهير حوض السار.

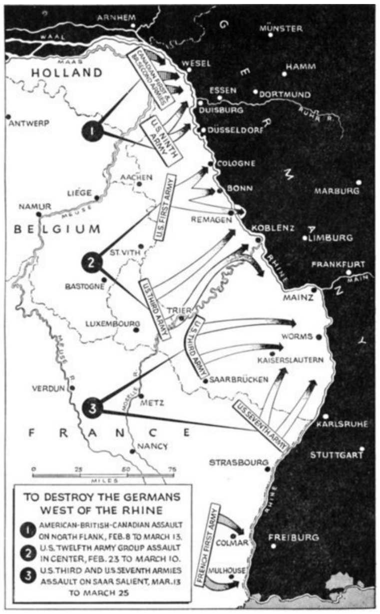

<u>القضاء على القوات الألمانية غربي الرين</u>

حالما التقى الجيش الأول الزاحف من الشمال بالجيش الثالث الزاحف من الجنوب في هوفاليز في 16 كانون الثاني، رجع مونتغمري إلى الشمال ليهيِّئ للعملية الأولى. إن خط سيغفريد يمتد غربي الرين من نقطة التقاء نهر الموز بنهر الرين في الشمال، إلى حوض السار جنوبًا، ولم يبق للألمان جنوبي المسار إلا قوات متفرقة في الالزاس، وجيب كولمار إلى الجنوب من ذلك.

بعد انتهاء معركة الأردن حصرت اهتمامي في جيب كولمار لأزيله من الوجود الشدة ما ازعجني، فقام الجيش الفرنسي الأول بمهاجمته في العشرين من الشهر، (ك2) ولما رأيت أن تقدمه بطيء أمرت الجنرال دفرز بأن يدعم الفرنسيين بفيلق اميركي مؤلف من أربع فرق، ففعل، وجعل الفيلق الاميركي رأس حربة الهجوم فإنهارت تحصينات الألمان سريعًا، ووقعت كولمار في ايدينا في 3 شباط بعد أن تكبد العدو 22.000 إصابة، وخسارة

فادحة في المعدات.

تبعًا للخطة التي رسمناها في حملتنا ضد الألمان، توجب على الجيش الكندي والجيش التاسع الأمريكي التابع لقيادة مونتغمري إن يتحركا على أن يهاجم الأول في الشمال قرب نهر الموز الاسفل ويهاجم الثاني في منطقة نهر الرور متجهًا شمالًا بشرق بعد أن يجتاز النهر على امل أن تدفع هاتان الحركتان الألمان للتقهقر إلى نهر الرين.

كان ما يزال للعدو في هذه الناحية جنود متمرسون في القتال مدربون على الحرب متمركزون في أمكنة حصينة، فلما رأى الجنرال برادلي ذلك أمر الجنرال هودجيز بمهاجمة السدود التي تمنع الجيش التاسع من اجتياز نهر الزور، فوجه الجنرال هودجيز الفيلق الخامس من الجيش الأمريكي الأول ليهاجم ويحتل السدود في 5 شباط، وبعد نشوب قتال عنيف لمدة ستة أيام أحتل الجيش الأول السدود ولكن الفيضان الذي أحدثه الألمان في النهر اختر اجتيازنا له بضعة أيام.

عندما كان الجنرال مونتغمري يهيِّئ لهجومه في الشمال رجاني أن آمر برادلي أن يوقف تحركات الجيش الأول والجيش الثالث لأستطيع مده بقوة فعالة تمكنه من زحف مسريع، فرفضت طلبه لاعتقادي بأن ضغط برادلي على الألمان في الأردن يضطرهم إلى تخفيف قواتهم في الشمال. ولما بدأ الجيش الكندي تحركاته في 8 شباط على اسفل الموز وجد نفسه يقاتل في أرض موحلة يغوص الرجال فيها إلى أوساطهم ولذلك كان التقدم بطيئًا

وعميرًا، ولا سيَّما أن مقاومة الألمان أخذت تشتد في تلك الناحية عندما سحبوا جزءًا كبيرًا من قواتهم المعده كرة على نهر الرور وجاؤوا بها إلى نهر الموز، فمدير الجنرال مونتغمري من هذه البادرة الألمانية، لأنها تسهل على الجيش التاسع تقدمه في الزور.

قمت في هذه الأثناء بزيارة للجنرال جبسن قائد الجيش التاسع، فوجدت المعنويات ممتازة وكل شيء على أهبة الاستعداد إذا بدرت غلطة من الجنرال جبسن كقائد الجيش في مدة الحرب الأوروبية فإني لم أدر بها فهو قائد يقظ، ذكي الفؤاد، ذو كفاءات متنوعة، تجعله مبرزًا في قيادة الرجال والفنون العسكرية، وإن كنت آسف لشيء فاني آسف لما أصابه من اعتلال في صحته اضطره إلى أن ينسحب من الجندية بعد الحرب مباشرة قبل أن يضع النجمة الرابعة على كتفيه. وتألف جيش سمبسن من ثلاثة فيالق، الفيلق السادس عشر بقيادة الجنرال أندرسن ومركزه الميسرة والفيلق التاسع عشر بقيادة الجنرال ماكلين ومركزه الميمنة. والفيلق الثالث عشر بقيادة الجنرال الفان جليم ومركزه القلب.

بعد أن بدأ الجيش الكندي هجومه لم يفعل الجيش التاسع شيئًا سوي مراقبة نهر الرور. وفي 23 شباط رأي سيمسن أن مياه النهر قد انخفضت فأمر بالهجوم، بعد أن مهد لذلك بقصف شديد من الطائرات والمدفعية، فاجتاز جيشه النهر بنجاح وأخذ يزحف شرقًا بسرعة، ولا شك أن مما سهل عليه مهمته أن قسمًا كبيرًا من قوات العدو التي كانت معسكرة في هذه الناحية قد انتابت المتواجه الهجوم الكندي الذي وقع قبل أسبوعين في الشمال وفي

أقل من أسبوع استطاع الجيش التاسع احتلال مدينة مونتشن كلادباخ وهي أول مدينة ألمانية كبرى وقعت في أيدينا.

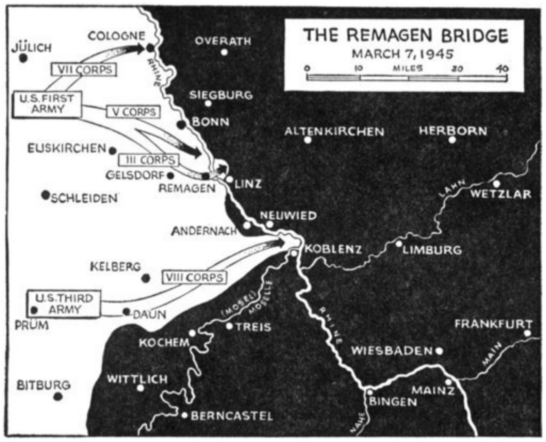

جسر راميجن أو جسر لودندورف 7 آذار 1945

بينما كنت أتجول في المدينة أنا والجنرال سمبسون شاهدت أول طائرة نفاثة في حياتي تطير على مستوى عال جدًا، ففتحت مدفعيتنا نيرانها عليها من كل جهة، وبعد عدة ثوان، أخذت بقايا القنابل المتفجرة في الجو تتساقط حولنا مما جعلني أن أضع الخوذة الفولاذية على رأسي لأول مرة منذ بدأت الحرب، ولو لم أفعل لإضطررت إلى الاختباء تحت سيارتي «الجيب» ومن حسن الحظ أن الطائرة رأت في هذه الاستقبال الحار ما جعلها تولي الادبار.

عندما أحس الألمان بعنف الهجوم الذي قام به الجيش التاسع أخذوا يتقهقرون بسرعة. ولم يطل الوقت حتى كانت الميسرة تشق طريقها نحو الشمال الشرقي وتتصل بالجيش الكندي، ويشكل الجيشان جبهة واحدة متراصة تزحف وئيدًا إلى أن بلغت الضفة الغربية لنهر الرين ولما بلغت قواتنا الرين أخذ مونتغمري يتهيأ لاجتيازه، ولأسهل عليه مهمته أمرت الجيش التاسع الاميركي بأن يبقى تابعًا لقيادته.

لما بدأ سمبسن زحفه في 23 شباط، هب الجنرال برادلي في الوسط وقام بسلسلة هجمات سريعة وموفقة. ولما كان يتبع قيادة برادلي يومئذ الجيش الأميركي الأول في الميسرة بقيادة الجنرال هودجيز والجيش الأمريكي الثالث بقيادة الجنرال بانون في الميمنة، بدأت ميسرة الجيش الأول الهجوم المؤازرة الجنرال سيمبن، وذلك لنتمكن من زحزحة ميمنة الألمان في تلك الناحية، لنقوم عليهم بهجوم جانبي من الشمال ثم بدأ كل الجيش الأول بالتحرك شرقًا، وانتقلت العدوى إلى الجيش الثالث إلى الجنوب فبدأ يتحرك أيضا نحو الشرق وهكذا بدت الجبهة كأنها قطعة واحدة في التحرك شرقًا من مصب نهر الرين شمالًا إلى الموز جنوبًا.

استطاع الفيلق السابع أن يتقدم بسرعة، وصادف في البدء مقاومة شديدة قرب قنال ارفت غربي مدينة كولون، فتغلب عليها وواصل زحفه شرقًا إلى ضواحي كولون التي بلغها في 5 آذار. وفي السابع تمكنا من احتلال كل المدينة وبلوغ نهر الرين، ولما كان قد حدث ذلك قبل الوقت المضروب أصبح لدينا هنالك أربع فرق غير مشتركة بأي عمل، فساعدنا ذلك على استغلال إشراكها في الجنوب كما سيلي.

بينما كان الفيلق السابع يزحف إلى كولون في الشمال بقيادة الجنرال كولينز، أمر الجنرال هودجيز الفيلقين الثالث والخامس بالتحرك أيضًا، فوصل الفيلق الثالث نهر الرين عند مدينة راميجن في 7 آذار، وصادف هنا فرصة من أمجد الفرص التي يتمناها ويطمع بها كل قائد طموح، لأنه إذا عرف كيف يستفيد منها تمهد

أمامه الطريق لعمليات أكبر وأوسع مدى في المستقبل. وهذه الفرصة السعيدة هي أن الفيلق الثالث وصل نهر الرين ووجد أن جسر لودندورف ما يزال قائمًا سليمًا.

المعتقد أن الألمان كانوا قد أعدُّوا الأمر لإتلاف كل الجسور القائمة على نهر الرين بعد انسحابهم بما فيها جسر لوندورف ولكن تقدم الأمريكيين السريع في تلك المنطقة أصاب الجبهة الألمانية بالهرج والمرج وفوَّت على المسؤولين مهمَّة إتلاف الجسر وعلى الأغلب أنهم أبقوه إلى أن تعبر عليه بعض القوات الألمانية المتأخِّرة فأتت القوات الأمريكية وسبقتها باحتلال الجسر وإرسال بعض الوحدات لاجتيازه.

علم برادلي بوقوع الجسر في أيدي الأمريكيين، بينما كان يتحدث إلى ضابط كبير من أركان حربي فباحثه فيما يجب أن يفعل، أيكتفي بإرسال قوة صغيرة إلى الضفة الشرقية أم يأمر بإرسال قوة كبيرة؟ إذا أرسل قوة صغيرة فهنالك احتمال أن يركز الألمان عليها هجومًا قويًا ويبيدوها، وإن أرسل قوة كبيرة فقد يؤثِّر ذلك على قوانا في غير قطاعات ويحدث تشويشًا فيما رسم من خطط وأخيرًا رأى أن يستشيرني.

كنت أتناول طعام الغداء في مركز قيادتي في مدينة ريمز مع بعض قوّاد فرق المظلات لمَّا رنّ تلفون برادلي وأخبرني بما جرى. ولم أكد أصدّق أنه قد أصبح في حوزتنا جسرٌ ثابت قائم على نهر الرين فصرخت بالتلفون: «كم لديك من القوات التي تستطيع إرسالها إلى الجانب الشرقي من النهر؟» فأجاب: «أربع

فرق، ولكني ترددت في إرسالها خوفًا من أن أحدث تشويشًا في خطتك».

وأجبت ثانية: «حسنًا يا برادلي، إنَّ لنا في كولون أربع فرق عاطلة عن أيّ عمل، فأرسل الآن الأربع أو الخمس فِرق التي في حوزتك إلى ضفة النهر الشرقية، على أن تستدعي فِرق كولون لتحل محلّها». فجاء صوته يرنُّ رنين الفرح: «هذا بالتَّمام ما أردت فعله أولًا خوفي من معاكسة خطتك».

كانت تلك من أسعد اللحظات التي مرّت بي في أثناء الحرب، كيف لا وقد وقع في يدنا ذلك الجسر الثابت الذي يمكِّننا من اجتياز النهر الذي كنا نحتسبه عقبةً كأداء في طريقنا، وكيف لا أسرّ وأتفاءل وأنا أرى ما كان حلمًا قد أصبح حقيقة مجسَّمة؟

ما أقبل التاسع من شهر آذار حتى كان لنا رأس جسر على الضفة الشرقية لنهر الرين يبلغ عمقه أكثر من ثلاثة أميال، ولذلك لم يصح العدو من عامل المفاجأة ويبدأ بهجماته المعاكسة للقضاء على رأس جسرنا إلا بعدما أصبحت قواتنا هنالك قوية يصعب سحقها.

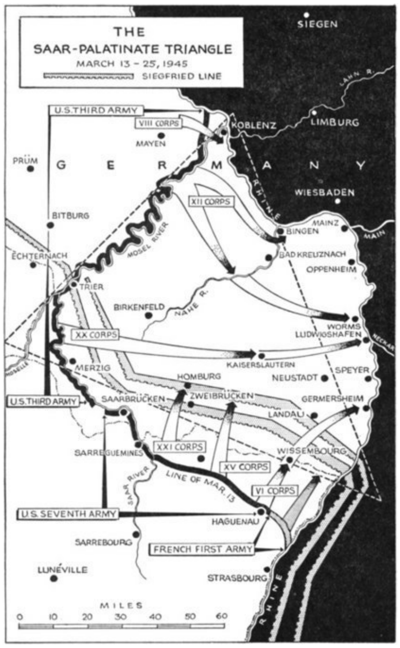

<u>مثلث السار- بلاتينت من 15-23 آذار 1945</u>

وما فتئ العدو يقوم بمحاولاته لتدمير الجسر منذ أول وقوعه في أيدينا، وقد عبأ لذلك مدفعية بعيدة المدى وطائرات ركزت مجهودها على إسقاطه في النهر ولكنه لحسن الحظ لم يتعرض لأي إصابة مباشرة فاتسع أمامنا المجال لإرسال المزيد من قواتنا ومعداتنا عليه. على أننا لم نكتف بجسر لودندورف وحده، بل أقمنا لأنفسنا عدة جسور اصطناعية عائمة تتحمل أثقال مدفعيتنا الكبرى ودباباتنا.

بلغ من اتقان مهندسينا لبناء مثل هذه الجسور العائمة أن الجنرال كولنز قائد الفيلق السابع دعا رئيس مهندسية الزعيم ميسن يونغ وقال: «يايونغ اني أعلم أنك تستطيع إقامة جسر على نهر الرين بظرف اثنتي عشرة ساعة، فأية جائزة تريد أخذها مني أن استطعت إنهاء العمل بوقت أقل من ذلك؟» فكر يونغ قليلًا ثم قال:

«شخصيا لا أريد شيئًا سوى صندوقين من الشمبانيا للورشة التي تعمل معي». قال كولنز: حسنا! «صندوقان وحبة مسك» إذا بنيت الجسر في أقل من اثنتي عشرة ساعة.

تم الجسر الذي طوله 330 ياردة على نهر الرين بظرف عشر ساعات وإحدى عشرة دقيقة، فدفع كولنز الثمن المتفق عليه، وبدأت النقليات تسير عبر النهر.

أضعفت مجهودات الألمان جسر لودندورف، ورغم محاولات المهندسين الأمريكيين لاصلاحه، سقط وسطه في النهر في السابع عشر من شهر آذار وحمل معه عددًا من أمهر مهندسينا وعبثًا حاولنا انتشالهم من النهر المتجمد.

بدأ الجيش الثالث زحفه شرقًا إلى الجنوب من زحف الجيش الأول ليطهر جميع الأراضي التي يحتلها الألمان غربي الرين فاستطاع الفيلق الثامن الذي اتجه شمالًا بشرق أن يخترق مقاومة الألمان ويصل الرين في 9 آذار حيث اتصل بالجيش الأول. وفي الوقت نفسه قام الفيلق الثاني عشر بهجوم آخر، ووصل الرين في العاشر من الشهر، بعد أن غنم معدات ألمانية كثيرة وحاصر عدة وحدات ألمانية واتجهت الفيالق السادس والخامس عشر والواحد والعشرون من المنطقة الواقعة إلى الشمال والشمال الغربي من مدينة ستراسبورغ شرقًا، وطردت الألمان من جميع الأراضي الواقعة غربي الرين وسقط حوض السار في أيدينا.

بعد أن اشترك كل الجيش الثالث في الزحف، انتقلت الحركة جنوبًا وشملت الجيش السابع بدأ الفيلق الثاني عشر هجومه من

أسفل الرين متجهًا نحو الجنوب الشرقي، وبعد أن قطع الموزيل في 14 من الشهر واصل زحفه دون أن يلاقي مقاومة تذكر فجاءت حركته مباغتة للألمان، الذين كانوا ينتظرون أن يزحف هذا الفيلق إلى الشمال الشرقي. فتهيؤوا لصده هنالك لكن لم اتجه نحو الجنوب الشرقي كانت طريقة مفتوحة فتغلغل في قلب دفاع وادي السار، وصدع بذلك مراكز العدو الدفاعية وعندما بدأت سائر القطاعات الأمريكية تضغط على الألمان إلى الغرب من ذلك، وجد هؤلاء أنفسهم بين قوتين أمريكيتين، الفيلق الثاني عشر في الشرق، وباقي الفيالق في الغرب والجنوب والشمال. فانقطع خط مواصلات العدو، ودبت الفوضى بين الجنود الألمان حتى أن الجنرال باتون حينما وصل نحو نهر الرين لم يتوقف، بل أمر الفرقة الخامسة بإجتياز النهر، فنجحت في الثالث والعشرين من الشهر دون أن تمنى بخسائر تذكر. وفي الخامس والعشرين انهارت كل مقاومة ألمانية إلى الغرب من الرين.

جرت كل تلك العمليات السريعة بالتعاون بين قوات الجو وقوات البر، حين راحت طائراتنا تهاجم أهداف العدو وتشل حركة تنقلاته وتدمر معدات الحيوية ومخازن تموينه وقام سلاح الجو الأميركي يوم عيد مولد واشنطن بعملية لم يسبق لها مثيل من حيث الاتساع، وأنزل الأضرار بأكثر من عشرة آلاف نقطة من ألمانيا، بقصد تدمير جهاز المواصلات في داخل ألمانيا على أن يكون الدمار مركزًا وشاملًا حتى يصعب إصلاحه في مدة قصيرة وقد اشتركت تسعة آلاف طائرة في الهجوم أتت من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا، وقصفت كل نقطة حساسة ولم

تستطع القوات الألمانية الجوية أن تبدي مقاومة تذكر لعدة أسباب، أولها أن الغارة كانت واسعة جدًا يصعب حصرها، ثانيها أن زيت الوقود عند الألمان أصبح قليلًا، ثالثها أنها لم تجرؤ على مواجهة مقاتلاتنا وقلاعنا، فتعززت بذلك الفكرة بأن تدمير آلة الحرب الألمانية قد أصبح وشيكًا.

سارت العمليات الحربية طبقًا للخطط المرسومة، ومما سهل علينا المهمة في ذلك، أن كل انتصار أحرزناه زاد جنودنا ثقة بأنفسهم، بينما زعزع ثقة الألمان بأنفسهم وكلما أسرعت قواتنا في الزحف، أسرعت قوات الألمان بالفرار. نعم إن استيلاءنا على جسر الدندورف عزز من مركزنا، لكنه لم يغير ما قد كتب من قبل وهو أن نهاية الألمان قد قربت وبعد شهر من العمليات الحربية استولينا على عدد كبير من الألمان إذ بلغ الاسرى عشرة آلاف جندي في كل يوم، وذلك يعني أن العدو خسر نحوا من عشرين فرقة في شهر واحد ما عدا من سقط قتيلًا أو جريحًا. وما عدا ما عاناه من خسارة في المؤن والمعدات وتدمير مواصلات ومصانع.

بلغ من اتقان جهاز مواصلاتنا وإدارتنا أن مكننا من تسهيل نقل الأعداد الكبيرة من الأسرى دون أن نعطل الحركات العسكرية. ولو قابلنا بين حالتنا في تونس وحالتنا في الالزاس واللورين لرأينا التقدم الذي أحرزناه في هاتين الناحيتين. فعندما استولينا في تونس على ربع مليون مقاتل من جنود المحور تضايقت إلى درجة توجهت فيها إلى بعض معاوني بهذا السؤال: «لماذا لم يذكر أحد من مؤلفينا العسكريين كيف يجب أن نتصرف إذا ما

وقع في أيدينا ربع مليون أسير من جنود الأعداء إذا كانت الطرق معطلة لا تساعد كثيرًا على اطعامهم أو نقلهم بسرعة.

أصبح لنا في الرابع والعشرين من شهر آذار ثلاثة فيالق على ضفة نهر الرين الشرقية في منطقة راميجن على قدم الأهبة والاستعداد لتضرب في أية جهة إذا ما صدرت الأوامر. كما أصبح لنا رأس جسر آخر إلى الجنوب من ذلك حيث انهارت قوات العدو، وبتنا قادرين على أن نقيم رؤوس جسور بقدر ما نريد في تلك النواحي.

تقع إلى الشمال من رأس جسرنا في منطقة راميجن نهر صغير يجري من الشرق إلى الغرب يدعى نهر سيغ، يفصل واديه قواتنا عن منطقة وادي الرور تلك المنطقة الصناعية التي تمون القوات الألمانية جميعها في حربها ضدنا وضد الروند. ولما تحدبت القيادة الألمانية من قيامنا بهجوم على الرور أخذت تجمع كل مقاتل وترسله للدفاع عن وادي نهر السيغ.

لما وجد هتلر نفسه في تلك الوضعية المضعضعة التجأ كعادته إلى احداث تغييرات بين القواد، فعزل الجنرال فون رونشتات الذي لم يشترك في أية عملية حربية بعد ذلك، وحل فون كسلرنغ مكانه والمارشال فون رونشنتان هو في نظرنا أقدر القادة الألمان، كان القائد الأعلى للقوات الألمانية في الغرب عندما نزلت جيوشنا في فرنسا في 6 حزيران. ولما عجز عن قذفنا إلى البحر حسب ما أمر هتلر، أعفي من منصبه ثم سيلم القيادة ثانية، لما عجز خلفه فون كلوغ عن ايقاف زحفنا ولكن إذا تضعضعت الدولة في

الداخل فإن تغيير المواد في الجبهات لا يجدي نفعًا.

الفَصْل الثّامِنُ عَشَر

احتلال ألمانيا

أن الأهمية الصناعية التي كان الألمان يعلقونها على حوض الرور قد بدأت تفقد مكانتها قبل أن تزحف قواتنا عليها وتهددها بالتطويقوذلك ليس لأن طائرتنا قد أغارت على تلك المصانع مرارًا وتكرارًا، وحدت من قسوة انتاجها بل لأن طائراتنا قامت في شهر شباط من سنة 1945 بغارات مركزة على مواصلات الرور بسائر الأجزاء الألمانية، عرفنا على أثرها أن النقليات قد أصبحت معومة بين الرور وبين ما تبقى لألمانيا من قوا، نتيجة لذلك القصف. فلاح لنا أن الألمان سيعمدون إلى نقل القوات المدافعة عن ذلك الحوض لتقاوم زحفنا في المناطق الأخرى. ولكن القيادة الألمانية تشبثت بما سبق ووضعت من خطط، وأبقت قوات الرور في مراكزها رغم ما كنا نقوم به من محاولات لتطويق المنطقة بكاملها.

قامت قوات برادلي في الجنوب، وقوات مونتغمري في الشمال بزحفها للالتقاء في منطقة مدينة كاسل، ولكن قوات الجيش التاسع الاميركي صادفت مقاومة عنيفة فتباطأ تقدمها، بينما لم تصادف قوات برادلي الزاحفة من الجنوب مقاومة تذكي، فتم الاتصال بين الجيشين في مدينة ليبشتادت، وهكذا عزلت جيوشنا منطقة الرور عن ألمانيا في أوائل شهر نيسان.

عانى الألمان سلسلة متلاحقة من الانكسارات، بدأت بفشل هجوم الأردن وما زال الحلفاء ينزلون بهم الخسارة تلو الخسارة، والاندحار تلو الاندحار وأصبحنا نتساءل لماذا يواصل هتلر الحرب ولا مجال لذرة من الأمل في النجاح، لأن الزحف من الشرق ومن الغرب بقوات ضخمة يتطور بسرعة، وقد طارت من يده كل المناطق الصناعية من سيليزيا في الشرق إلى الرور والسار في الغرب وما تبقى له من مصانع لا يستطيع تموين الجيوش مدة طويلة، هذا بالإضافة إلى أن الطرق في ألمانيا قد باتت مدمرة، والمواصلات معطلة ولا نعلم إذا بقي من وسيلة لدى القيادة الألمانية لإيصال أوامرها إلى القطاعات وإذا بقيت بعض الوحدات الألمانية مصممة على الحرب والمقاومة فعلى ما تمول أتتفادى الكارثة؟

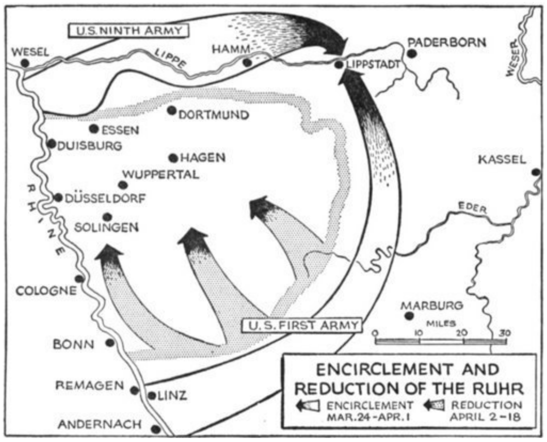

تطويق واخضاع منطقة الرور

التطويق 24 آذار إلى 1 نيسان

الاخضاع من 2- 18 نيسان

وجهت في 21 آذار نداء إلى الجنود الألمان، وإلى الشعب أيضًا أن يلقوا السلاح وينشطوا للعمل السلمي، وأوضحت لهم عدوى الجدوى من العناد والمقاومة اللذين يزيدان في ثقل الكارثة عليهم، ولم يكن قصدي من ذلك إلا وضع حد لهذه المجزرة البشرية الرهيبة. لكن لسوء الحظ كانت قبضة هتلر لا تزال قوية، فذهب ندائي أدراج الرياحل.

حدث في أثناء زحف الجيش الأول أن انعزل 15.000 ألماني في جبال هارتس فقاوم هؤلاء بعناد وحموا ساحتهم إلى الحادي والعشرين من شهر نيسان.

وفي الشمال استطاع الجيش التاسع بقيادة الجنرال سمبسون أن يواصل زحفه ويجتاز نهر الفيزر في السادس من نيسان واندفع من هنالك شرقًا إلى نهر الألب، فوصل مدينة ماغدبرغ في 11، وفي اليوم التالي قامت الفرقة المدرعة الثانية بإجتياز الالب

واندفعت شرقًا ثم قامت فرقة أخرى باجتياز النهر، ولكن الجيش الألماني تمكن من نسف الجسور واجبار هاتين الفرقتين على الرجوع إلى الضفة الغربية. ولكن الفرقة 83 اجتازت النهر في 14 من الشهر واستقرت على الضفة الشرقية.

عندما وصلت قواتنا نهر الالب شمالي برلين بدأ الجيش الروسي يزحف من جديد على نهر الاودر غربًا في جبهة ينوف طولها عن المئتي ميل، وجعل الهجوم الاحمر يتقدم بسرعة في كل مكان، وراحت ميمنته تهدف الوصول إلى قاعدة شبه الجزيرة التي تقوم عليها بلاد الدانمارك، بينما اتجه قلب الهجوم الاحمر نحو برلين، استهدفت ميسرته منطقة درسدن. وفي 20 من نيسان استطاعت طلائع فيلقنا الخامس أن تصافح طلائع الجيش الروسي على نهر الألب بقرب مدينة تورغاو إلى الجنوب من برلين فأحرز هذا الفيلق نصرًا آخر لأنه من وحداتنا الأولى التي وطئت الأرض الأوروبية، وحافظ على سيره دائما في الطليعة إلى أن التقى بالجيش الروسي، وراح يضيق الخناق على هتلر. وكلما اقتربنا من الجيش الروسي أصبحت مهمة القيادة صعبة، خوفًا من أن تبطش وحداتنا ببعضها عوضًا من أن تبطش بالألمان.

كانت مصيبتنا في اللغة ولم ينفع معه التفاهم، لا بواسطة الراديو ولا اللاسلكي. فبقي الحل الوحيد تعيين الوقت والأمكنة التي يستطيع أن يقوم فيها كل فريق بنشاطه، لا سيما أنه بدأ يحدث بعض الاشتباكات الجوية بين طائراتنا وطائرات الروس منذ أوائل نيسان، نجم عنها نتائج سيئة حاولنا أن نتفق على إنشاء جهاز من الاشارات المعينة لتكون واسطة التفاهم بين الطيارين.

ولم ينجح هذا إلا بعد العشرين من نيسان وعلى كل أصدرت القيادتان أوامرها بالحد من النشاط الجوي إلا في الأمكنة التي لا تزال في قبضية الألمان، وبذلك تفادينا كثيرًا من الحوادث وخيمة العاقبة، كما اتفقنا مع الروس على أنه عندما تلتقي وحداتنا البرية ببعضها يستطيع القواد المحليون أن يضعوا الترتيبات المانعة لأي احتكاك بين الفريقين ولهذا جعلنا حدًا جغرافيًا ظاهرًا يكون فاصلًا بين قوتينا ويسير هذا الخط في محاذاة نهري الالب والمولد في الوسط وبعد أن تم الاتفاق على المناطق التي يحتلها كل فريق بات من السهل أن تتراجع الجيوش إلى الأمكنة المعينة لها إذا اقتضت الضرورة الحربية اجتياز تلك الحدود.

عندما كان الزحف في الوسط على أشده، كانت مجموعة جيوشنا في الشمال وفي الجنوب تقوم بعمليات باهرة. فتقدمت قوات مونتغمري شرقًا واحتلت مدينتي بزمن وهامبورغ، واندفعت وحدة إلى ابعد من ذلك حتى وصلت نهر الألب لتغطي جناح الجنرال برادلي الأيسر. أسندت مهمة تطهير جميع الأراضي الهولندية إلى الجيش الكندي، بينما زحف الجيش الإنكليزي شرقًا، فوصل نهر الفيزر في نيسان، وفي 19 وصل الألب، وقد أبدى الألمان مقاومة شديدة قرب مدينة برمن، لكن تلك المقاومة انشلت في ظرف أسبوع وسقطت المدينة في أيدي البريطانيين.

بعد أن استقرت قوات برادلي على نهر الألب، لم يبق أمام الحلفاء إلا الدور الأخير من المسرحية الدامية، لأن قوات العدو انشطرت إلى شطرين، شطر في الشمال وآخر في الجنوب، وانحطت معنويات الجندي الألماني، وراح يفضل الاستسلام على القتال،

إلا فيما ندر ولذلك تمكنا من أسر أكثر من مليون جندي ألماني في الثلاثة أسابيع الأولى من شهر نيسان.

عرفنا أن الحكومة الألمانية بدأت تتهيأ للأنسحاب من برلين قبل أن تتغلغل في داخل ألمانيا. وعرفنا أن الإدارة الحكومية اعدت مكاتب لها في الجنوب في منطقة برشفادن ولكن عندما زحف جيش الجنرال برادلي بسرعة إلى أواسط ألمانيا، قطع على الحكومة الألمانية طريق انسحابها، فأقفل الباب في وجه هتلر الذي عزم أن يثبت في برلين إلى النهاية، ول م يبق أمامنا من خوف إلا في إمكانية انسحاب بعض الوحدات من متعصبي النازية إلى المناطق الجبلية والتحصن فيها إلى أمد طويل.

فصممنا على احتلال الطريق المؤدية إلى الأمكنة المنيعة في طبيعتها في الجنوب، كما صممنا على احتلال مدينة لو بك لنلقي القبض على ما تبقى لألمانيا من غواصات في قواعدها، حتى لا تستطيع القوات الألمانية التي لا تزال في الدانمرك الاتكال على الغواصات ومواصلة القتال. ولما كانت المساحات التي احتلتها الفرق السبع عشرة التابعة لقيادة مونتغمري واسعة جدًا، دعمته بوضع فيلق قوات الجو الثامن عشر بقيادة الجنرال ريدجوي، على أنه إذا ابدى الألمان في الدانمرك مقاومة عنيدة، نمده بقوات أكثر.

عندما استسلمت مدينة برمن إلى قوات مونتغمري في 29 نيسان، انهارت كل مقاومة في طريقه فنقل الجزء الأعظم من قواته إلى عبر الالب في 29 منه. وفي أول أيار قامت الفرقة المدرعة

البريطانية الثانية عشرة بزحف موفق وبعد أن اخترقت مقاطعتي شلزويك هولشتين دخلت مرفأ لوبيك على بحر البلطيق في 2 منه، فيحالت بذلك دون أي اتصال للقوات الألمانية في الدانمارك وسائر القوات الأخرى. وفي الثالث منه التقت القوات العاملة تحت قيادة مونتغمري بالقوات الروسية.

عندما كانت برلين كتلة من اللهيب وميمنة الجيش الروسي تطبق من الشرق بقوة أخذ القوات الألمانية تفر مذعورة وتستسلم بكثرة إلى الجيشين الأمريكي والإنكليزي فجعلنا نلتقطهم بالآلاف يوميًا.

وفي هولندا قام الجيش الكندي بمهمته خير قيام ونظف المنطقة من فلول الألمان، لكنه لم يشأ الرجوع غربًا لإجبار الجيش الألماني الحادي والعشرين المعسكر في الزاوية الغربية من البلاد على الاستسلام. ولما كانت قد وصلتني الأخبار بأن الحالة في هولندا أخذة بالإنهيار وبأن الجوع قد سيطر على السكان، لم أشأ أن أزيد في الكارثة وأفتح ساحة حرب في البلاد، ولذلك وجهت انذارًا إلى الجنرال بلاسكوتز قائد الجيش الألماني هنالك اطلب إليه أن يوقف كل نشاط حربي، وأن يخلد إلى السكينة رفقًا بالشعب الهولندي، فمهما كانت البادرة التي يلعبها في هولندا فإنها لا تستطيع أن تنجي ألمانيا من المصير المحتوم.

عرض زالس انكرت المندوب السامي الألماني في هولندا هدنة لحل وسط، على ألّا يزحف الحلفاء لاحتلال الزاوية الغربية، ومقابل ذلك يتعهد الألمان بعدم دك السدود وبالتعاون مع الحلفاء على انعاش الهولنديين بالمؤن والكساء. فأرسلت مساعدي

الجنرال سمث لمقابلة زالس انكرت والاتفاق معه على طريقة توزيع المؤن على الهولنديين. فبدأت الإمدادات تصل بكميات كبرى بعد أن كانت تصل بالمظلات على دفعات صغيرة. وفي الوقت نفسه أرسلت إنذار إلى القيادة الألمانية هنالك بأن أي تلاعب يقع من قبل الألمان في المؤن المرسلة خصيصًا للهولنديين، يعرضهم لمعاملة وخيمة، ولن اعاملهم كأسرى حرب. ولما طالبنا الجنرال بلاسكوتز بالإستسلام أجاب أنكرت بأن الجيش الحادي والعشرين الألماني لا يسعه أن يستسلم قبل أن تستسلم الدولة الألمانية.

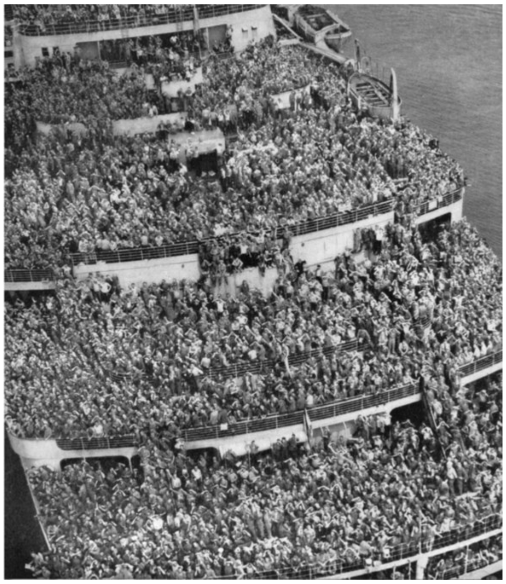

سفينة «الملكة اليزابيت» تدخل ميناء نيويورك

جرى احتلال أواسط ألمانيا وشمالها بسهولة وسرعة، وبقي القسم الجبلي في الجنوب، فقام الجيش الأمريكي السابع والجيش الفرنسي الأول باحتلال الأراضي الواقعة إلى الشمال والشرق من سويسرا، وقام الجيش الثالث بحركة التفافية نحو الجنوب الشرقي واخترق الأراضي الألمانية حتى دخل مدينة لنز النمساوية الواقعة على ضفاف الدانوب، بينما زحف الجيش الخامس الأمريكي والجيش البريطاني الثامن من إيطالي واحتلا الأجزاء الجنوبية من ألمانيا، وتقدمت وحدات من الجيش الأميركي الثالث الاحتلال الأجزاء الغربية من تشيكوسلوفاكيا. فتذكرت جملة فهمت بها عندما ودعت جنود جبهة المتوسط إذ قلت يومئذ: بعد سنة ونصف سألتقي بكم ثانية في قلب ألمانيا. فتمت النبؤة في أواخر نيسان وأوائل أيار عندما التقت جيوشنا الزاحفة من فرنسا بجيوشنا الزاحفة من إيطاليا في قلب ألمانيا.

بالاتفاق مع الروس احتل جيش باتون بلزن كارلسباد ومن هنالك

اتجه جنوبًا إلى لنز وسالزبورغ. وقام الجيش السابع بقيادة الجنرال باتشز بتحركاته الكبرى في 22 نيسان إذ احتل أحد فيالقه مدينة مونيخ في 30 منه ومن المعلوم أن في مونيخ ولد الحزب النازي واندفعت فرقة منه واحتلت برشتسعادن مقر هنلر الجبلي في 4 أيار، وهكذا انهارت الجبهة الألمانية.

بلغنا جميع أهدافنا الكبرى في أواخر نيسان في كل الجبهات واحتللنا جميع المدن والمراكز الألمانية الحساسة فتضاعفت بذلك التبعات الملقاة علينا من الناحية الإدارية والنقلية وصيانة الأجهزة والتموين ولو اتكلنا على النقليات البرية فقط لفشلت رؤوس حربنا عن بلوغ أهدافها لكن جهاز النقل الجوي قام بالمستحيل في سبيل إيصال المؤن والمعدات إلى أهدافها الآن أكثر من 1.500 طائرة نقل كانت تعمل النهار بطوله طيلة شهر نيسان لتنجز مهماتها، هذا بالإضافة لما جردناه من قاذفاتنا الكبرى للغرض نفسه وقد استطاعت طائراتنا نقل ما ينوف على الستين ألف طن من المؤن والزيوت لطلائع قواتنا.

الوضعية العسكرية عند استسلام المانيا

انتشرت قواتنا في أكثر أنحاء ألمانيا الكبرى حتى لم يبق مجال لقاذفاتنا أن تقصف هدفًا ما دون الخوف من أن تصيب اما جنودنا أو جنود الروس على أن سلاحنا الجوي قام فقط بغارتين كبيرتين في أواخر أيام الحرب: الأولى قام بها سلاح الجو البريطاني على جزيرة هليغولند وذلك مؤازرة منه اللجنرال مونتغمري عندما كان يحاول اجتياز قنال كيال، والثانية قام بها الطيران الاميركي حينما وجه قصفًا شديدًا إلى برتشسغادن معقل هتلر ومتعصبي النازية، خوفًا من أن يتخذه المتطرفون حصنًا، وبعد ذلك أرسلنا فرقة من جيشنا لاحتلاله.

كانت الطائرات كلما رجعت من الجبهة تحمل معها أسرى من الحلفاء وقعوا سابقًا في أيدي الألمان، فجعلنا نقيم المعسكرات

الملائمة لهم قبل ترحيلهم إلى الوطن وقد بلغ عدد الأسرى في معسكر واحد أقمناه قرب مدينة الهافر 47.000 أمريكي، وقد أقام البريطانيون في غربي فرنسا وبلجيكا معسكرات مماثلة لأسراهم ولا شك أن استرجاع عدد كبير من الأسرى في وقت قصير سبب لنا مشكلة في الجهاز الطبي والنقلي لأنه كثيرًا ما حدث أن بعض الاسري كانوا في حالة انحلال جسماني يفتقرون إلى معالجة دقيقة وسهر طويل. فأرسلنا الضعفاء منهم إلى المستشفيات حيث أقاموا مدة قبل أن نسمح بارجاعهم إلى وطنهم، وقد انقذنا عددًا من الأسرى الأمريكيين الذين وقعوا في تونس سنة 1942، بينما انقذ البريطانيون عددًا من اسراهم الذين أخذوا في دانكرك سنة 1940.

ظهر أن نهاية الحرب قد قربت، وأن النزاع لن يطول أكثر من بضعة أيام وجعلنا نتساءل، هل تأتي النهاية بالتقاء جيوشنا بجيوش الروس في كل مكان من ألمانيا وأواسط أوروبا، أم أن أحدًا من الألمان المسؤولين سيقوم مفاوضتنا لوضع حد لهذه المجزرة البشرية الرهيبة؟

أخذ بعض المتنفذين من الألمان يجسون النبض في العواصم المحايدة ليعرفوا عما نضعه من شروط إذا ما ألقوا السلاح، ولكن لم يكن لهتلر صوت في تلك المحاولات، بل على العكس من ذلك، إذ أن كل من قال بالاستسلام كان يهمس همسًا في الزوايا البعيدة خوفًا من أن يدري به النازيون، فيسكبون جام غضبهم عليه واول من جس النبض من قبل الحكومة الألمانية قصد السفارة البريطانية في ستوكهلم وعرض إعلان الهدنة في الغرب حتى

يتمكن الألمان من التفرغ لمقاتلة الروس فرفضت حكومتانا العرض بشدة.

<u>احتلال ألمانيا</u>

جاء عرض آخر من رجل يدعى وولف، إذ قصد دسويسرا وعرض على الجنرال ألكسندر تسليم الألمان في الجبهة الإيطالية فأثارت هذه الحادثة الشكوك بين بعض دول الحلفاء وخصوصًا عند الروس الذين ظنوا بأننا نحاول الاتفاق مع الألمان من وراء ظهورهم فأخذت المسألة جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلًا حتى اقنعناهم بحسن نوايانا نحوهم.

على أن أول عرض صريح وصل مركز قيادتي مباشرةً جاء عن طريق هملر الذي اتصل بالكونت برنادوت في السويد، على أن يتصل هذا بدوره بالمستر تشرشل فاستلمت أنا في السادس والعشرين من شهر آب رسالة من رئيس الوزراء يشرح فيها اقتراح هملر بإلقاء السلاح في الجبهة الغربية فرأيت فيه محاولة من قبل الألمان لشق جبهة الحلفاء، واطلعت المستر تشرشل على رأيي هذا، وطلبت بالحاح ألّا يقبل بإستسلام الألمان في الجبهتين الشرقية والغربية معا خوفًا من قيام سوء تفاهم مع الروس الذين يتهموننا بسوء النية. من الممكن لقائد ألماني ما أن يلقي السلاح

في الجبهة التي يشاء، ولكن الحكومة الألمانية يجب أن تستسلم إلى جميع الفرقاء دون قيد أو شرط فوافق رئيس الوزراء على وجهة نظري هذه، كما وافق على ذلك رئيس الولايات المتحدة الذي شرح القضية بكاملها للمارشال ستالين.

لم يقنط الألمان حتى آخر دقيقة من المحاولات للتفريق بيننا وبين الروس، وجعل التسليم على دفعات في الجبهة الغربية قبل الشرقية وكلما اخفقت المحاولات زادت القادة الألمان في الجبهات قلقًا على مصيرهم ومصير جنودهم، فراحوا يأمرون بالقاء السلاح الواحد بعد الآخر. ووقع أول استسلام كامل في إيطاليا في 29 نيسان: وتوقفت العمليات الحربية هناك تماما في 2 أيار ثم استسلم قائد القوات الألمانية المعسكرة في جنوبي ألمانيا في 5 أيار.

رأى القائد الألماني في الجبهة الشمالية أن المقاومة باتت لا تجدي نفعًا، ولذلك جاء رسول من قبله إلى ستوكهولم في 30 نيسان ليقول أن الجيش الألماني المعسكر في الدانمارك مستعد لأن يلقي السلاح وبينما كانت مفاوضات القواد الألمان تجري مع الحلفاء من أجل وضع حد لسفك الدماء، دون قيد أو شرط، إذ بالإشاعات تنتشر بأن هتلر قد انتحر.

لما رأى هتلر أن ابواب النجاة قد اقفلت في وجهه ارتكب جريمة الانتحار فوقعت مسؤولية إنقاذ البناء المتصدع على كامل الأميرال دونتس الذي أمر كل جيوشه بأن تستسلم إلى الحلفاء الغربيين فبدأت الألوف وعشرات الألوف من الجنود الألمان

تدخل خطوطنا وتلقي سلاحها. وفي 3 أيار قصد الأميرال فرايد برغ وزير البحرية الألمانية الجديد قصد مقر الجنرال مونتغمري يصحبه أحد مساعدي المرشال بوش قائد الجبهة الشمالية، وقال إن مقصده تسليم الجيوش الثلاثة التي تقاتل الروس فرفض مونتغمري ذلك، فأخبرته أنا أن يقبل استسلام أي جيش شريطة ألّا يكون ذلك صادرًا عن الحكومة الرسمية الألمانية. وبناء على ذلك قبل مونتغمري في اليوم التالي استسلام القوات الألمانية في الدانمارك وهولندة وشمالي ألمانيا.

في اليوم الخامس من شهر أيار وصل ممثل من قبل دونتس إلى مركز قيادتي يعلن بأن الأميرال مستعد أن يأمر جميع الغواصات الألمانية بأن ترجع إلى قواعدها وتستسلم. فأرسلت وأخبرت الروس بهذا العرض وطلبت أن يرسلوا من يمثلهم إلى مركز قيادتي لكي يشترك في المفاوضية التي قد تنشأ بيننا وبين الحكومة الألمانية الجديدة فأرسلت القيادة العامة الروسية الجنرال ايفان نيوزلباروف فأعلنت عندئذ أن لا سبيل للمفاوضة معي إلا بالاستسلام العام في جميع الجبهات دون قيد أو شرط.

أرسل المارشال كسلرنغ قائد الجبهة الألمانية العام في الغرب يسألني إذا كنت أسمح له بأن يرسل نائبًا مفوضًا عنه ليباحثني في شروط الاستسلام. فأجبته أنني لن أدخل في أية مفاوضة لا تشمل استسلام القوات الألمانية جميعها. وفي 5 أيار جاءني الأميرال فرويد برغ وقال إنه يرغب في أن يوضح عددًا من النقاط فأنبت مساعدي الجنرال سميث لمباحثته وإفهامه أن لا مجال لأية مباحثات لأن قصدنا الوحيد هو الاستسلام دون قيد أو شرط

فاحتج فرويد برغ على ذلك قائلًا إنه لا صلاحية له ليوقع على وثيقة الاستسلام العام، وعندما سمح له سميث أن يتصل بدونتس، أخبره هذا بأن الجنرال بودل في طريقه إلى مقر قيادتي.

اتضح لنا أن الألمان يماطلون ويتلاعبون بالألفاظ، حتى يتمكنوا من ربح الوقت لإرسال جميع ما تبقى من قواتهم الحربية إلى ما وراء خطوطنا خوفا من إيقاع الروس بهم، ولذلك عندما وصل الجنرال بودل أوعزت إلى الجنرال سميث بأن يحذره بأننا من الآن فصاعدًا سنقفل خطوطنا في وجه كل جندي ألماني يحاول الدخول حتى يوقع وثيقة الاستسلام. فاتصل هو وفريد برغ لاسلكيًا بالأميرال دونتم يستأذنانه بالتوقيع على الاستسلام العام. وما إن أدرك هذا أن لا فائدة من المماطلة أوعز إلى بودل بأن يوقع على وثيقة الاستسلام في السابع من شهر أيار، على أن تنتهي كل العمليات العسكرية في منتصف ليل 8 أيار.

بعدما تمت جميع المعاملات الضرورية، وانتهى الجنرال بودل والجنرال سميث والجنرال الذي يمثل الجانب الفرنسي، والجنرال الذي يمثل الجانب الروسي من التوقيع على وثيقة استسلام الألمان، طلبت من الجنرال بودل أن يقابلني في مكتبي، وسألتُه بواسطة ترجمان قدير عمَّا إذا كان قد فهم معنى كلّ كلمةٍ جاءت في شروط الاستسلام. فأجاب نعم، عند ذلك قلت له: «إنك ستكون مسؤولًا رسميًا وشخصيًّا فيما لو عمد أحد المسؤولين الألمان إلى الإخلال بهذه الاتفاقية، أو بأيِّ بندٍ من بنودها»، فحيّا بالطريقة العسكرية وانصرف.

الفَصلُ التّاسِعُ عَشَر

درس في العمليات الحربية

مع أن جُلّ مجهودنا في صيف سنة 1945 كان منصرفًا نحو نقل الجنود من مسرح حربيّ إلى آخر، وإيجاد أعمال لعدد كبير من الرجال وإتمام الواجبات الكثيرة المتنوعة المتعلِّقة بمهمّتنا، فقد وجدنا أنفسنا مضطرين إلى أن ننغمس فيما خلَّفته الحرب من دروسٍ وتقديرات وعِبر ولا يخفى أن الجوهر في هذه الناحية ضخم وكبير ذلك لأن الحملات التي قمنا بها في المتوسط وفي أوروبا لم يكن لها مثيل في تاريخ الحروب منذ نشأت دولة الولايات المتحدة سنة 1775.

لقد عبّأت الولايات المتحدة قوة منظمة للقيام بالحملة الإفريقية والحملة الأوروبية، مؤلَّفة من سبع وأربعين فرقة مشاة بما يلزمها من سلاح المدفعية وستَّ عشرة فرقة مدرَّعة، وأربع فرقٍ جويّة، وفرقةً جبلية، بالإضافة إلى وحدات بحريّة ترافق القوات البرية في نزولها من السفن وركوبها ووحدات هندسية وأخرى لمقاومة الغارات الجوية، وتدمير الدبابات. هذا ناهيك عمّا أنشأناه من قوة جوية مدهشة أخذت تعمل في المسرحين بقوة وبأسٍ ضِدَّ الألمان، فاكتسحت الأجواء وأجبرت الطيران الألماني على الاختفاء.

اضطرَّتنا الحرب إلى إنشاء جهاز مواصلات عبر القارات لم يكن له مثيلٌ في التاريخ، وإنشاء جهاز حكومي عسكَري يدير شؤون

الشعوب المقيمة في مناطق احتلالنا، من رجال يحسنون التفاوض والتفاهم مع الغير. وكل من اشترك في الحرب العالمية الثانية وتسلم مسؤولية كبرى يدرك المهام المتشعِّبة التي تفرضها الحرب على القيادة العامة في كل ناحية من النواحي الحربية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

من الناحية العسكرية كان مبدأنا إبان حملتينا في إفريقيا وأوروبا تجنب تجميد الجبهة، والابتعاد عما يشبه حرب الخنادق، والالتجاء إلى سرعة الحركات والمفاجآت واستعنا في ذلك بسلاح مدفعيتنا ودباباتنا وطائراتنا فتمكنا من التغلب على العقبات الطبيعية والحصون الاصطناعية التي ظن أنها أمنع من أن تقهر وكم من جبلٍ ووادٍ وحِصنٍ كان يظنه العدو أمنع من جو العقاب، اجتزناه بمدة قصيرة، إن كان في إفريقيا أو إيطاليا أو فرنسا أو ألمانيا نفسها. فقد كان الرّاين يشكل عقبة طبيعية في سبيل كلِّ غازٍ مدَّة ثلاثة قرون، فاجتزناه بسهولة وقعت كالصاعقة على هَامِ الخصم وفي غربي أوروبا استطاعت قوات الحلفاء مرتين أن تشقَّ طريقها في وسط تحصينات أعدت بطرق علمية فنية بكل مهارة، أولاها شقُّ طريقنا في التحصينات التي أقامها الألمان على الشواطئ، وثانيتها انتصارنا على خط سيغفريد الذي أعدَّه الألمان في مكانٍ ذي منعة طبيعية، وجهَّزوه بأقوى ما ابتدعت مخيّلة مهندسيهم فبأقلَّ من عشرة أشهر اجتزنا العقبتين واحتلَلْنا كلّ فرنسا وبلجيكا، وتغلغلنا في ألمانيا نفسها وفرضنا عليها إلقاء السلاح والتسليم دون قيد أو شرط.

لَمِنَ السهل أن يقول المرء بأن التحصينات الثابتة ذهبت أيامُها

عندما ظهرت الأسلحة الحديثة، ويورد أمثلة من التاريخ كالانتصار على أسوار الصين وأسوار روما وخط ماجينو وغيرها من أجهزة الدفاع. ولكن يجب أن يعلن بوضوح أنه إذا تساوت الاعتبارات لدى جيشين متحاربين، يبقى النصر لمن أقام حصونًا أمنع.

لما انتصرنا على الحصون الغربية التجأنا إلى عنصر المفاجأة أو بنزولنا في الشواطئ التي كان يستبعد العدو اختيارنا لها، وثانيًا بتركيز قوات ضخمة في جبهة ضيقة جعلت تتوسع تدريجيًا ولما تكاملت الأعداد والمعدات ساعدتنا الطائرات والمصفحات على فتح ثغرات في خطوط العدو والانطلاق بعد أن قصفت طائراتنا خطوط مواصلات العدو ودمرتها وجعلت وصول المدد إليه عسيرًا بينما كانت السفن والطائرات تواصل حمل المدد إلينا.

أما خط سيغفريد فكان أمنع وأضخم لما حواه من وسائل دفاعية وحقول ألغام، ومصائد وخنادق وعقبات طبيعية واصطناعية، وبطاريات مدفعية مختلفة المدى، وأعشاش رشاشات، وملاجئ للجنود يجري تموينها بطرق خاصة تذهب عدة أميال في العمق لما يتخلّلها من أنهار ووديان ووهاد عرف العدو كيف يستغل تحصينها على أكمل وجه، مما جعل اجتيازها من أصعب مما يتصوره العقل.

لا شيء سهل في الحرب، والأخطاء يدفع ثمنها دمًا، والجنود يشعرون بسرعة بما يرتكب قادتهم من أخطاء. فأصبح على القيادة أن تدرس كل شيء بدقة وأمعان لتوفر أرواح جنودها

وتقلل ما أمكن من انتقاداتهم لها.

إن الانتصار الذي أحرزناه في المتوسط وفي أوروبا جاء مكذبًا لكل ادعاء سابق ولا حق بأن المعسكر الديمقراطي يسير في طريق الانحطاط لخوفه من الحرب، ولعدم مقدرته على السير مع ركب ما تتطلبه الحرب الحديثة من سرعة في الأحكام وسرعة التنفيذ. وأول درس تعلَّمناه في هذه الحرب هو إمكانية إقامة معاهدات بين أمم مختلفة في سبيل خوض معركة طويلة ضد عدو قاس متجبِّر لأن وجود عدوٍّ مشترك خطر جعل دول الحلفاء يخصصون أقوى مؤسساتهم وجهاز اقتصادهم، وميول ساستهم وأنبغ علمائهم في سبيل القضية الأولى والأهم وهي سحق العدو والتخلص من خطره، فزالت بذلك الاختلافات الصغيرة والغايات الشخصية، وتلاشت روح الاتكالية والانهزامية وعمل الجميع كفريق واحد في سبيل غاية واحدة، وإن ما جرى من تعاون مخلص بين الفرقاء المعنيين سيبقى مضرب الأمثال.

مع أنَّ وحدة الحلفاء والطرق التي اتبعت لإقامة تلك الوحدة تشكل أكبر درسٍ للشعوب، قيمة التعاون، فإننا نحن الجنود اتخذنا دروسا عسكرية بحتة في طبيعتها. وإذا اتسع المجال لدرس عناصر كل موقعة قبل أن تغطيها مملكة النسيان، ووازنَّا بين ما ارتكب فيها من أخطاء وأُحرز فيها من أمجاد وتفحَّصنا العوامل التي ينتج عنها الانكسار والانتصار استطاعت الأجيال القادمة أن تستفيد منها وتوفِّر على نفسها كثيرًا من الأخطاء. فلذلك عَيَّنَّا لجنة خاصة من كبار الضباط مِمَّن اشتركوا في عمليات حربية وإدارية تسجل ما أمكن من حقائق عن كل معركة خضناها، على أن تؤخذ

قضية التموين والصيانة والإدارة بعين الاعتبار.

كان أهم درس تعلمناه من الحرب العالمية الثانية هو أهمية الطائرة وذلك في قصف جبهة العدو وتدمير مواصلاته ومصانعه ووقوده، واستكشاف تحركاته والاطِّلاع على ما يجري وراء خطوطه، وصدّ طائراته عن مدننا ومنشآتنا، وحماية جنودنا، بالإضافة إلى ما تستطيع الطائرات نقلَه بسرعة من جنود ومعدّات ومؤن ومنشورات وغيرها من أنواع النشاط، فأصبح الاعتقاد عميقا بأنَّ كسب معركةٍ حديثة يستحيل على مَن ليس لديه طائرات، لأنها تمون ما عزل من وحدات، وما تقدّم من طلائع. والطائرات على ثلاثة أنواع: قاذفة، وناقلة جنود، ومقاتلة لا تتمِّمُ الأولى وظيفة الثانية فحسب، بل إنها جميعًا تشكّل وحدة يجب أن تندمج في نشاطها مع نشاط القوات البرية والبحرية لتصبح الوحدات الثلاث قوة واحدة تعمل الغرض واحد.

لقد استطاع العلماء والمخترعون تغيير وجه الحروب بعدة عوامل، منها الدبابات التي اقتحمت الشاطئ الفرنسي عائمةً كالبطّ على وجه البحر، والصواريخ، والآلات الحربية التي استنبطت لأوّل مَرّة في الحرب الأخيرة، ولعبت دورًا كبيرًا في تقرير مصيرها، هذا ناهيك عن القنبلة الذرية التي فجَّرْناها في آخر الحرب فمن الدروس التي تعلَّمناها، هو الاستعانة بالعلماء والمفكِّرين لما لهم من تأثير على مصير الحروب.

اكتشفنا أيضًا أن لدى الشبّان الأمريكيين من ميزات المبادرة والتعقل، وتحمل المشاق والمقدرة على تكييف النفس، والشجاعة

وروح التعاون، وتحمُّل المسؤوليات ما يجعلهم من أنسب رجالِ الدنيا للجندية إذا ما تسنَّي لهم التدريب الكافي.

علمنا الاختبار أن أثر المعارك طويلة الأمد يكون على الغالب سيِّئًا على الجنود من الناحيتين الجسدية والنفسية. ومثلًا على ذلك إذا أخذنا وحدةً ما وجعلناها تخوض معركة، ثم سحبناها قبل أن تنتهك قواها، ويتملّكها التعب، وتفقد عددًا كبيرًا من أفرادها فإنها تستطيع أن تخوض معركة ثانية بعد مدة وجيزة. لكن إذا أبقيناها في الجبهة تعاني المشقات والخسائر أمدًا طويلًا، فإنها ينال منها الإجهاد وتضعف معنوياتها حتى يصعب استخدامها معركة ثانية إلا بعد مرور وقت طويل. وقد ظهر لنا في مستهل الحملة الإفريقية أن القوة المعنوية، والثقة بالنفس، لا تقل في أهميتها عن الأسلحة في المعارك فالجندي إذا ما تحلى بالشجاعة ورباطة الجأش والثقة بالنفس لا يتعرض للإصابة بما يسمى «شلل المعارك»، وهي حالة نفسية تصيب الجندي عندما تكثر الانفجارات حوله من كل ناحية، فتشلُّ يدَه أو رجلَه أو تُعمِي بصرَه دون أن يصاب الجسد بأي ضررٍ حقيقي، فعلى القائد أن يواجه مثل تلك الاحتمالات بالصبر وحُسنِ التوجيه والتشجيع، لا بالخشونة والقسوة اللتين تولِّدان أثرًا معكوسًا، وكم من مرَّة كنت إذا فهت بكلمة تشجيع تصيب منهم وترًا حسّاسًا. اسمعْ المصابين بهذه الحالة النفسية يقولون: «أيها الجنرال نرجوك أرجعنا إلى صفوفنا، لنتمكَّن من القيام بما يحتّم علينا الواجب».

من القضايا التي يجب أن تعيرها القيادة العامة الاهتمام اللازم هي إفهام الجنود الغاية التي أعلنت الحرب من أجلها، والمبادئ التي

يجب أن ندافع عنها لا تعمل على صيانة الأمة وحماية الحريات، وإنقاذ المجتمع من سيطرة عدوٍّ قاسٍ ظالم وبكلمة يجب أن يفهم القائد الجندي عما لدى أمته وشعبه من ميزات وخصائص تؤول إلى إسعاده وإسعاد أقربائه ومواطنيه. فمن أجل حماية ما يعمل على إسعاده وإسعاد مواطنيه يجب أن يشترك في الدفاع ضد الطامع المغتصب. ومن أهم الأمور إبداء الاهتمام بكل جندي ودرس وضعيته والعمل على إنعاش معنوياته وإزالة ما قد يقوم في سبيله من مخالطات قد تؤدي إلى إضعافه وانحطاط معنوياته.

إن جميع ما أنشأنا من آلات ومعدات، وما أدخلناه من تحسينات في وسائل الهجوم والدفاع يكاد لا يسوي شيئًا إذا ما قوبل بمفعول القنبلة الذرية.

نعم إننا لم نستعملها ولم يفكر أحد باستعمالها في المسرح الأوروبي، ولم نشاهد انفجارها وقوة تدميرها لكن التقارير التي وصلتنا بعد تفجير القنبلة الذرية في هيروشيما في 6 آب لم تترك شكًّا في أننا دخلنا عتبة عصر جديد من مصادر القوة التدميرية. وظهر أن كثيرًا من العلوم العسكرية التي تعلَّمناها قد انهار في لحظة وحلَّت مكانه آراءٌ ومبادئ جديدة، منها أنَّ على الأمة التي تفكِّر بالاعتداء على غيرها أن تعمل على إعداد عدد لا يستهان به من تلك القنابل، وتقذفها بصورة مفاجئة على مصانع ومدن ومراكز تجمعات الخصم ويجب على الفريق المهاجم أن يتفهم المقدار اللازم من المتفجرات لإصابة الهدف وتدميره عن آخره. بينما على الدفاع أن يحاول منع الهجوم، ثم أن يقوم هو بدوره بقذف ما يملك من قنابل ذرية على منشآت ومراكز سكّان العدو

الذي يهاجمه. إن ما شاهدت من دمار في ألمانيا لا يحسب شيئًا إذا قيس بالدمار الذي تستطيع الحروب المقبلة إحداثه.

إني آمل من صميم القلب أن هذا الدرس الذي تعلمناه من قنبلة هيروشيما بالإضافة إلى ما عشنا فيه من تقتيل وكوارث وتدمير مدة ست سنين أن تقنع كل ذي مسؤولية وعقل سليم أينما كان بأن استعمال القوة لحسم النزاع بين الدول والأمم يجب أن يحرَّم ويطرد من كل بال ويخرج من كل ضمير وإني وأنا أتخيل ما شاهدته من فظائع في مدة الحرب، وما أتصوره عمّا أصاب سكان هيروشيما على أثر انفجار القنبلة، لا أستطيع إلّا أن أتوجّه بنداءٍ إلى الدول والشعوب أن تعمل على منع الحروب وتحريمها إذا كانت تريد أن تحافظ على بقائها وما أنشأتْهُ من مؤسسات لإسعادها ورفاهيتها. وليس بعيدًا أن الخوف، الخوف من الفناء والزوال سينجح في وضع حدٍّ للحروب أكثر مما تنجح محاولات أرباب السياسة والدبلوماسية حتى والدين نفسه.

الفهرس

مكتبةTelegram Network
الفَصلُ الأول تمهيد
الفَصلُ الثّاني حرب كونية
الفَصلُ الثالِثُ تبديل في القيادة ووزارة الحربية
الفَصلُ الرابِعُ على أعتاب العدوّ
الفَصلُ الخَامِسُ غزو شمالي إفريقيا «خطَّة المِشعَل»
الفَصلُ السَّادِسُ غزو إفريقيا
الفَصلُ السَّابِعُ شتاء في الجزائر
الفَصلُ الثّامِنُ الحملة التونسية
الفَصلُ التَّاسِعُ غزو صِقِلّية
الفَصلُ العَاشِرُ مؤتمر القاهرة
الفَصلُ الحَادي عَشَرَ إيطاليا
الفَصلُ الثّانِي عَشر تخطيط الغزوة الكبرى
الفَصلُ الثّالِثُ عَشَرَ النزول في فرنسا الغزو لشواطئ فرنسا
الفَصلُ الرابعُ عَشَرَ المطاردة ومعركة التموين
الفَصلُ الخامِس عَشَرَ معركة الخريف
الفَصلُ السَّادسُ عَشَرَ محاولة هتلر الأخيرة

الفَصُل السَّابِعُ عَشَرَ اجتياز نهر الرين
الفَصُل الثّامِنُ عَشَرَ احتلال ألمانيا
الفَصلُ التّاسِعُ عَشَرَ درس في العمليات الحربية
الفهرس